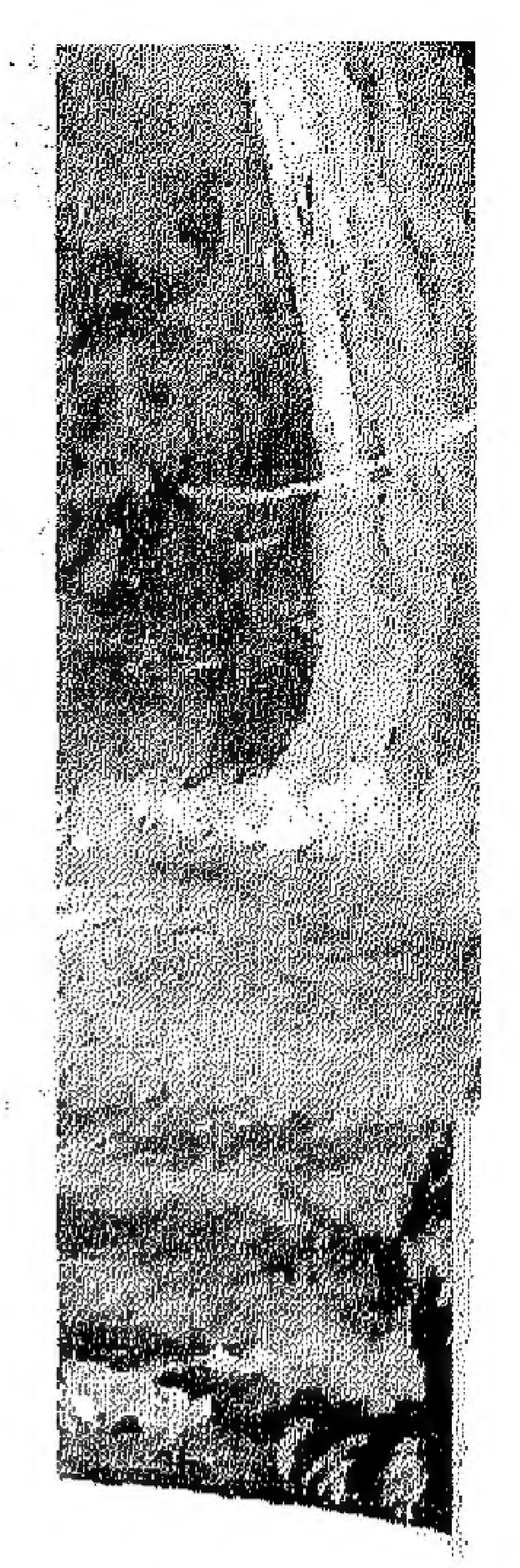
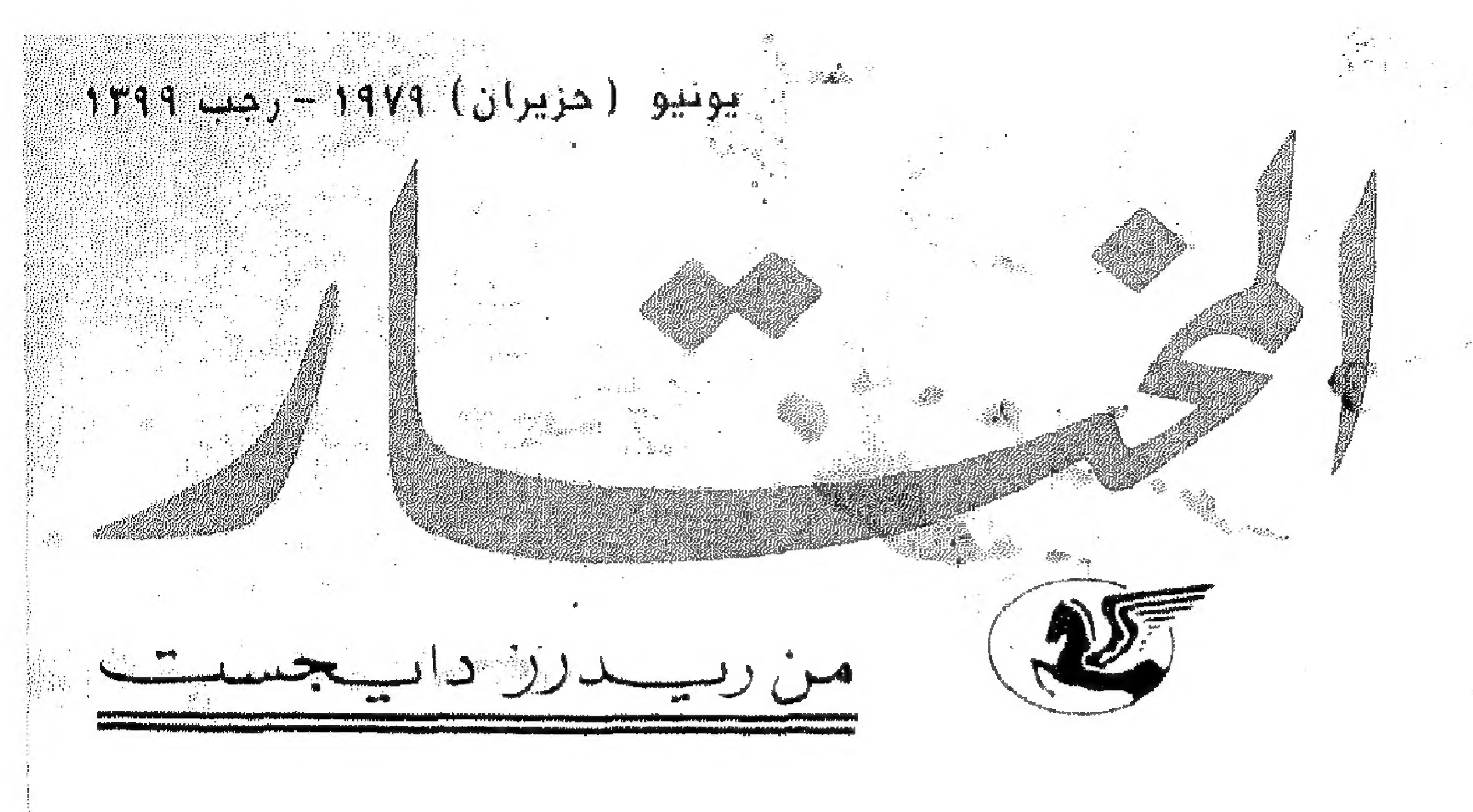
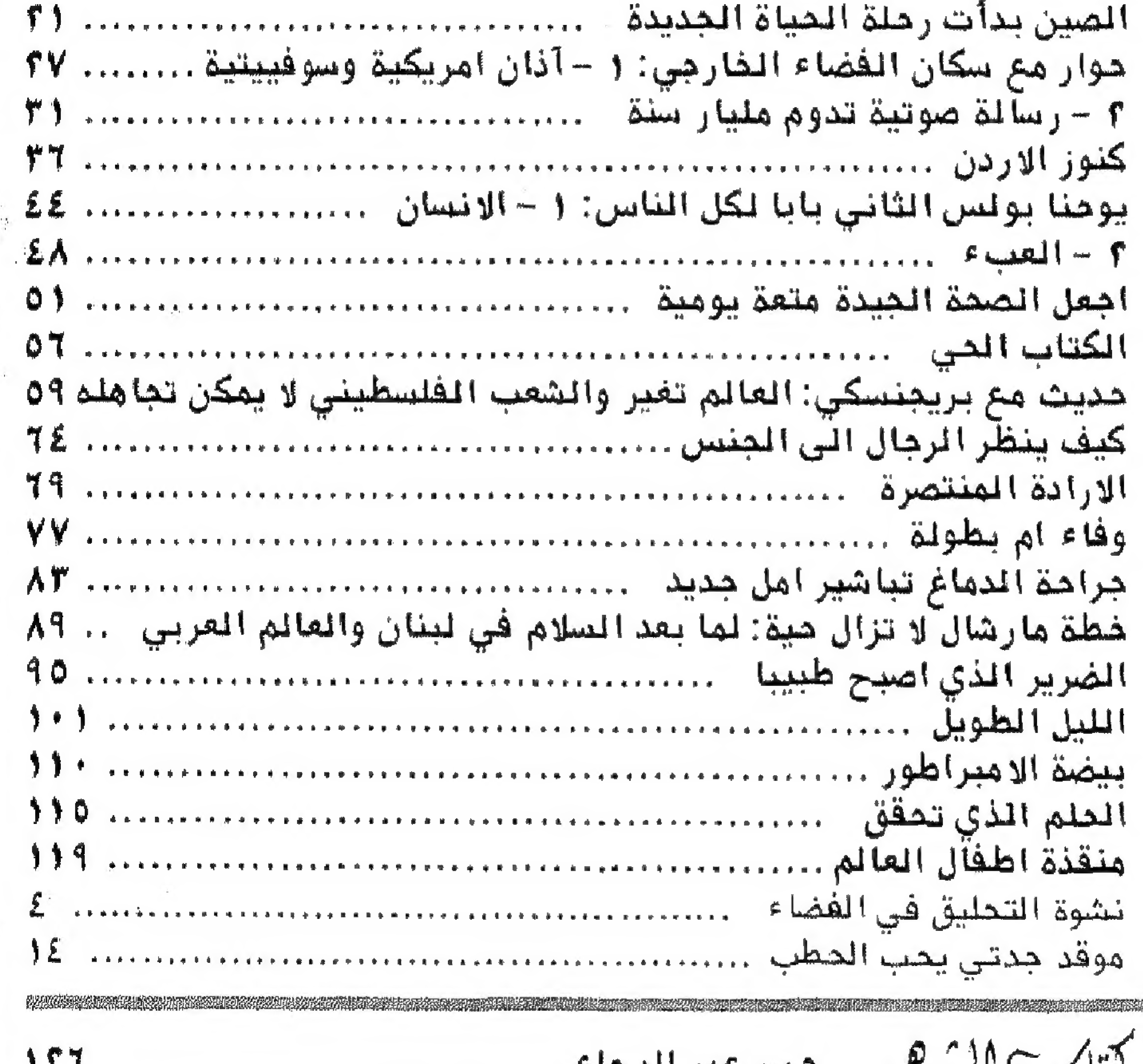
يونيو (حزيران) ١٩٧٩ - رجب ١٣٩٩

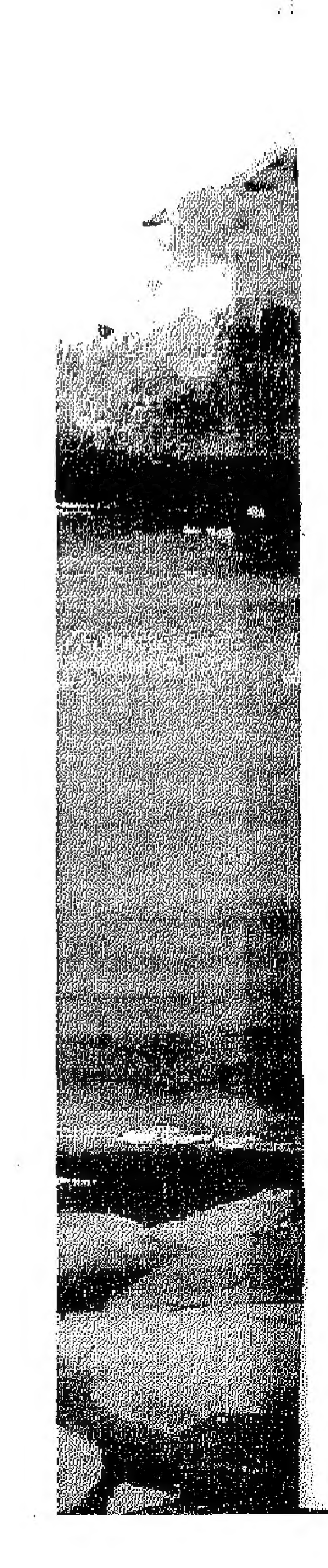




المختار

من ريدرز دايجست





اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ ف - الكويت ٥٠٠ ف - الامارات العربية المتحدة ٦ د - قطر ٦ ر - البحرين ٦٠٠ ف - السعودية ٦ ر - مصر ٥٠٠ م - السودان ٥٠٠ م - ليبيا ٦٥٠ د - اليمن الجنوبية ٦ ر - مسقط ٦ ر - العراق ٦٠٠ ف - تونس ٧٠٠ م - المغرب ٣ د - الجزائر ٧ د - فرنسا ٧ ف - انكلترا ٧٥ ب - اليونان ١٠٠ د -



حديقة افكار

■ ان قاعدة النجاح للبرنامج التلفزيوني هي ان تكون النساء ابرع من الرجال، والاطفال ابرع من النساء، والحيوانات ابرع من الاطفال.

ر. ف.

■ لم تكد حواء تأكل تفاحة الحكمة حتى تناولت ورقة التين، وعندما تبادر المرأة الى التفكير، فاول ما تهتم له هو شراء ثوب جديد.

هـ. هـ.

■ ان شعور الفنان بشيء من عدم الارتياح بعد انتهائه من عمله الفني يعد بمثابة الدافع الى صنع عمل جديد.

برتولد اويرباخ

■ الطريق الى بيت الاصدقاء لا يشكو ابدا من طول المسافة. ان شئت راحة البال فامتنع عن معالجة شؤون العالم ولا "تحمل السلم بالعرض".

ل.أ.

■ اولئك الذين يضعون امتيازاتهم فوق مبادئهم لا يلبثون ان يفقدوا كليهما معا.

داويت آيزنهاور

■ مهنة المستقبل هو ان يكون محفوفا بالاخطار.

الفرد نورث هوايتهاد

■ لم يبتدع احد حتى الآن اختبارا للذكاء يعادل خبرة الزواج.

■ احب الرجال ذوي القلوب الرقيقة والرؤوس العنيدة.

جيرالد كينيدي

■ ان فكرة الاحتفاظ بالسر تقوم لدى البعض على افشائه بصوت خافت.

فرنكلين ب. جونز



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية SEPI

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM شركة تمام
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: مشروع صيد (لريتشارد امندسون)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
June 1979 Nº7 *(New Series)*. Vol.1

POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

نشــوة التحليق في الفضــاء

في رياضة "الغوص" في الفضاء فجأة ينقلب الخوف ويتحقق لك الانتقال من "الهبوط" الى "الطيران"، واذا بك قد اصبحت صنوا للنسور.



في العام الماضي، كنت في مأدبة عشاء عندما دار الحديث حول اسماء الشهرة، فقلت انني في ما يختص بي، لم يكن لي ابدا اسم شهرة، وانما لو خيرت في ذلك لوددت في الحقيقة ان اتكنى باسم "الصقر".
فانفجر كل الحاضرين في الضحك.

وواقع الامر هو انني قد بدأت منذ حين ممارسة الغوص في الفضاء. وعندما يتعلم الانسان طريقة الانقضاض والتحليق في الفضاء على ارتفاع مئات الامتار يحق له الانضمام الى عشيرة الصقور.

القفزة الاولى – واول ما يجب ان يتعلمه المرء في التدريب على القفزة الاولى، هو اسلوب الهبوط السليم على الارض. فقضى مدربنا بيل ساعة كاملة في شرح طريقة الهبوط من منصة ارتفاعها متر وربع متر.

وكانت المجموعة تضم ١٢ شخصا

OUTSIDE (NOVEMBER / DECEMBER 78)

PHOTO PAUL A. COURTOIS

تراوح اعمارهم بين اوائل العشرينات واواخر الثلاثينات. وكانت بيننا شابة لا يزيد طولها على متر ونصف متر، وبنيتها اضعف بنيات افراد المجموعة، ولكن سرعان ما امتلأنا جميعا - باستثناء واحد - اعجابا بقوة عزمها وتصميمها. وكلما كانت بيتي - وهذا اسمها - تقفز من فوق المنصة كان يتكشف وجهها عن كشرة مشمئزة كمن يقفز من تلقائه في برميل لتخمير الخل من دون ان يقوى دوين الشاب المزهو بنفسه الذي يعمل في محطة بنزين، على كتم ابتسامته الساخرة ازاء الفتاة.

وضع القوس - ثم تعلمنا ان نتخذ وضع القوس: الساقان متباعدتان والذراعان منشورتان في مستوى الكتفين تقريبا والعمود الفقري مقوس الى الخلف بشدة تجعلك تشعر بالضغط في المنطقة القطنية اسفل الظهر. ومن المفروض ان يتخذ وضع القوس هذا لدى الخروج من الطائرة، فيستقر معه كل ثقل الجسم في المعدة، مما يضطر الجسم الى ان يتخذ بدوره وضعا افقيا مواجها للارض.

والنموذج العملي التقليدي لفعالية وضع القوس هو ريشة البادمنتون. فاذا هبطت الريشة وكان طرفها المدبب الى اسفل وهي الى اعلى، فانها تسقط آنذاك على الارض مباشرة وعلى نحو ثابت ومتوازن. ولا بد لغطاس الفضاء من مثل هذا الثبات المتوازن في الهواء، حيث يكون ذراعاه وساقاه بمثابة الريشة، ومعدته بمثابة طرف القذيفة المدبب. واذا حدث ان سقطت الريشة في اتجاه الارض وهي مقلوبة رأسا على عقب فانها تنقلب في الهواء. واذا قوس غطاس الفضاء ظهره في الاتجاه الخاطىء - كما تفعل القطة الغاضبة، فانه يسقط متقلبا حول نفسه ويتعرض لاشتباك مظلة الهبوط بساقيه، ومن ثم للخطر البالغ.

التدلي للسقوط - وفحصنا طائرة القفز، وهي من طراز "سيسنا ١٨٢"، وتدربنا على اتخاذ وضع الانطلاق. وكان هذا الامر يتطلب الخطو الى الخارج فوق العجلة والتدلي من دعامة الجناح. وقالت بيتي انها غير واثقة من قدرتها على التدلي من الدعامة لانها لم يسبق لها ان تعلقت مرة واحدة بيديها الى قضيب افقي منصوب فوق رأسها وان ارتفعت بجسمها حتى تصبح ذقنها على مستوى القضيب او تتجاوزه. واما دوين فقد تصور انه سيشعل السموات اعجابا بمواهبه الطبيعية، فلم يكد يسمعها تقول ذلك حتى دارت عيناه في محجريهما سخرية واستهزاء. لكن المدرب بيل طمأن الجميع الى ان مسألة التدلي من الدعامة لا يجوز ان تكون مثارا للقلق، ما دام القصد الاخير هو حمل القافزين على الاستغناء عن وسيلة التأرجح.

وتعلمنا ان مظلاتنا المستديرةالمعيارية التي يبلغ قطرها ثمانية امتار ونصف متر او عشرة امتار ونصف متر، تنطلق الى الامام عادة بسرعة ١٤ كيلومترا في الساعة او ٨ كيلومترات في الساعة على التوالي (وتستطيع مظلات التدريب المتقدم ان تنطلق بسرعة ٢٢ كيلومترا ونصف كيلومتر في الساعة، كما ان المظلات المربعة تنطلق بسرعة ٣٠ كيلومترا في الساعة). وتعلمنا ان

ندير دفة المظلة بواسطة مقابض متصلة بحبال للتوجيه، وان نيمز بين المظلة الصالحة وغير الصالحة، وان نتقن طريقة التصرف في الحالات النادرة للهبوط فوق الماء٠ ثم تدربنا على الاجراءات التي تستدعيها حال الطوارىء٠

حبل المظلة ـ وكان بيل يوقف احد المتدربين امام افراد المجموعة، ويشد العدة اللازمة الى ظهرة ويصيح: "انطلق"٠ وعلى المتدرب آنئذ ان يتخذ على الفور وضع القوس ويبدأ العد: "قوس الف، الفان" حتى خمسة آلاف٠ والمفروض في الحبل الثابت المشدود باحد طرفيه الى المظلة المستخدمة في قفزاتنا القليلة الاولى ان يفتح المظلة تلقائيا خلال ثلاث ثوان٠ فاذا بلغ العد "الخمسة" ولم تحدث صدمة انفتاح المظلة، يكون معنى ذلك ان ثمة خللا في المظلة الرئيسية، فيقتضي، والحال هذه، المبادرة على الفور الى جذب حبل فتح المظلة الاحتياطية المربوط الى بطن المتدرب٠

وطريقة ذلك هي ان تفك غطاءي الكتفين، وهما لوحتان معدنيتان مركبتان على مفصلات قرب كل كتف في العدة، وعند فك الغطاءين تنكشف تحتهما حلقتان من السلك السميك تدخل فيهما ابهاميك وتجذبهما فتنفصل المظلة الرئيسية٠ وعليك بعد ذلك ان تجذب حبل فتح المظلة الاحتياطية٠

كنت في المجموعة الثانية من المتدربين الذين حملتهم الطائرة كي يقفزوا منها٠ وكان معي كل من بيتي ودوين٠ ولم ينبس احد منا بكلمة، فقد كانت حلوقنا جافة، وافكارنا مشغولة باشياء كثيرة مثيرة للمخاوف٠

وفتح بيل باب الطائرة، فعصفت الريح بسرعة عنيفة٠ وبينما كنت اقتعد ارض الطائرة، شبكني الى الحبل الاستاتي وامرني بان ادلي ساقي الى الخارج فامتثلت لامره لكن الريح قذفتهما نحو مؤخر الطائرة بشدة مفاجئة مخيفة٠ وخطوت فوق العجلة المثبتة وامسكت بالدعامة ثم بقيت معلقا حيث انا بينما قوست ظهري الى الخلف باقصى طاقتي٠ كنا على ارتفاع ٩٠٠ متر في الفضاء٠ وقد بدت الاشياء على الارض وكأنها نقوش بالغة الصغر٠

وكان المفروض ان اركز نظري على بيل، ولكنني لا اظن انني قد تقيدت تماما بهذا الواجب٠ وصاح هو "انطلق!"، فافلت يدي من الدعامة وتقوست الى الخلف، ثم تتابعت الامور بسرعة فائقة وببطء شديد في الوقت نفسه٠ كان علي ان اعد الثواني بصوت عال، ولكنني بقيت صامتا كالحجر٠ اما تلك الافلام السينمائية عن مشاهد الاشخاص الذين يسقطون من اعالي الصخور الشاهقة وهم يغربون في الصياح طوال فترة الهبوط، فليست سوى هراء لا صلة له بالواقع٠ فاولئك الذين يسقطون من ارتفاعات كبيرة تزدحم رؤوسهم بشتى الافكار التي لا تتيح لهم الصياح٠

الوضع الوسط ـ ولما كنت قد اغفلت العد بصوت عال، فقد تقوست بمزيد من الشدة الى حد استطعت معه ان ارى الطائرة فوقي، وكانت تلك علامة طيبة (لانني كنت اخشى بمجرد انفلاتي من الدعامة ان يشطرني ذيل الطائرة نصفين)٠ ولم يعد من حاجة

لي الى طمأنة نفسي بانه اذا كانت سرعة الطائرة ١١٠ كيلومترات في الساعة فان القافز المتدلي من الدعامة يطير هو الاخر بالسرعة نفسها، ومن ثم فهو يهبط سليما وفي منأى عن الاذى. وقد بقيت متقوسا الى الخلف على نحو يدعو الى الاعجاب، بحيث كنت انظر الى اسفل مباشرة، ثم فوجئت بصوت يتعالى داخل رأسي: "انني اهبط! وينتهي بي الامر الى حفرة دامية قانية في ذلك الحقل الى اسفل". واذا بصوت آخر ينطلق ويذكرني بانني قد تواعدت مع نفسي على بقائي في وضع القوس: ولم يكن مني الا ان اتخذ وضعا وسطا. فحافظت على تقوسي من الخصر الى اعلى، بينما انطلقت ساقاي مع سرعة الريح.

ولقد اعلمنا بيل باننا سنشعر بنزعة الى الركض في الهواء، وبان احدا لا يعرف سر ذلك. وانما قد يكون السبب هو الخوف الذي يتملكنا ولا شك، فتدفعنا غرائزنا الى العراك او الهرب فنختار الهرب عدوا ما دام لا شيء في اعالي الجو يدعو الى العراك.

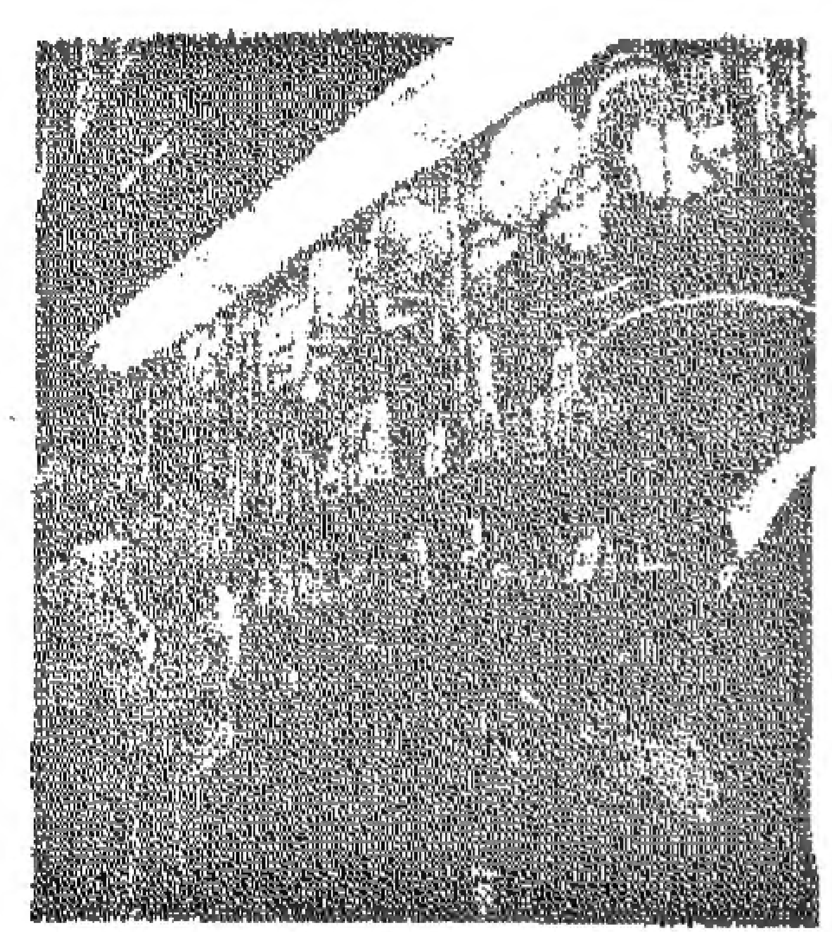
ولا ريب في ان انطلاق القافز في الهواء يبعث على تسلية وهزار الذين يشاهدون منظره من الطائرة. فما ان انقضت ثانية ونصف ثانية على مغادرتي الطائرة، حتى رحت اعدو وارقص "الفاندانغو" (رقصة - اسبانية) في الهواء. ثم احسست فجأة بجذبة تشد شريط الصدر، واذا بي في وضع معتدل تحت مظلة خضراء زاهية، اشرف على سلسلة من التلال الذهبية الناعمة كالقطيفة الصفراء، ورأيت زرقاء فسيحة الاطراف تتلألأ تحت اشعة شمس العصر وكانت السماء صامتة يسودها السكون الخشوع فتتناهى الى ذهني اصداء خفقان قلبي.

حصر موقع الهبوط - وكانت مقابض التوجيه في الموضع الذي اشار اليه بيل، ووجدت ان توجيه المظلة لا يقل سهولة عن توجيه السيارة. ورأيت الى اسفل خلال قدمي حقل الفدادين الخمسة المحروثة التي كنت آمل في ان اهبط فيها داخل مساحة معينة صغيرة ووجدت نسيما رقيقا يحملني الى الهدف فاقلعت معه وانا اراجع من آن الى آخر مقياس الارتفاع الموضوع فوق مظلتي الاحتياطية. وعلى ارتفاع ٧٥٠ مترا وجدتني لا ازال فوق حقل آخر غير الحقل المقصود يقيم فيه عدد من الثيران. وحين هبطت الى ارتفاع ٦٠٠ متر اخذت اقترب من الحقل المحروث. وما ان هبطت الى ٥٥٠ مترا حتى قابلتني مشكلة جديدة: كانت هناك شجرة واحدة في حقل الفدادين الخمسة فألفيتها تتصدى لي كأنها تعتمد ان تحول بيني وبين الهدف. حين بلغت ارتفاع ٣٧٥ مترا بدا لي انني احلق بلا حراك فوق تلك الشجرة اللعينة!

وكانت تعليماتنا تقضي بان ندير المظلة في الاتجاه المضاد للريح عندما نهبط الى ارتفاع ١٥٠ مترا ونستعد للنزول الى اليابسة. وقد نبهنا بيل الى انه اذا واجهنا اي عقبات، فيجب علينا ان نتجه الى اقرب مساحة مكشوفة. وعلى رغم ذلك كله، فهاأنذا اهبط في خط مستقيم يفضي بي الى الشجرة. وكنت ادرك ان الاغصان الحادة المنتصبة في اتجاه عمودي قد تفقأ العينين وتخترق العنق، فقررت

الترحيب بالزائرين..

طقسنا يتغير، وهذا يحدث غالباً، والمشاهد الطبيعية الخلابة تتغير أيضاً كلما اجتزت بضع كيلومترات، ولكن على هذه الأرض الخضراء المضيافة هناك شيء واحد لا يتغير:



قناطر بفنتون

حفاوتنا بالزائرين، حفاوة صديقة، حارة تهتم بك كل الاهتمام تماماً كما تريده أن يكون.

إن مكاتب الخطوط الجوية البريطانية هي أول مكان تتعرف فيه بنوعية هذه الحفاوة. إتصل بنا فنوفر لك بكل سرور جميع المعلومات عن برنامج عطلات الخطوط الجوية البريطانية واقتراحات مفيدة أخرى بما

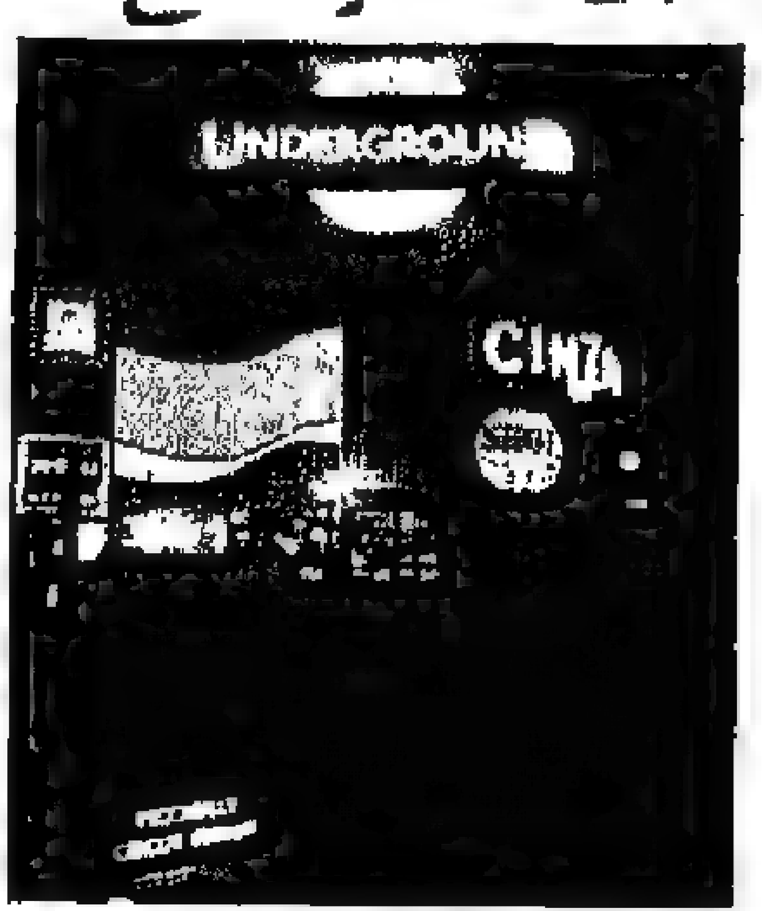
حرس الملكية في هايد بارك

تقليد قديم في بريطانيا.



حدائق كنسينغتون

يساعد العائلة بجميع أفرادها على التمتع بعطلتها على أكمل وجه بأقل قدر من الإزعاج.
عطلتنا تبدأ بالطبع بلندن وبمحلاتها الشهيرة بكل ما تحتويه من القيّم المفيد. لكن تذكروا دائماً أنه يمكنكم جمع التسوق إلى أنواع كثيرة أخرى من المتعة كالنزهة في بوند ستريت والتمتع



بيكاديللي سيركس

بمشاهدة كنوزه واجداً نفسك في نهاية المطاف وسط فضاء "بركلاي سكوير" وأشجاره الرائعة التي تعود إلى القرن الثامن عشر. إجتز شارع أكسفورد بكامله وهناك إلى الناحية الأخرى

شارع ريجنت

من "ماربل آرش" تمتد أمام ناظريك المساحات الخضراء الجميلة التي تكون حدائق هايد بارك.

شاهدوا لندن أولاً بكل ما في الكلمة من معنى. انتقلوا بواسطة الأوتوبيس في رحلاته حول لندن واستعملوا القطار فهما في متناول يدكم أينما كنتم والتعرف على المحطات سهل للغاية. ولكن بما أنكم لا تستطيعون شراء كل شيء من محل واحد فلا تنتظروا مشاهدة بريطانيا بكاملها



كامبريدج

في لندن. قوموا إذاً برحلة يوم واحد إلى خارج لندن وقارنوا ضجيجها بهدوء جامعات أوكسفورد وكامبريدج. اكتشفوا هندسة برايتون التي تعود إلى العهد الوصاية وتمتعوا

بمقاهيها وحاناتها وشوارعها الضيقة التي تثير الفضول.

قصر وارويك

بريطانيا تحتفظ لك بأشياء متناقضة تنتظرك يومياً عند كل زاوية: من القصور إلى الحقول الخضراء الغنية



روست بيف

من المحلات التي تبيع الأشياء الأثرية إلى المطاعم الفخمة، ومن الشمس المشرقة إلى الأمطار الناعمة.
منذ اللحظة الأولى التي تأتي بها إلينا لتقرر فيها برنامجك مع عطلات الخطوط الجوية البريطانية وحتى اللحظة التي تعود بها إلى بيتك سالماً سنحيطك بعناية أكبر.

British airways

ستحيطك بعناية أكثر

عطلات الخطوط الجوية البريطانية "[illegible]"

إطلب كتيب الخطوط الجوية البريطانية الأنيق بعطلات بريطانية المجاني الذي يحتوي على جميع المعلومات اللازمة. إدفع مرة واحدة واحصل على تذكرة السفر، الفندق والرحلات. نوفر أسعاراً مغرية. إطلب أيضاً كتيب العطلات السياحية البريطانية الذي يغطي جميع العطلات إلى جميع أنحاء بريطانيا العام ١٩٧٩.

بريطانيا

ان اتجنب الشجرة وانحرفت بالمظلة الى ارتفاع ١٤٠ مترا وما ان تأكدت من تجاوز الخطر حتى ادرت المظلة في عكس اتجاه الريح.

وكانت سرعة المظلة قرابة ثمانية كيلومترات في الساعة، فدارت على محورها وواجهت ريحا سرعتها ١٥ كيلومترا في الساعة، مما انتهى بي الى سرعة ارضية عكسية تبلغ خمسة كيلومترات في الساعة. وعلى ارتفاع ٦٠ مترا تقريبا، توقفت الارض عن التأرجح امام ناظري وبدت في سكون هائل، فانتقيت بقعة عند الافق وظللت احدق بها من دون انقطاع.

وكان بيل قد شرح لنا مرارا ان القافز الذي يحدق بالارض محمول على احد امرين: فهو اما ان يمد قدما واحدة نحو التراب، كالسابح الذي يحاول اختبار حرارة الماء قبل النزول اليه، واما ان يثني ركبتيه نحو صدره طلبا للوقاية. وكل من هاتين الحركتين تؤدي الى كسر الساقين. ولذلك فقد بذلت غاية جهدي كي اتحاشى النظر الى الارض، كمن يقطع مسافة كيلومتر وهو مغمض العينين. وعلى رغم اني كنت احدق النظر الى قمة تل قريب، فقد كنت ارى الارض الطيبة الداكنة تلوح الى الحافة السفلى من مجال بصري، ثم اصطدمت بالارض متقلبا على ظهري طبقا للاسلوب السليم المتبع.

ولدهشتي البالغة، وجدتني اثب الى قدمي في الحال واركض حول المظلة كي لا تجرني الريح عبر الحقل. ولم اكن على مسافة تزيد على بضع مئات من الامتار من الهدف المقصود اساسا فوق ذلك الحقل الحلو المحروث.

وبعد انفتاح مظلتي انحرفت الطائرة ودارت عائدة لكي تقفز منها بيتي التي بلغت الارض في موضع اقرب الى الهدف من اي شخص آخر في مجموعة القافزين للمرة الاولى. وكان دوين لا يزال في الطائرة ينتظر دوره. وقد انتظرنا بيتي وانا، على الارض، ولكننا لم نر اثرا لمظلته. وعندما وصلنا عائدين الى حظيرة الطائرات هبطت "السيسنا" الى الارض من دون ان يكون دوين فيها. وربت بيل بكفه على كتفي قائلا: "لقد ركضت مسافة ٥٠ كيلومترا تقريبا قبل ان تنفتح مظلتك".

قلت: "نعم، كما انني اغفلت العد ايضا".

فرد بيل: "حسنا، لقد كان اداؤك جيدا. اعط نفسك ٨٥ درجة من مئة وتذكر اخطاءك كي لا تكررها".

ووقع بصرنا في تلك اللحظة على دوين، فرأيناه يجذب عدته ليتخطى بها سورا منخفضا على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر تقريبا. وحين بلغ الحظيرة، كان يأنف التحدث الى احد على الاطلاق.

وكاد بيل الا يصدق ما حدث، وقال لدوين: "انك احجمت عن الافلات من الدعامةمما ادى الى هبوطك بعيدا جدا على هذا النحو".

فقال دوين: "نعم، نعم، نعم".

ولكني لم استطع مقاومة اغراء النكاية، فاضفت: "كان ينبغي لك ان ترى بيتي، لانها هبطت فوق الهدف بالذات تقريبا".

القفزات التالية — فاجاب دوين: نعم، نعم، نعم. اسمعوا، لا بد ان انصرف الان".

وخلال الاسبوعين التاليين قفزت

بضع عشرة مرة اخرى. وفي القفزة الرابعة بلغت مستوى طيبا في اتخاذ وضع القوس والثبات في الهواء وجذب حبل شد وهمي. وفي القفزة السادسة جذبت حبل شد حقيقي. وكانت تعليماتي بالنسبة الى القفزة السابعة ان اعد الى خمس ثوان قبل ان افتح المظلة. والثابت عمليا هو انه اذا اضيف التأخر خمس ثوان في فتح المظلة، الى فترة الجذب، فان ذلك يستغرق ثماني ثوان فتصبح سرعة غطاس الفضاء في ذلك الحين اكثر من ١٥٠ كيلومترا في الساعة وتبلغ المسافة التي قطعها ٢٥٠ مترا تقريبا في هبوط عمودي. ويصبح الاحساس عند ذاك احساس الطيران، كالذي يتحسس به السابح الواقف على حافة لوحة القفز العالية عندما ينحني منها نحو الخارج فيتلمس النقطة التي سيسقط عندها وهو يدور حول نفسه في حركة انقلاب الى الامام. وفي حال السقوط الحر، اذا بقي القافز في وضع القوس يكفيه ان يحرك رأسه حركة بسيطة الى اسفل لاحداث الاثر نفسه. واذا جذب ذراعا واحدة الى الداخل تحت جسمه، فانه يدور في الهواء متقلبا على جنبه.

ومع مرور الوقت والتدريب، تصبح هذه البهلوانيات طبيعة ثانية لدى الغطاس. والى جانب الدوران الى الامام وعلى الجانبين، يستطيع الغطاسون المتمرسون ان يقفزوا في غطسة جهنمية سريعة ورأسهم الى اسفل، او ان يعدلوا ذلك الوضع لينطلقوا عبر الفضاء في اتجاه افقي. واذا انطلقوا من مستوى الارتفاع التقليدي الذي يبلغ ٢٢٠٠ متر واخروا فتح المظلة ٣٠ ثانية فانهم يبلغون السرعة القصوى، وهي ١٩٠ كيلومترا في الساعة تقريبا، شريطة ان يتخذوا وضع القوس البطيء.

الغطاسون الماهرون - وغطاسو الفضاء المتمرسون يخرجون من الباب، دونما حاجة الى التدلي الساذج من الدعامة، ويمكنهم ان ينتقلوا عبر الفضاء في غطسة سريعة تمكنهم من الالتحاق بغطاس آخر يتخذ وضع القوس البطيء. وعند نقطة معينة فوق هذا يفرد الغطاس الملاحق جسمه في وضع القوس ثم يلتحم بالغطاس الاول بان يمسك بمعصميه. وعندما يقوم اربعة من غطاسي الفضاء بمثل هذه المحاولة فانهم يؤلفون نجمة ومن الممكن تأليف نجوم وتشكيلات اكبر من ذلك تضم ٢٠ او اكثر من غطاسي الفضاء، وهو ما يسمونه "العمل النسبي" ويمثل اعلى مستويات التعبير عن فن الغطس في الفضاء.

وفي قفزتي الثامنة تعطل حبل الشد. ويقول المراقبون الذين كانوا على الارض انهم سمعوا مني شتيمة عالية تهبط مدوية من السماء، ولكنني لا اصدق هذا القول، لانني لم اتردد لحظة واحدة، بل جذبت المقبض بكلتا يدي جذبة عنيفة ولم تلبث المظلة الرئيسية ان انفتحت.

وفي اثناء تلك القفزة، انقلب الخوف في نفسي ظهرا لبطن وتجاوزت الانتقال الخطير من وضع السقوط الى وضع الطيران. واما اذا صدرت صيحة بالفعل مني في اثناء هذا التحليق، فانني اؤثر الاعتقاد بانها لم تكن لعنة اليأس، بل انها كانت صيحة الصقر المحلق.

■ **تيم كهيل**

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المتنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...

○ عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

□ صور من الحياة: ٥٠ دولاراً

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام·

□ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق· ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة·

□ تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين· (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى)·

□ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب·

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين·

□ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصاً المطبوعات المحلية والاقليمية· وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين·

□ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل·

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة·

● شروط خاصة ●

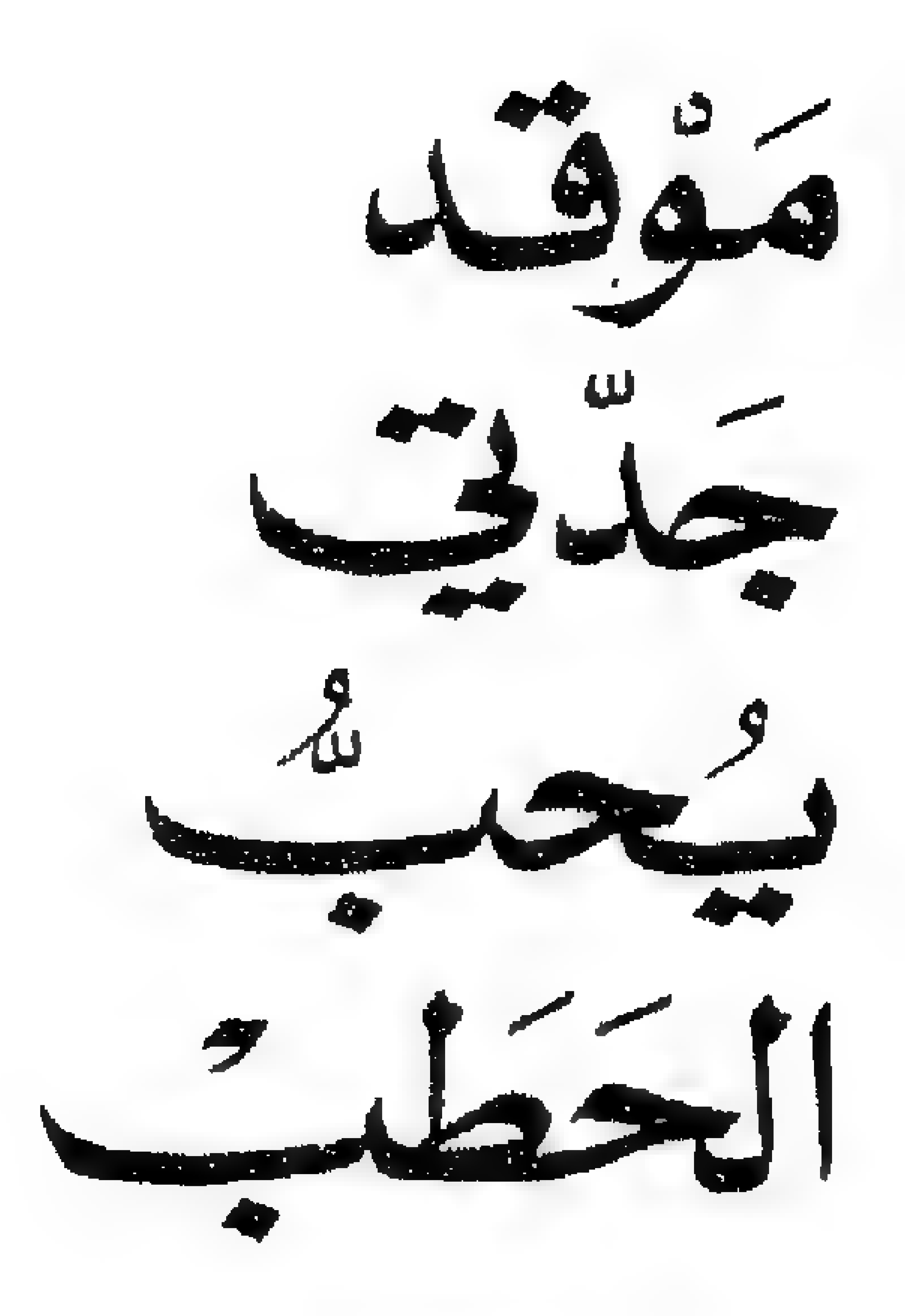
- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال·
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر·
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه·

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

مَوْقِد جَدّي يُحِبُّ الحَطَب

زيادة اسعار النفط اعادت متعة التحلق حول مواقد تنعش فيها النار الحطب الذي تقاعد منذ زمن كمصدر للطاقة و٠٠٠ الدفء٠



عندما اصبح النفط، بفضل منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك)، ثمينا مثلما كانت البهارات النادرة قبل بضع سنوات، غدت الاولوية الاولى لعائلتنا خفض استهلاك الوقود النفطي في المجال الذي كان مصروفنا يبلغ فيه ذروته٠ ومع اننا مقلون في استخدام السيارة، فكثيرا ما نستخدم التدفئة نظرا الى قسوة فصول الشتاء عندنا٠ ولذلك عمدنا الى خفض درجة جهاز ضبط الحرارة (التيرموستات)٠

اما سبب تأخرنا في التفكير في امر يتجاوز هذه الخطوة الدفاعية فيحتمل ان تكون له صلة باعتمادنا التكنولوجيا الاوتوماتيكية اعتمادا اعمى٠ ولكن مهما يكن السبب، فقد قضينا فصلي شتاء ونحن نرتعش في الداخل من شدة البرد قبل ان يتضح لنا ان اذكى حل يمكن ان نواجه به مشكلة نقص النفط هو استخدام الحطب٠

عندما كنت صبيا صغيرا كنت اقضي اجمل اوقاتي متمددا على بساط ثقيل من نوع بسط قبائل "نافاهو" الاباشية امام الموقد المنتفخ البطن الذي كان يتصدر حجرة الجلوس في بيت جدي في مزرعتهما في نيو مكسيكو. وكان ذلك الموقد المزخرف مزودا في واجهته الامامية بنافذة شفافة مصنوعة من مادة الميكا. وكانت النافذة مسودة الحواف بفعل الدخان، لكنها كانت مصفرة اللون عند الوسط وشفافة الى حد يسمح برؤية لمعان لهب النار الكهرماني. وعندما كانت فتائل قناديل الزيت تنوس، كان الموقد القديم يرمي بضوئه الناعم المتألق في الغرفة، فارى ظلالا متراقصة في ارجائها جميعا.

وفي امسيات الشتاء كان جدي يجلس مع صديق او صديقين في مقاعد سخية الحشو وهم يلفون السجائر ويتبادلون الحكايات في تلك الغرفة المعتمة جزئيا. وكانوا يتحدثون عن مناجم الذهب المخبوءة في اعالي الجبال، وعن عصابات قطاع الطرق المتجولين، وعن فصول الشتاء الفظيعة التي لم تبق سوى الدهاة الماكرين والمحظوظين. وكنت، في تمددي على ارضية الحجرة واطمئناني الى اصواتهم الرقيقة الهادئة، ودفئي المستمد من ذلك الموقد الكبير، اشعر باني دنوت من النعيم الى اقصى حد ممكن.

الموقد اللجوج – اما موقد الحطب في مطبخ والدتي فكان له دور مختلف تماما. فهو كان واسعا ضخما وكان يتطلب مني ملازمة تزويده بالحطب. وكنت صباحا ومساء، خلال الصيف والشتاء، اقصد كومة الحطب في الخارج فانقل منها احمالا الى المطبخ. وسرعان ما فهمت الاقتصاديات الحقيقية القاسية للطاقة، وهي ان كل دزينتين من الكعك الصغير تعادلان حمل حطب، اما عشاء الاحد من الدجاج والزلابية فمعناه نقلات لا نهاية لها.

ولم يكن سهلا، بالنسبة الي، ان اتعلم تطويع الموقد لارادتي، اذ كانت له صمامات لضبط تدفق الهواء، كما كان له خزان ماء ينبغي ملؤه. وكان هناك وقت ملائم للاشعال، ووقت للحطب، ووقت للفحم.

ومع وجود اربع ادوات لضبط تدفق الهواء، فان الاحتمالات الممكنة لاستعمالها تكاد تكون بلا نهاية، كأنها تنويعات في لحن موسيقي. وهي جميعا استعمالات ذات فوائد، اذ يمكن ان تزيد او تخفف من حرارة الموقد وان تجعل الدفء طويل الامد كالزواج المريح، او سريعا وحارا كفورة غرام في عطلة نهاية الاسبوع. وحركات الضبط هذه تعلم المرء، في نهاية الامر، نوعا من الانضباط، والحق انه لم يمض وقت طويل حتى تعلمت ان القوى المادية الطبيعية لا يمكن التحكم بها الا بالعمل معها. فالاوكسيجين والوقود والحرارة هي العناصر المكونة للنار. وعندما رسخت تلك الفكرة في رأسي الصغير، اقلعت عن لعب دور الديكتاتور المستبد الرادع حيال الموقد، واصبحت، بدلا من ذلك، عازف ارغن قادرا على استنباط ادق درجات الحرارة.

وكبرت وتزوجت ورحلت الى نيويورك. واشترينا منزلا في الريف، وفرشنا معظمه بقطع اثاث متنافرة



FAVRE-LEUBA
Genève
"FLATLINE QUARTZ"

ابتعناها من المالك السابق. وعندما اوشكنا على استهلاك ميزانيتنا، سألنا المالك السابق اذا كنا نود الاحتفاظ بموقد الحطب الموجود في المطبخ.

كان الموقد قطعة قديمة غير جذابة، ومطلية بالدهان الابيض الصقيل. وكان ضئيل الجدوى بالنسبة الينا، الا كرف للنباتات وادوات المطبخ. لكني طلبت اليه ان يتركه لنا.

وخلال فصل الشتاء الاول الذي قضيناه هناك، القيت احمالا كبيرة من خشب التفاح في مدفأة غرفة الجلوس، فيما ابقيت موزع التدفئة المركزية مشتعلا ليلا ونهارا، من نوفمبر (تشرين الثاني) حتى مارس (آذار). وكان النفط رخيصا آنذاك. وفي السنوات التالية كنت اقلق لاستهلاك المدفأة اكثر من قلقي لفاتورة النفط. وبقيت على تلك الحال الى ان سددت منظمة اوبيك ضربتها.

وعندما تجاوز سعر النفط ضعفي ما كان عليه، خفضنا درجة ضابط الحرارة (التيرموستات) وارتدينا مزيدا من الثياب. واصبحت الحمامات الساخنة هواية محببة لدينا، واصبح كل منا انظف من مبضع جراح. غير اننا لم نشعر قط بدفء تام. نعم، لقد كنا نبقي المدفأة مشتعلة طوال الوقت، وهي تمتص كل ذلك الهواء الثمين المدفأ بالنفط وتحمله الى الخارج. وارتفعت فواتيرنا الكهربائية نظرا الى كثرة استعمالنا الفرن الكهربائي للمساعدة في تدفئة المطبخ. ثم حدث في احد الايام القارسة البرد ان انقطع عنا التيار الكهربائي، فغدونا بلا مدفأة ولا فرن. ونقلت النباتات عن موقد الحطب واشعلت فيه النار للمرة الاولى.

ليالي الشتاء - واخذت امور غريبة، ولكن مألوفة، تحدث في منزلنا، اذ رحنا نجتمع كلنا حول الموقد. وبعكس حجرة الجلوس حيث كانت المدفأة مستعرة النار، كان المطبخ مشبعا بالدفء وليس فيه تيارات هوائية باردة تثلج ارجلنا. واخذ اطفالنا، الذين اعتادوا اتمام واجباتهم المدرسية في غرف منفصلة، يجتمعون حول مائدة المطبخ، وبدا الاصحاب اشد راحة وطمأنينة واكثر مؤانسة، وراحوا يتناوبون "تحميص" انفسهم امام الموقد. وباتت البرامج التلفزيونية في ركود مقابل الاحاديث الحية الطريفة.

غير ان المطبخ كان ذا سيئة واحدة هي التقلب. فاذا برد، كان علينا ان نستعين بكميات من الورق وان نشعل نار موقده قبل ان تدب فيه الحياة. واذا غادرناه في رحلة الى محل البقال او لتناول العشاء في الخارج، كنا نعود فنجده فاقدا دفئه. وقد اشعلت نيرانا كثيرة ذلك الشتاء، واوقدت مقدارا كبيرا من الحطب وانا ارتعش في ثياب النوم.

وفي السنة التالية اشترينا موقد حطب لحجرة الجلوس. وما ان ركبناه بامان وجربناه حتى بدأ يفعل فعله ويخلق كل ذلك السحر الذي اذكره منذ حداثتي. ولم نعد نأخذ دوشا في منتصف الليل، كما لم نعد ندفع فواتير كهرباء قاصمة للظهر. وغدت حجرة جلوسنا دافئة حقا من جديد، للمرة الاولى منذ عام ١٩٧٣. واصبحنا نتلاقى هناك فنتحدث ونقرأ - احيانا

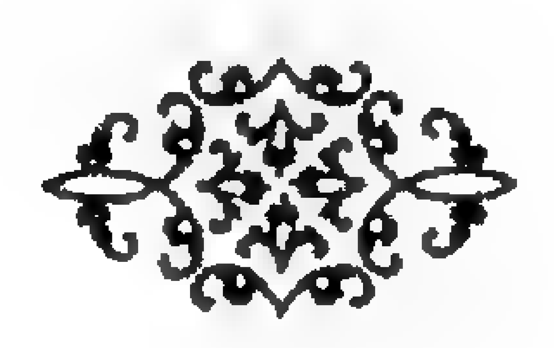
– متمتعين بدفء الموقد ورفقة بعضنا بعضا . فقد شدنا الموقد الى حرارته وحيويته وساعدنا، بوضعنا حوله، على تسلية انفسنا وتهدئة تململنا، وغطانا بدفء يسرح فيه الخيال ويلمع ويرقص بحرية مع الظلال المتراقصة .

وعندما اجتمع وزراء اوبيك في المرة الاخيرة لبحث رفع الاسعار، انتظرت نتائج مداولاتهم باهتمام وترقب، ولكن دونما قلق .

صحيح ان موقدنا لن ينتج اسمدة او اطارات سيارات او مواد بلاستيكية، ولكنه سيدفئنا طوال الشتاء . والواقع ان اوبيك اسدت الى عائلتنا معروفا كبيرا .

لقد احيت ازمة النفط مرة اخرى مباهج مكان تجمع رئيسي هو قلب المنزل الدافىء حقا، حيث تجري امور كثيرة عظيمة الاهمية . وقد وثق هذا علاقة بعضنا ببعض . ولهذا وحده اشعر باعمق الامتنان .

■ جيرالد مور



ليس اسوأ حظا ممن تجافيه المصائب، اذ لن تتاح له فرصة اثبات وجوده .

سنيكا

التاريخ يعيد نفسه

قبل ١٩٠٠ سنة كتب الحكيم الروماني الساخر مارشال:
من كان يدري ان الشعر الذهبي على رأس كالا هو شعرها ؟
لكنها تقسم على انه شعرها .
وهي محقة في قسمها
فأنا اعرف من اين اشترته .

سر السعادة الزوجية

في اليوبيل الذهبي لزواجها، روت جدتي لضيوفها سر سعادتها الزوجية: "يوم زفافي قررت ان اعد قائمة اضمنها عشرا من مثالب زوجي التي يجب ان اغض الطرف عنها لمصلحة زواجنا" .

وفيما كان الضيوف يتهيأون للخروج، دنت منها سيدة شابة كانت تواجه مشاكل زوجية اخيرا، وسألتها عن بعض المثالب التي اختارت غض الطرف عنها .

فأجابت جدتي: "بصراحة، يا عزيزتي، لم اتوصل مطلقا الى تسجيلها . ولكن حيثما اتى زوجي عملا يثير غضبي الشديد، كنت اقول لنفسي: لحسن حظه، هذا واحد من بين عشرة" .

رودريك ماكفرلين

قسيمة اشتراك

اشتـرك في المجـلة التي يقـرأهـا أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغـة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

NAME .... الأسم
ADDRESS .... العنوان
....
....
PROFESSION .... المهنة
SIGNATURE .... التوقيع

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

- ☐ أوروبا وشمالي افريقيا — ٢٢ دولاراً أمريكياً
- ☐ البلدان العربية — ٢٥ دولاراً أمريكياً
- ☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية — ٢٧ دولاراً أمريكياً
- ☐ أوستراليا والبلدان الأخرى — ٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

الصين

بدأت رحلة الحياة الجديدة

الصين على عتبة تغيرات اساسية، فالكلمة الرسمية في بكين لم تعد تصدر عن ماو، وبدأ قرابة الف مليون صيني يتذوقون طعم امور كثيرة كانت محظورة عليهم.

انكبت العاملات الماهرات في احد مصانع الفخار في مدينة فوشان، قرب كانتون، على وضع اللمسات الاخيرة على تماثيل الفخار الصغيرة. وقد علق على الحائط اعلان مصور يبرز أهم الانجازات التي حققها العمال: ١٢١ من العمال الـ١٥٦ الذين يشتغلون في الورشة لديهم دراجات او ماكينات خياطة، بينما يقتني ٨٤ منهم ساعة معصم، و٢٩ غيرهم اجهزة راديو او مراوح كهربائية.

ولقد كان مثل هذا الاعلان امراً شائناً لثلاث سنوات مضت، اي قبل وفاة ماو تسي تونغ في ٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦، باعتبار انه مدعاة صارخة لخدمة مصالح العمال الذاتية المادية، وبالتالي "يعد" انسياقاً في "طريق الرأسمالية". اما الان فقد اصبح ماو ذاته عرضة للنقد العلني، بعد ان ظل اكثر من ثلاثين عاما قائد الصين العظيم المنزه عن الخطأ. كما اصبحت جدران بكين مكتظة بالملصقات المطالبة بمزيد من الحرية للشعب تمكينا له من التعبير عن رأيه.

واسرت الى احدى العاملات الشابات التي التقيتها خلال الشتاء الماضي في احدى الحدائق العامة في كانتون: "نود لنا الان حياة طيبة، ولا نريد ان نجهد انفسنا في العمل مثلما فعل آباؤنا، بل نرغب في الاستعانة بالآلات في تحمل متاعبنا". ولقد كان لمثل هذا الحديث، مع زائر اجنبي، خطورته حتى في الصيف الماضي، بالنسبة الى اي مواطن صيني. الا ان هذه المرأة الشابة كانت تغتنم فرصة تخفيف القيود المفروضة على حرية التعبير، لكي تتحدث بالانكليزية التي اصبحت تستهوي الصينيين في وضوح هذه الايام.

اما في ما يتعلق بالسياسة، فقد اعترفت بان الصين تحتاج الى وضع حد للتناحر الذي اتسم به العقد الماضي. فقالت: "لقد كانت لنا ثورتنا السياسية، ونحن الان في حاجة الى ثورة اقتصادية تتيح لنا اللحاق بركب الغرب".

شيوعية الاستهلاك ــ وقد ذهل كثير من الصينيين لتنفيذ زعماء بكين الجدد السياسات الكفيلة بتحقيق امنية تلك العاملة الشابة، اي تحديث الاقتصاد الصيني بحلول القرن الجديد وتوفير حياة افضل واكثر انفتاحا للالف مليون مواطن صيني. ويحتمل، عما قريب مثلا، ان يتوجه الزائر الامريكي الى بكين على متن طائرة تابعة لشركة "بان اميركان"، وان يقيم في فندق انشأه ويديره الاجانب، وان يستخدم بطاقة "دينرز كلوب" لشراء بعض التحف الصينية القديمة، بل وربما تسنى له ان يتناول وجباته ايضا في مطعم انشىء بارشاد شركة "ماكدونالد".

بيد ان هذه ليست سوى بوادر ظاهرية لتحوّل جذري. فان بكين تجري الان مفاوضات لشراء مصانع للصلب من المانيا الغربية، والحصول على معونة فنية وتجهيزات لسكك الحديد من اليابان، ومعدات عسكرية ومنشآت لانتاج الطاقة النووية من فرنسا، وطائرات مقاتلة من بريطانيا. وربما كانت الصفقة الكبرى هي تلك التي تتكفل بموجبها بضع شركات نفطية امريكية بالتنقيب عن الموارد البترولية الصينية الضخمة الكامنة في عرض الشواطىء الصينية. وقد توافد رجال المصارف من شتى انحاء العالم الى الصين واحدا تلو الآخر سعيا الى المساهمة في تمويل هذه الصفقات الهائلة التي تبلغ قيمتها ٦٠ مليار دولار.

ويعترف المسؤولون الصينيون بان بلادهم تواجه الان مشكلة تخلف رهيبة لا بد للصين من التغلب عليها. وهي عزمت على ابرام عقود لهذا الغرض مع شركات اجنبية من اجل انشاء مصانع مشتركة في الصين تستخدم المعدات والتقنيات الغربية والايدي العاملة الصينية الرخيصة. ومن سخرية القدر ان يكون هذا التوافق بين التقدم التكنولوجي الغربي والايدي العاملة الرخيصة هو الذي ساعد على استسراع عملية التنمية في كوريا الجنوبية وهونغ كونغ وتايوان.

وبالاضافة الى هذه السياسات الاقتصادية الجديدة التي تعد بمثابة تبرؤ من آراء ماو في ما يتعلق باعتماد الصين على نفسها والتفاخر بجهدها الذاتي، فقد برزت بعض بوادر التغيير في حياة الصينيين

الخاصة. فهناك عدد من النساء الصينيات اخذن يصففن شعورهن ويرتدين من جديد الازياء العصرية التي نبذتها الثورة الثقافية واعتبرتها شعار التدهور والانحطاط. كذلك القراء، فقد اصبحوا يوجهون الرسائل على نحو منتظم الى صحيفة "الشعب" اليومية، وهي صحيفة الحزب، يطالبون فيها باصلاحات جديدة كالترخيص بعرض الافلام الاجنبية وفتح ابواب المكتبات الصينية المحدودة. وثمة رسائل اخرى تشير الى نقص في اللحوم والخضر، بل وينطوي بعضها على التذمر من انعدام كفاية بعض المسؤولين عن الحزب، او من اوضاع الانفصال الطويل بين الازواج والزوجات من جراء قيامهم بالعمل في مدن مختلفة.

بيد ان الباعث الاكبر على الدهشة هو هذا الطوفان المفاجيء من الملصقات الجدارية التي تدعو الى مزيد من حرية التعبير وتأمين الحق في اختيار المسؤولين عن طريق الانتخاب.

وقد انطلقت مسيرة لم يسبق لها مثيل وسط مدينة بكين في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، اشترك فيها ما بين خمسة وستة آلاف شاب صيني، وهم يهتفون: "تحيا الديموقراطية". وقال احد جنود "جيش التحرير الشعبي" لممثل ديبلوماسي في بكين ان دستور الصين يكفل كل هذه الحقوق "بيد انها لا اثر لها في الواقع. فلم يجرؤ احد منذ سنوات على التعبير عما يدور في خاطره".

وكان ماو يحتقر المثقفين، وحاول القضاء على الاعتقاد الصيني التقليدي بان اولئك الذين يعملون باذهانهم افضل من الذين يعملون بايديهم. اما الان فان الاساتذة والعلماء سيتحررون من الالزام الذي فرضه عليهم ماو بقضاء معظم وقتهم في ممارسة العمل اليدوي. وفضلا عن استعادة نظام امتحانات الالتحاق بالكليات، فقد انشئت مدارس خاصة للاطفال الموهوبين سعيا الى اعداد صفوة مثقفة باسرع ما يمكن.

وهناك تغييرات كذلك في مجال التنظيم الصناعي. فقد بدأت الصين تخطو نحو مقدار محدود من المبادرة الاقتصادية الفردية، بما يتيح للمصانع ان تتعامل مباشرة بعضها مع البعض، مع مراعاة ربط اجور المديرين والعمال بمربحية المصانع التي يعملون فيها. بل وبدأت اعادة النظر ايضا في المشروعات الجماعية الشعبية. فقد اتيح للفلاحين، على اساس تجريبي، مزيد من الحرية في استغلال اراضيهم الزراعية، ومقدار اكبر من المرونة في اختيار ما يزرعونه في الاراضي الجماعية. وفي غمار هذه العملية، يحتمل ان تؤول من جديد سلطة اتخاذ القرارات الى الاسرة الكبيرة العريقة.

ساعة الاعراض المتزامنة - واما تصميم هذه السياسات الجديدة فيعود الى تنغ هسياو بنغ النائب الفظ لرئيس الوزراء الذي اقصاه ماو في اثناء تطهير الحزب في "الثورة الثقافية" بسبب نزعته السياسية التي وصفت بانها "يمينية"، ولم يلبث ان اعاد اليه اعتباره، ثم اطاحه مرة اخرى في ١٩٧٦، ليعود مرة ثانية الى المسرح السياسي خلال عام ١٩٧٧، بعد مرور عام تقريبا على وفاة ماو.

وقد تابع تنغ من منفاه الجبري جميع الاخطاء التي ارتكبت في اثناء السنوات الاخيرة من عهد ماو. وبعد ان نبذه نظام ماو فقد عاد وكله تصميم على نبذ النظام ذاته، مسترشدا في ذلك بتصوره لعظمة مستقبل الصين.

وكل شيء في شخصية تنغ يدل على ما للرجل من قوة ونشاط، وعلى اعتزامه على الانتهاء السريع من هراءات السنوات الاخيرة، وعلى النهوض بالصين ودفعها من جديد في طريق التقدم. وقد يعزى ذلك الى حصافة السن، فهو من مواليد ١٩٠٤، ويبلغ اذاً ٧٥ عاما: رجل تقدمت به السن فأصبح يتطلع الى انجاز الكثير على عجل. الا انه قد عرف ايضا منذ عهد طويل بنزعته الواقعية والعملية. وقد اتهم في اثناء الثورة الثقافية بانه قال: "لا يهم اذا كانت القطة سوداء او بيضاء، فهي قطة جيدة طالما هي تصطاد الفئران". وخلال العام ١٩٧٨ اعلن تنغ عن مذهبه السياسي الجديد ومؤداه ان كل شيء في الصين ينبغي ان يرتكز على افتراض علمي بسيط هو: "استقاء الحقيقة من الواقع العملي". ونتيجة لذلك اضاف تنغ افتراضا آخر: "الواقع العملي، لا اقوال ماو، هو المعيار للحقيقة".

ويبدي الشعب الصيني اعجابا ملحوظا بشخصية تنغ وسياسته وتلك ظاهرة تبعث على الطمأنينة والارتياح بعد الاضطراب السياسي والفوضى الاقتصادية اللذين شهدهما العقد الاخير. غير ان بعض الصينيين، بما لديهم من حس قوي بالتاريخ، يتذكرون ان الصراع بين المحافظين من اوائل دعاة الثقافة الوطنية مثل ماو، والمحدثين من انصار الاصلاح مثل تنغ، قد تأرجح جيئة وذهابا على نحو يكاد يماثل الايقاع الاحيائي في الصين.

واما الان، فقد اصبح زمام السلطة في يد تنغ، ويقضي "زمرة الاربعة"، وهم الاشد حماسة لماو، ايامهم في السجن. ولكن هناك بعض المسؤولين لا يزالون يترددون في تنفيذ السياسات الجديدة او يعارضونها.

وتعاني الصين اليوم ازمة سلطة. فقد حل التهكم والفتور وانخفات الحس الاخلاقي محل الكثير من الحماسة السابقة للثورة الشيوعية. ولقد ساعد ماو ذاته في زعزعة المعنويات من خلال عمليات التطهير ضد مناوئيه من قادة الحزب، وامتهانه لقواعده النظامية. وقد افضت هذه التقلبات السياسية الى اذى لحق بشعور الكثيرين من المسؤولين الصينيين. وصرح أخيرا رئيس فرع الحزب في اقليم هيونغ كيانغ: "انه لمن الصعب التمييز بين الخطوط السياسية السليمة والخاطئة. ويكاد يتحتم على المرء ان يضل سواء السبيل".

وقد اتضح الان، بعد انقضاء فترة من الزمن، ان عمليات التطهير كانت تجري على نطاق واسع جدا خلال السنين العشر الاخيرة. فقد فضحت الصحف الصينية في الاشهر الاخيرة عددا مذهلا من الاضطهادات السياسية. ففي شنغهاي مثلا، عذب المتطرفون عمدة سابقا يبلغ ٦٧ عاما من العمر حتى لقي حتفه. وفي ولاية كيرين، سجن خطأ ٢٨٦٠ شخصا من المسؤولين المحليين بعد اتهامهم

بالانتماء الى احدى شبكات التجسس وارغامهم على الاعتراف بالتهم المنسوبة اليهم. ومنذ شتاء عام ١٩٧٧، اطلق ١٠٠٠٠٠ شخص لا يزالون معتقلين منذ عشرين عاما بسبب اتهامهم باليمينية.

موضوع الانتقام - وربما كان العامل الاساسي في تنفيذ خطط التحديث في الصين، يكمن في قدرة قادتها على صون الوحدة الوطنية. والواقع ان كثيرا من الصينيين يشعرون برغبة أكيدة في الاستقرار وفي تجنب اخطاء الماضي. ومن بين الادلة في هذا الصدد ان صرف كبار المسؤولين من الخدمة يتم الان بطريقة اقل صرامة من ذي قبل، مما يحد كثيرا من النتائج السياسية المترتبة على ذلك. ويقول تنغ فضلا عن هذا، انه لا يعتزم القيام بتعديل كبير في القيادات الحزبية العليا.

بيد ان المرارة التي ولدها العقد الماضي، لن تختفي آثارها بسهولة. ولم يزل موضوع الانتقام يسود الحياة السياسية في بكين، وكأنها مأساة شكسبيرية لا نهاية لها. ولعل في تسلسل القيادات الحزبية انعكاسا لهذه المشكلة وابرازا لابعادها. فقد ذهب تنغ ضحية الثورة الثقافية، بينما ارتقى هوا كيو فنغ، رئيس الحزب الشيوعي ورئيس الوزراء، والذي اختاره ماو خليفة له، مدارج السلطة خلال تلك السنوات.

ويؤكد تنغ في تصريحاته العلنية على عدم وجود اي تعارض في الرأي بينه وبين هوا. ومن ناحية أخرى، فان الرئيس هوا الذي لا يتجاوز الثامنة والخمسين يعتبر اهلا للتعاون مع تنغ، كما يعتبر هذا التعاون اداة لاستقرار الصين على المدى الطويل.

ولقد ابدى هوا قابليته لمجاراة تنغ في آرائه. فبعدما قام تنغ في الصيف الماضي (١٩٧٨) برحلته الى رومانيا ويوغوسلافيا، وهي اول زيارة له خارج الصين، بدأ هوا في دعوته الى الاسراع في تنفيذ الخطط الانمائية في الصين. واما اذا تعثرت العلاقات بينهما، فمن المحتمل ان تنشأ عن ذلك مشكلة من ادق المشكلات التي تواجه الصين، وهي مدى الاسترسال الممكن في الحط من قدر ماو وخفض منزلته. ففي الربيع الماضي بدأت بحذر شديد الحملة التي نظمها تنغ لزحزحة ماو عن سدته السامية وذلك عندما توقفت الصحافة الصينية عن طباعة اقوال ماو المأثورة بحروف عريضة بارزة. وبعد ذلك نشرت صحيفة الحزب في شهر يوليو (تموز)، خطبة لم يسبق نشرها القاها ماو عام ١٩٦٢ ويعلن فيها انه يتحمل مسؤولية "مواطن الضعف والاخطاء في عملنا" ابان الوثبة الكبرى المشؤومة الى الامام. وفي شهر اوكتوبر (تشرين الاول)، بدأت صحيفة الحزب تفضح الزيف في "الكتاب الاحمر" الصغير المشهور الذي يتضمن اقوال ماو، واعلنت ان "الشعب الصيني قد دفع ثمنا غاليا جدا" لتأليه الرئيس ماو. واخيرا، تناولت الصحافة بالنقد الثورة الثقافية ذاتها. ووصفت تلك الحقبة من تاريخ الصين بانها كانت "ديكتاتورية فاشية مضادة للثورة".

افهل فتح تنغ "علبة باندورة السحرية"؟ وعمّاذا ستسفر يا ترى هذه السياسة الجديدة التي يقودها تنغ؟ وكيف ستكون عواقبها؟

تغيير الشركاء ـ لا تزال السياسة الخارجية الصينية مرتكزة على معاداة الاتحاد السوفييتي. الا ان قادة الصين في سعيهم الى الحصول على مصادر جديدة للتجارة والتكنولوجيا، تنفيذا لبرنامج الاصلاح والتحديث، قد سارعوا الى تعديل مواقفهم من اصدقائهم القدامى واعدائهم. فبعدما كانت البانيا ذات يوم هي الحليف الوحيد للصين في اوروبا، تباعدت عنها الصين وتقاربت مع يوغوسلافيا عدوة البانيا اللدودة، باعتبار انها شريك اكثر نفعا. وفي آسيا، تورطت الصين في صراع مع فيتنام التي كانت تساندها، منذ ثلاث سنوات فقط، ضد الولايات المتحدة. وترى بكين ان هانوي ليست الان سوى "كوبا آسيوية"؛ اي انها عميل. ومن ناحية اخرى فان اليابان التي اجتاحت الصين في الحرب العالمية الثانية، قد اصبحت الان صديقها الاول الحميم في العالم غير الشيوعي. ومن المرجح ان تغدو اليابان المصدر الرئيسي للتكنولوجيا الجديدة التي تفتقر اليها المصانع الصينية. ويخامر موسكو شعور بان بكين تحاول جذب طوكيو الى حلف ثلاثي معاد للاتحاد السوفييتي يضم الصين واليابان والولايات المتحدة الامريكية.

واكبر التغييرات(★) التي تبعث على الذهول في سياسة الصين الخارجية هو ذلك الذي طرأ في ديسمبر (كانون الاول) الماضي ١٩٧٨؛ عندما اعلنت جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية انهما ستستأنفان العلاقات الديبلوماسية الكاملة بينهما اعتبارا من ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩. بل ويمكن القول انه حتى قبل اعلان استئناف العلاقات الديبلوماسية رسميا، كانت هناك بوادر تشير الى تحسن العلاقات بين البلدين. فقد وافقت الصين على تبادل الطلبة مع الولايات المتحدة، وكانت تجري مفاوضات معها لشراء تابع فضائي اصطناعي للاتصالات.

وازاء هذه التغيرات، ماذا عسى وضع الصين ان يصبح بعد ١٥ عاما؟ في سبتمبر (ايلول) الماضي، اطلقت صحيفة "كوانغمنغ جيه باو" البكينية لخيالها العنان، ونشرت مقالا على نمط القصص العلمية الخيالية، وكان هذا اول حدث من نوعه في الصحافة الصينية. قال كاتب المقال: "هبطت الطائرة في بكين في ٤ مايو (ايار) ١٩٩٤، فوجدت ان كل شيء فيها قد تبدل. واسترعت انتباهي خصوصا الثياب التي كان يرتديها الناس، فهي تغيرت كثيرا عما كانت في السبعينات، ولم تعد موحدة الطراز كما كانت من قبل".

وشاهد الكاتب برجا من الصلب يبلغ ارتفاعه ٣٥٠ مترا، ومكتظا بالمطاعم والحوانيت. وامتلأت شوارع بكين بالنقالات الميكانيكية للمشاة. و"شاهدت ايضا مبنى ضخما مذهلا، كان محلا تجاريا كبيرا يديره حاسب الكتروني من غير ان يكون هناك بائعون".

■ **فوكس باتر فيلد**

رئيس مكتب "النيويورك تايمس" في هونغ كونغ

(★) هذا الجزء من المقال لم يقتبس من "نيويورك تايمس".

حوار مع "سكان" الفضاء الخارجي

آذان أمريكية وسوفييتية في النافذة الأرضية

منذ عشرات السنين واجهزة الاتصال الارضية تلتقط اصواتا آتية من بعيد... بعيد في العوالم الاخرى. وثمة اعتقادات عدة بان هناك كائنات تحاول الاتصال بنا، فهل هذا معقول وممكن؟

لقد اصبح معظم علماء الفلك على اقتناع باننا لا نستأثر وحدنا بهذا الكون الشاسع، وبان هناك حياة عاقلة تنبض على الكواكب الطافية حول مليارات من النجوم والشموس التي تمخر الفضاء. وفي هذا الصدد، يلاحظ فرانك دريك، مدير المركز الوطني للفلك والغلاف الايوني (*) في جامعة كورنيل الامريكية: "ان العمليات الكيميائية التي تبيّن لنا انها العنصر الاهم في تكوين الحياة على الارض ليست هي الا النتائج العادية لقوانين الكيمياء، ومن المتوقع انها قد حدثت في اماكن عدة من الكون". اما كارل ساغان، مدير مختبر جامعة كورنيل للدراسات الكواكبية، فيقدر من جهته بمئة مليار عدد الكواكب الملائمة للحياة في مجرة الطريق اللبني وحدها، بل ان هناك "آذانا" الكترونية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وكندا تصغي الان لالتقاط ما قد يصدر عن هذه الكواكب من اشارات.

المحاولات الاولى – وقد جرت المحاولة الاولى لالتقاط اتصالات الراديو الواردة من الفضاء خلال عام ١٩٦٠، في "مشروع اوزما" (**)، في مرصد الراديو الفلكي الوطني قرب

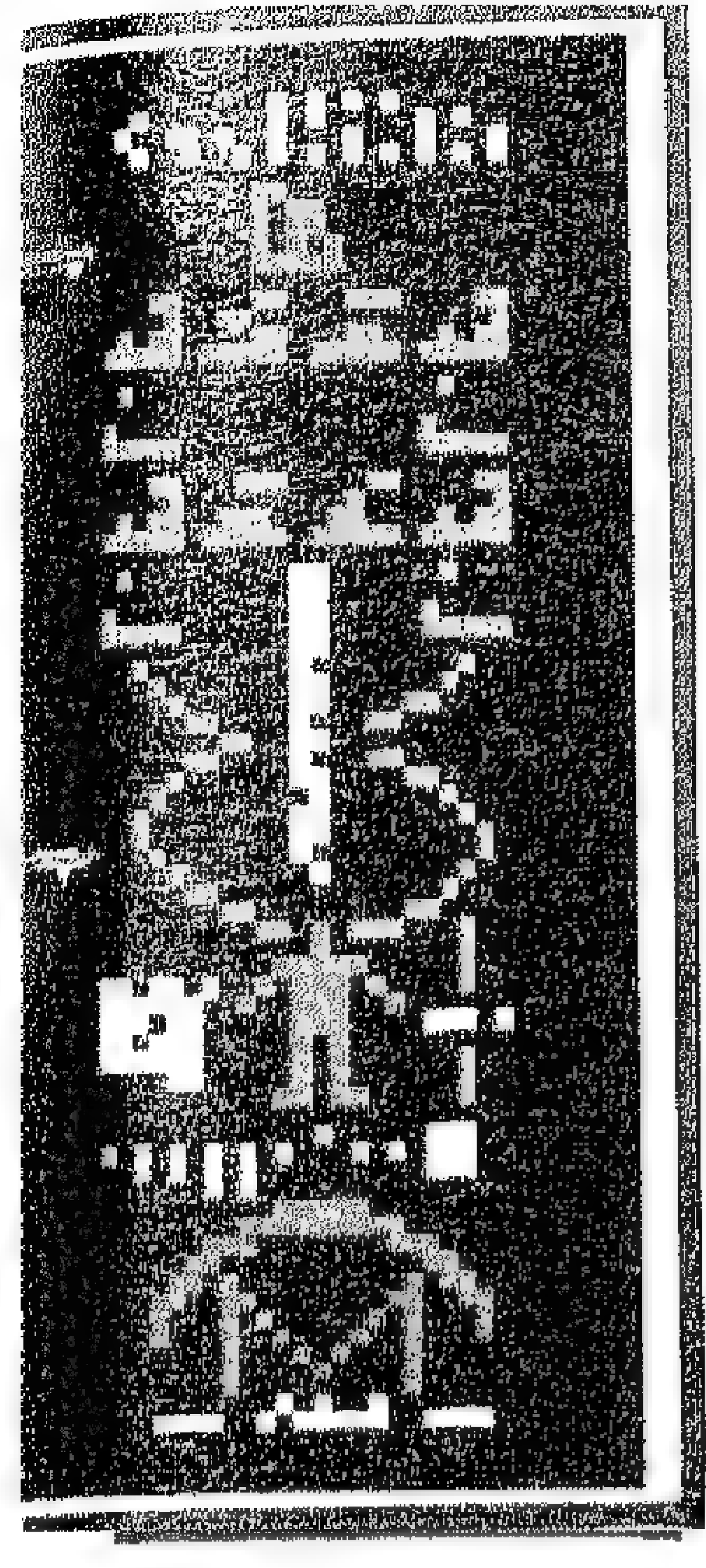
(*) – الجزء من جو الارض الذي يبدأ على ارتفاع ٤٠ كيلومترا تقريبا ويمتد في الفضاء الى ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر أو أكثر.

(**) – جاء في كتاب المؤلف ا. فرانك بوم "أرض اوز" ان الاميرة اوزما قد حكمت مكانا "قصي البعد يتعذر الوصول اليه ويقطنه سكان على حد كبير من الغرابة".

مدينة غرين بانك في ولاية فرجينيا الغربية: ففي مشروع "اوزما - ١" ثم مشروع "اوزما - ٢" الذي استمر تنفيذه من عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٧٥، رصد العلماء اكثر من ٦٥٠ نجما من النجوم القريبة، آملين في ان يلتقطوا اي اشارات تعلو على ضوضاء الراديو الطبيعية المنتشرة في الفضاء الكوني أو ٠٠٠شيئا يقول عنهم: "انكم لستم وحدكم، فهيا انضموا الى نادي المجرة". وكان المتوقع ان تتخذ الاشارات الرمزية شكل معادلة رياضية يتبين منها، مثلا، الوزن الذري لعنصر ما، كاليورانيوم او اي شيء آخر يمكن تمييزه كاشارة مرسومة اصطناعية. غير ان العلماء لم يتمكنوا من التقاط اي اشارة.

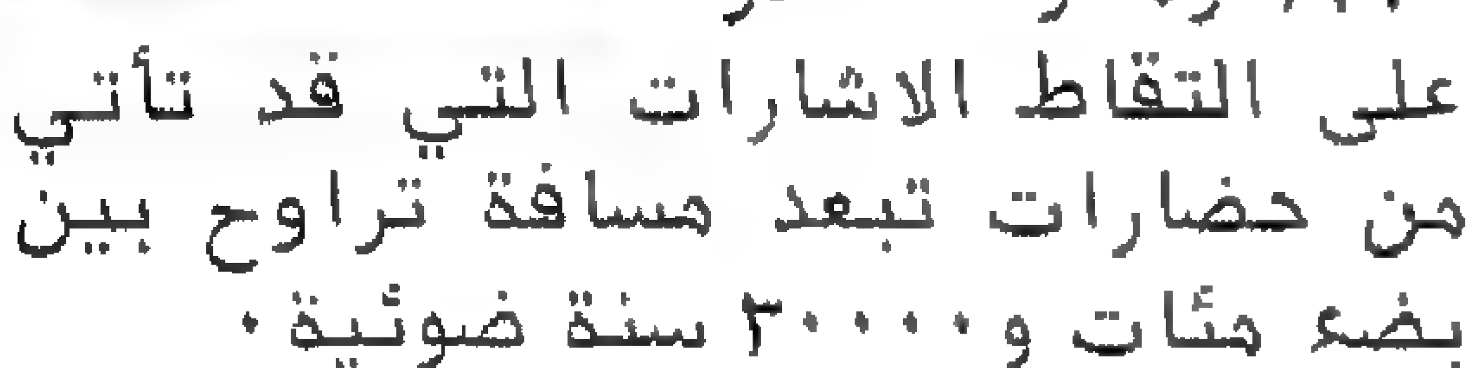
ولكن البحوث عن وجود كائنات عاقلة خارج الارض لا تزال نشطة، وهناك احتمالات جيدة للتعاون الدولي في هذا الصدد. وقد انشأ الاتحاد السوفييتي لجنة حكومية تهتم بتنسيق الجهود في هذا المجال، وزوّدها بمنظار راديو (راديو تلسكوب) ضخم اقيم في جبال القوقاز يشتمل على ٦٠٠ هوائي ومهمته الاصغاء بعض الوقت الى هذه الاشارات. وفي كندا، يقوم علماء مرصد "راديو الغونكين" في ولاية اونتاريو، ببحث دقيق يتناول عددا من النجوم القريبة.

وفي الجنوب الشرقي البعيد من الولايات المتحدة، في بورتوريكو، يقوم في مرصد اريسيبو راديو تلسكوب كبير له هوائي قطره ٣٠٥ امتار ومساحة تجميع تزيد بمئة ضعف وطاقة تسجيل تزيد بستة اضعاف ما كان عليه هوائي مرصد "الرادار الفلكي الوطني" الذي كان اول من



الصور التي يسفر عنها حل الرموز التي ارسلت بالارقام المزدوجة من مرصد أريسيبو في عام ١٩٧٤.

أرهف "اذنه" لالتقاط أشارات من الفضاء في مشروع اوزما. ويستطيع منظار الراديو تلسكوب هذا، في جزء من عشرة اجزاء الثانية، ان يؤدي المهمات التي كان اداؤها يستغرق شهرين كاملين في غرين بانك عام ١٩٦٠ وهو قادر



على التقاط الاشارات التي قد تأتي من حضارات تبعد مسافة تراوح بين بضع مئات و٣٠٠٠٠ سنة ضوئية.

ويتخذ الاستاذ دريك موقفا واقعيا ازاء الصعوبات التي تعترض الاتصال بالحياة العاقلة في مواضع اخرى من الفضاء الكوني، فهو يقول: "اننا نبحث عن بضع ابر في متبنة هائلة الحجم بما لا يتصوره العقل" في حين ان منظار اريسيبو الذي تفوق طاقته الخيال يقتضي عليه التحرك في ٤٠ مليون اتجاه للتمكن من فحص السماء باكملها. ولا يتجاوز مجموع النجوم التي تم فحصها حتى الان الف نجم، معظمها من النجوم القريبة، اضافة الى عدد قليل من الذبذبات.

ولا بد بالطبع لعلماء الفلك من التخمين لحزر ذبذبات الراديو الطيفية التي يعتمدها سكان العوالم الاخرى لارسال اشاراتهم، مما يجعل الاتصال عن طريق هذه الاشارات امرا مرهونا بالحظ والتوفيق. فمن الممكن ان

تصدر الاشارات عمدا في اتجاه جوارنا العام في الفضاء، او ان تبلغنا بمحض المصادفة. ومن المحتمل ايضا ان تكون هناك حضارات ذات مستوى تكنولوجي رفيع ترسل اشارات في اتجاهنا لبضع ساعات فقط كل عام، واننا نتولى من جانبنا، في موعد مبكر اكثر مما يجب او متأخر اكثر من اللازم التقاط "سماعة التلفون".

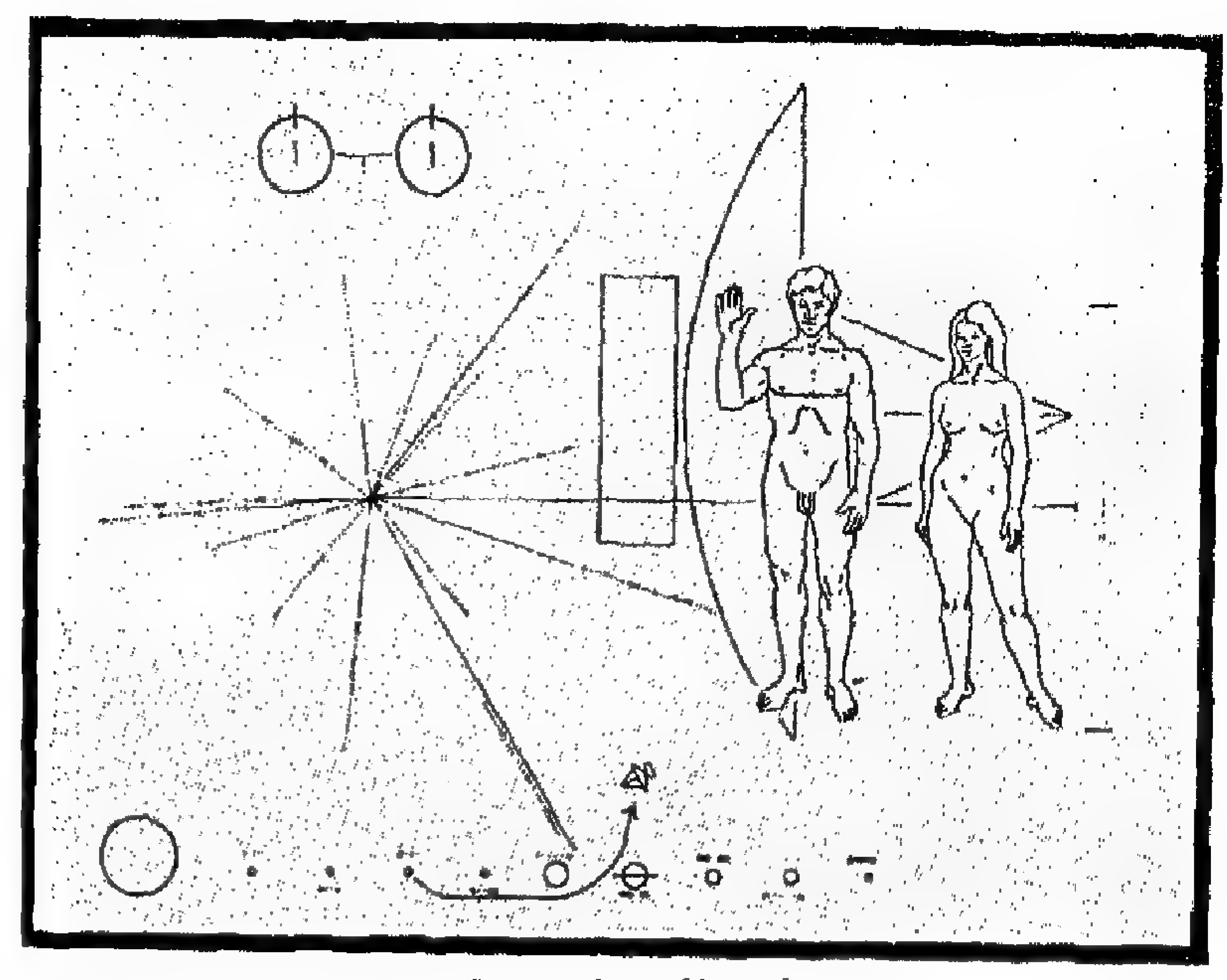
واذا كان بعض جيراننا في المجرة يرسلون فعلا اشارات، فليس هناك شك في انهم يصغون بالمثل، فنحن لا نزال نرسل منذ بعض الزمن الاشارات الخاصة بنا وان كنا لا نتعمد في معظم الاحايين اي هدف مقصود. فاشارات الارسال التلفزيوني لا يقتصر امرها على بلوغ اجهزة الاستقبال الموجودة في كوكبنا وحده، وانما هي تتشعّع ايضا في الفضاء. وعلى ذلك، فان الارض ما فتئت تعلن عن وجودها منذ نيف وثلاثين عاما من خلال ذلك الخليط المستمر المتنافر من الاشارات التلفزيونية المنتقلة بسرعة الضوء. ويقدر دريك ان ارتشاح هذه الاشارات قد بلغ ولا بد ما يقرب من ٤٠٠ نجم، بما يحيط بها من كواكب وما تحمله هذه الكواكب من كائنات عاقلة ذكية ان وجدت.

وفضلا عن ذلك، فكثيرا ما يرسل علماء الفلك اشارات الى التوابع (الاقمار) الفضائية الاصطناعية الامريكية من مرصد اريسيبو، الذي يعمل في اشراف المركز الوطني لعلوم الفلك والغلاف الايوني. وثمة عدد من هذه الاشارات يتجول في الفضاء، ولربما بلغت مسمع واحد من علماء الفلك البعيدين هناك، لكنّه لم يصغ اليها الا عرضا ولمرة واحدة ولفترة قصيرة لا تكفي للتحقق من انها صادرة عن الارض.

اطلاق السهم الرمزي الاول – وقد بذل اول جهد متعمد لتوجيه رسالة الى الفضاء الخارجي في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤، حين اطلق دريك واختصاصيو الفلك في مرصد اريسيبو سهما رمزيا واحدا الى "ميسير ١٣" وهي المجموعة الكروية من النجوم في كوكبة هرقل التي تؤلف فصيلة من النجوم تقع على مسافة ٢٥٠٠٠ سنة ضوئية من الارض.

ولم يستغرق بث رسالتنا القصيرة اكثر من ثلاث دقائق. وقد اشتملت على ١٦٧٩ مقطعا تنطوي على مقدار من المعلومات عن الحياة على الارض. وهي تعطي بالارقام المزدوجة "درسا" في نظام الترقيم المستخدم لدينا، وتضم قائمة بالارقام الذرية لعناصر الهيدروجين والكربون والنيتروجين والاوكسيجين والفوسفور وتوضح التركيب الكيميائي لحامض ديوكسيريبونكليك DNA الذي يؤلف مادة الوراثة اضافة الى رسم تخطيطي مبسط للكائن البشري وبيان لمتوسط ارتفاع قاماتنا، وعبارة تقول ان عدد سكان الارض يبلغ اربعة مليارات واننا نعيش على الكوكب الثالث بعد الشمس. وقد ختمت الرسالة بصورة للمنظار (التلسكوب) الذي ارسلها.

وكانت الطاقة الفعلية التي ركزت في الشعاع لدى ارسال الرسالة عشرة اضعاف الطاقة الكهربائية الكلية التي تنتج على مسطح الارض باجمعها. وبفضل هذه الطاقة الهائلة، اصبح سطوع الاشارة في اتجاه الشعاع على ذبذبة جهاز الارسال يفوق سطوع



بطاقة التحية التي حملتها سفينة الفضاء "بيونير".

الشمس بمقدار عشرة ملايين ضعف. ويتذكر دريك ذلك فيقول: "لقد اصبحنا، لمدة ثلاث دقائق، اسطع نجم في مجرتنا باكملها."

ولم تقتصر محاولاتنا للاتصال بالحياة خارج الارض على اشارات الراديو وحدها. فهناك سفينتا الفضاء "بيونير ١٠" و"بيونير ١١" اللتان تتسكعان في الفضاء وراء حدود المجموعة الشمسية، بمعنى انهما ترتحلان بسرعة لا تتجاوز ١٦ كيلومترا في الثانية، وهما تحملان لوحتين من الالومينيوم المطلي كهربائيا بالذهب تولى تصميمهما في الاساس العالمان ساغان ودريك والفنانة ليندا سالزمان ساغان. فبعدما فحصت السفينتان كوكب المشتري (جوبيتر)، مضت كل منهما تطفو وحيدة في طريقها خارج المجموعة الشمسية، وربما تم العثور عليها ذات يوم وفكت رموز الرسالة التي تحملها. وتبين كل من الرسالتين موقع الارض والشمس بالنسبة الى ١٤ نبّاضا (مصدر فضائي لنبضات طاقة الراديو يسمى Pulsar كما تحملان رسما تخطيطيا للمجموعة الشمسية ورسمين لرجل وامرأة بنسبة معتدلة ورسما تخطيطيا لسفينة الفضاء. وقد صممت بطاقتا التحية، حسبما يقول علماء الفلك في جامعة كورنيل، "لتكونا اطول اعمال الانسان عمرا"، اذ ينتظر لهاتين البطاقتين ان تبقيا سالمتين دون تغيير لعدة مئات، بل ويحتمل ايضا لعدة آلاف، من ملايين السنين.

... وسفينتنا "فوييجر" — وهناك ايضا سفينتا الفضاء "فوييجر ١" و"فوييجر ٢" اللتان تتجهان نحو حواف المجموعة الشمسية. وستمر السفينتان خلال عام ١٩٧٩ الحالي بكوكب المشتري، ثم تنحرفان في اتجاه كوكب زحل (ساتورن) وتتجاوزانه. وتحمل كل من السفينتين اسطوانة فونوغراف سجلت عليها تحيات بستين لغة، و١١٦ صورة "مرمّزة" لمناظر واشياء شتى من الارض، وساعة ونصف ساعة من التسجيل الموسيقي، تسميها آن دوريان احدى المشتركات في المشروع "مختارات من موسيقى الارض" (راجع المقال التالي: "موسيقى الرحلة البعيدة").

ولئن كانت المساعي للاتصال بالكائنات العاقلة خارج الارض، ايا يكن شكل هذه الكائنات، تأسر خيال

الكثيرين، الا انها، في الوقت نفسه، تملأ جوانح الاخرين بالتخوف والشك. فيقول هؤلاء: لنفترض ان يكون اهل ما وراء الارض في حاجة الى كواكب أخرى ينشرون عليها شكل حياتهم، او ان تكون صور الحياة على الكواكب الاخرى في نظرهم مصدرا للتغذية او الاستعباد، فالافضل اذا، في رأي هؤلاء المتشائمين، ان نحني هاماتنا ونبقى صامتين...

غير ان اولئك الذين تستهويهم احتمالات الاتصال بسكان الكواكب الاخرى يرون فيه وفي ما لا بد ان يحمله لنا من معلومات، باعثا قويا على توحيد القوى بين البشر والامم ومصدر اثراء لنا في مجالات العلم والتكنولوجيا، مما يتعذر علينا بلوغه الا بالجهد الجهيد والاموال الطائلة. ومن يدري، فقد نصبح ذات يوم، حسب اعتقادهم، على ارتباط لا يزول امده بمجموعة من الحضارات الثرية في شبكة مترامية الاطراف داخل المجرة.

■ آلتون بليكسلي

حوار مع "سكان" الفضاء الخارجي (٢)

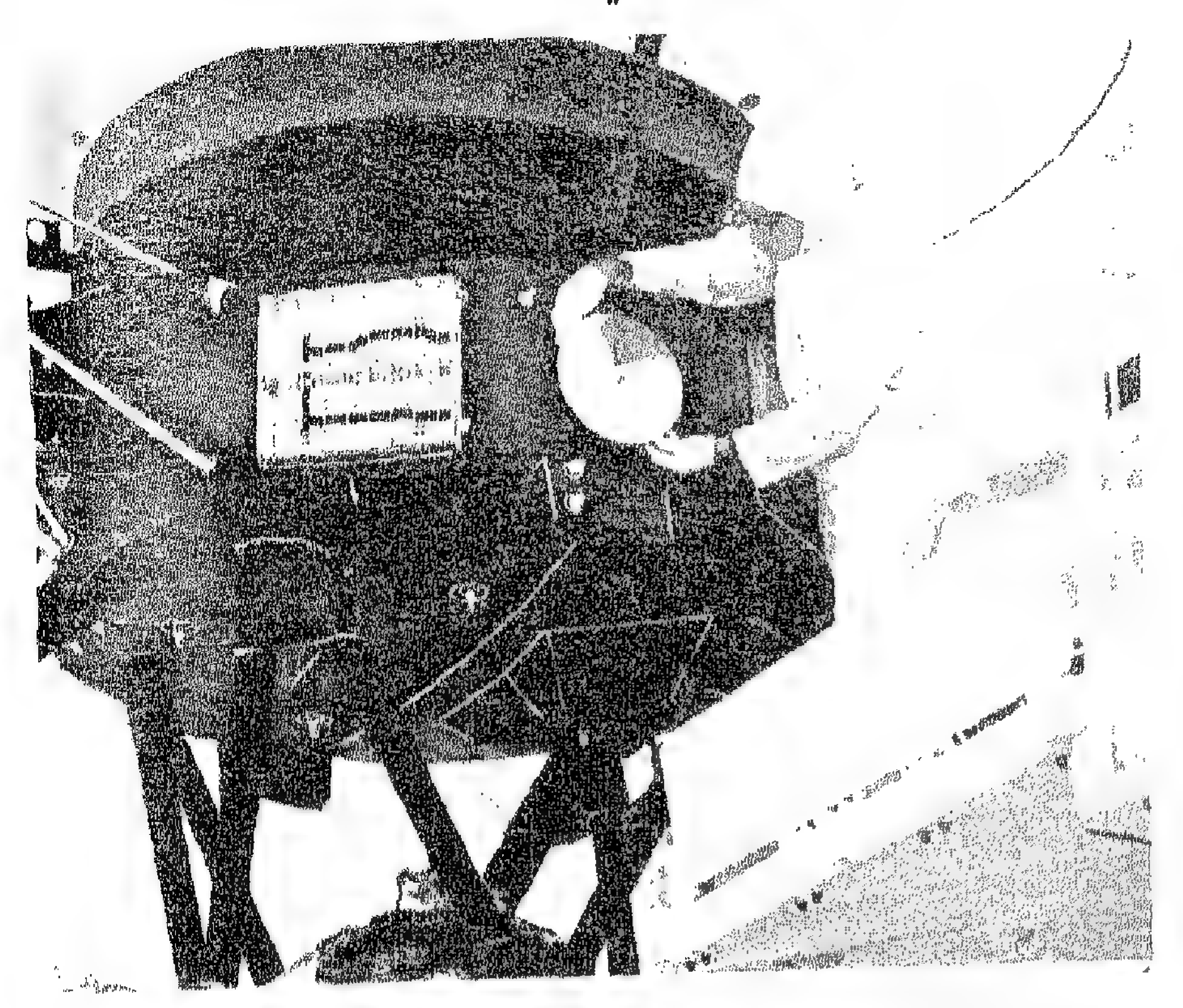
رسالة صوتية تدوم مليار سنة

أن هذا التسجيل الصوتي الفريد، كالرسالة المخطوطة التي يطرحها البحار ضمن زجاجة مغلقة في اليم، رسالة تنشد الاهتداء الى ارواح شقيقة في خضم الفضاء الفسيح

في ٢٠ اغسطس (آب) ١٩٧٧، انطلقت اولى سفينتي الفضاء التوأمتين "فوييجر" من "كيب كانافيرال" لاستكشاف كوكبي المشتري وزحل، وربما كذلك اورانوس. وبعد اثني عشر عاما تقريبا، حين تتم رحلتها الجبارة الى هذه الكواكب، ستبدأ السفينة جولتها الاخيرة التي قد تصبح ابدية بين النجوم.

وقد زود جانب السفينة بفيلم ملفوف بخرطوشة من الخزف الصيني، (بورسلين) وابرة حاكي (فونوغراف) من الماس، واسطوانة حاكي من

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES MAGAZINE (SEPTEMBER 4 '77)



النحاس المطلي بالذهب، وثبت كل ذلك بمسامير بيضاء مخملية الملمس من معدن التيتانيوم ضمن غلاف من الالومينيوم يكفل بقاء الاسطوانة صالحة للاستعمال طوال مليار سنة. وقد نقشت الارشادات على غطاء الصرة بلغة علمية، لشرح طريقة الاستماع الى الاسطوانة.

الاسطوانة النحاسية المطلية بالذهب، في المكان المعد لها في السفينة الفضائية.

وقد ضم الفريق الذي اضطلع أساساً بمهمة وضع الرسالة المعدة للتسجيل والتي تستغرق ١٢٠ دقيقة، كلا من عالم الفلك كارا ساغان والفنانة ليندا سالزمان ساغان والكاتب العلمي والموسيقي تيموثي فيريس وانا، مع عدد آخر من الاعضاء. وقد حددت لنا فترة لا تزيد على ثمانية اسابيع لكي نختار المادة الخليقة بمثل هذا الانفاق السخي، خصوصا بالنظر الى استحالة التثبت من امكان وصول هذه الرسالة على الاطلاق الى كائنات العالم الآخر. فسوف تنقضي اربعون الف سنة قبل ان تتهادى السفينة الى جوار اقرب نجم منا، وستنقضي مئات ملايين السنين وهي تتجول في انحاء مجرتنا، لتمر من آن الى آخر على مسافة سنة ضوئية او نحو ذلك من احد النجوم.

دقة تسجيل الاسطوانة - وينتج عن ذلك كله، ان عملية اعداد مثل هذه الاسطوانة امر اقرب الى الوهم والغرابة منه الى الواقع في التصدي لعدد من الاسئلة المجردة المتعلقة بالفن والحياة على الارض.

فمن نحن؟ وما هي الخصائص الجوهرية التي تتميز بها ذاتيتنا؟ وهل في استطاعة الكائنات البشرية ان تصنع شيئا كونيا؟

كل هذه اسئلة تتقارب من تلك التي تطرحها مشكلة الجزيرة النائية المهجورة والتي لا بد معها من الاقتصار على عدد محدود من الاشياء لاصطحابها الى ذاك المكان المهجور مما يتطلب منتهى العناية في اختيار الاشياء الضرورية التي لا يستغنى عنها.

وتبدأ الاسطوانة بـ١١٦ صورة، هي رسوم تخطيطية "مرمزة" تبين موقعنا

في الطريق اللبني، وبيانات تخطيطية لحامض الديوكسيريبونكليك DNA وصبغياتنا الوراثية (كروموسوماتنا)، والتركيب البنيوي لهيكلنا العظمي، ونجمنا (الشمس) وكيمياء الارض وجونا كذلك وصورا لمحيطاتنا وانهارنا وصحارينا وجبالنا وقاراتنا وزهورنا واشجارنا وحشراتنا وطيورنا وحيواناتنا واحيائنا البحرية، وكسفة ثلجية (كتلة رقيقة من الثلج). وثمة صور مقتبسة من حياتنا ككائنات اجتماعية، تمثلنا ونحن نأكل ونشرب ونعمل ونلعب. وهناك صور فوتوغرافية لعدد من الانجازات الهندسية البشرية الكبرى مثل "تاج محل" وسور الصين العظيم وقنطرة البوابة الذهبية، يضاف الى ذلك صورة من كتاب اسحق نيوتن عن "نظام العالم" تبين طريقة اطلاق القذيفة لكي تتخذ لها مدارا حول الارض. وتنتهي المجموعة بصور لغروب الشمس، والآلات الرباعية الوترية، وآلة كمان، وصفحة من النوتة الموسيقية لرباعية بيتهوفن الوترية الرقم ١٣، القطعة "اوبوس" الرقم ١٣٠، تعقبها جملة موسيقية من تلك الرباعية لبيان العلاقة بين التسجيل الكتابي للموسيقي والاصوات الموسيقية. وتتلو هذا القسم تحيات من الرئيس كارتر والامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم، ومتحدثين بستين لغة واصوات حوتين تعبر عن تحياتهما القلبية.

وهناك "مونتاج" مدته ١٢ دقيقة لاصوات الارض، يبدأ المقطع الاول منه بالطبقات الصوتية المذهلة السرعة التي تعكس حركات الكواكب الشمسية في مداراتها، ثم يأتي تسجيل زمني صوتي يبدأ بالثوران الهائل العنيف الذي تمخض عن تكوين كوكبنا، وتليه اصوات الامطار الضخمة التي كونت البحار والمحيطات والاختمار الاول للحياة. ويبدأ مقطع الاصوات البشرية بعصف الرياح الباردة في العصور الجليدية، وتلي ذلك ضوضاء التكنولوجيا على انواعها المختلفة، وينتهي بجهشة الوليد الجديد، واصداء حيوية الانسان وخفقة النبض الثابتة.

ولما كانت الاصوات المنقولة عن عصرنا لا تستغرق من التسجيل وقتا يفوق ذلك الذي تستغرقه اصوات التموجات المائية في بحيرات العصور السحيقة، فقد يؤخذ على هذه المجموعة من التسجيلات افراطها الشديد في التأكيد على اهمية بضعة الآلاف الاخيرة من السنين على حساب ملايين السنين التي سبقتها. واما اذا كان المقصود من تسجيل الاسطوانة هو مراعاة النسب بين الحقبات، لكي تعكس الاسطوانة بدقة السلم الزمني لسيرة الارض خلال ٤،٥ مليارات عام، فقد يجيء هذا التسجيل باكمله، باستثناء بضع لحظات قليلة في آخره، مقتصرا على اصوات تلاطم الامواج وهمس الرياح عبر السهول الجرداء.

وتنطوي الاسطوانة في ثلاثة ارباعها على تسجيلات موسيقية. ولقد كان اختيار هذه القطع الموسيقية عملية عاصفة استلزمت منا ان نتابع مناقشاتنا في هذا الصدد حتى الساعة الرابعة صباحا في بعض الاحيان، وذلك مع علمنا بان استماع الاسطوانة في الفضاء من قبل كائنات عاقلة اخرى امر ضعيف الاحتمال، وبانه في حالة استماعها من مجتمع يتعذر علينا تصوره الان لا نستطيع التثبت من ذلك ما دام الحدث لن يبلغنا الا بعد انتهاء اعمارنا بعشرات

الملايين من السنين، فمن يدري؟
وقد استهدفنا من المعايير التي التزمناها ان تتمثل الموسيقى في انحاء العالم على اختلافها بما يدلل على مدى ثراء الحضارات الانسانية وتنوعها على كوكبنا، وان نتحاشى ادراج اي شيء لا يستند الى مجرد الشعور بالواجب. ولم يكن بد لنا خلال تلك الفترات الصعبة من التفكير في الحل الذي اقترحه الطبيب لويس توماس، في كتابه "حيوات الخلية"، حيث يقول: "انني اعطي صوتي لباخ، فكل موسيقى باخ منثورة في الفضاء مرارا وتكرارا. ولا شك في ان لهذا فخرا كبيرا لنا كما لا شك ايضا في انه يحق لنا ان نتباهى بابرز حلة لنا في بداية مثل هذا اللقاء، على ان نترك امر الحقائق القاسية الى مرحلة لاحقة".

الاعمال الموسيقية المسجلة - وقد ادرجنا ثلاثة مؤلفات لباخ واثنين لبيتهوفن، ولكننا لم ندرج شيئا لفاغنر او ديبوسي او براهمس. وكنا نعرف ان هذا امر مثير للجدل، ولكننا رأينا ان "الترجمة قد تسهل على اهل الكواكب الاخرى اذا قدمنا اليهم اكثر من عمل واحد لمؤلف واحد، لعلهم يتمكنون من استخلاص اسلوبه الشخصي من كل قطعة، ويتاح لهم بذلك تفسير الموسيقى بجملتها". وفي ما يأتي نظرة على ٧ مختارات من القطع الـ٢٧ التي ادرجت في الاسطوانة، وبعض الاسباب التي توضح مبرر اختيارها:

- "كونشرتو براند نبرغ الرقم ٢"، الحركة الاولى، لباخ، من تسجيل كارل ريشتر مع اوركسترا باخ في ميونيخ. وقد اخيرت هذه القطعة لحيويتها ولامتيازها التقني ووضوح تسجيل الاجزاء التي تعزفها الآلات النحاسية والتي ينتظر ان تحتفظ بصفائها حين تنطلق من مجاري اسطوانة التسجيل في عيدها السنوي البليوني (بعد مليار عام).

- معزوفة "جوني ب. جود" من تأليف تشاك بيري. وقد كان النقاش حول هذه المقطوعة شديدا، فقد رأى عشرات الاشخاص الذين استشرناهم ان التسجيل ينبغي الا يضم اي قطعة من موسيقى "الروك آند رول" لانها لا تزيد على انتفاضة تشنج عابر في تاريخ الموسيقى. ولكننا رأينا ان القطعة تعد مثالا لالتقاء حضارتين متباينتين في مكان بعيد: لقاء افريقيا واوروبا في امريكا. وقد كسب تشاك بيري الجولة بصفته مخترعا للروك يختلف عن الفيس بريسلي الذي لا يقل عنه اهمية لانه يؤدي اغنية من تلحينه شخصيا.

- "بيت الرجال في غينيا الجديدة". وهذه القطعة تسجيل ميداني قام به روبرت ماكلينان. وقد ميزها الخبير الاثنوموسيقي الان لوماكس بانها تنتمي الى واحد من اقدم انواع التراث الموسيقي الذي لم تنله الحضارة والمدنية باي تغيير او تبديل. ولا يقل عمر هذه القطعة عن الف عام وتتسم بتأثيرها المغناطيسي ووحدة لونها وتختلف بذلك اختلافا شاسعا عن جميع القطع الاخرى المسجلة على الاسطوانة.

- "اغنية الزفاف لنساء بيرو". وهي احدى القطعتين المختارتين من موسيقى امريكا الجنوبية، وتغنيها شابة بصوتها الرنان كالجرس صدف ان كانت واقفة امام الميكروفون الميداني لخبير الموسيقى جون كوهن. واذا كان تغريد الطيور او اي صوت آخر من الاصوات الشجية المتصاعدة من حناجر البشر يستهوي

آذان سكان الكواكب الاخرى، فاننا نعتقد ان عذوبة هذه الاغنية ستشنف ولا شك تلك الاذان.

- "الجداول الجارية". عندما استدعيت تشو وين تشونغ الاستاذ في جامعة كولمبيا وطلبت اليه ان يحدد لنا قطعة من الموسيقى الصينية، توقعت ان يحتاج الى وقت ليفكر في الرد لكنه لم يفعل، وانما قال لي على الفور: "الجداول الجارية. فهي تأمل حول الاحساس البشري بالتوافق مع الكون، يعزف على آلة الـ"تشين" ذات الاوتار السبعة التي يرجع عهدها الى ما قبل الميلاد بالفي عام. وما زالت مقطوعة الجداول الجارية واحدا من عناصر الثقافة الصينية منذ زمن كونفوشيوس. ارسلوا هذه القطعة وستكونون بذلك قد نقلتم الكثير عن الصين". وقد استمعنا الى المقطوعة، ولم نلبث ان اتخذنا قرارا من اسهل القرارات التي واجهتنا بها الاسطوانة.

- "كان الليل حالكا"، معزوفة الضرير ويلي جونسون. وكان جونسون يعزف الموسيقى الحزينة والموسيقى الدينية على الغيتار. وقد جاء من ولاية تكساس، ولم يوفق الى كسب ما يكفيه من المال لاعالة نفسه. وليست هناك كلمات غنائية تصاحب هذا العزف الحزين على الغيتار الذي سجل عام ١٩٢٧، وانما هو مجرد انين شاك بمثابة التساؤل النافذ المشحون بالوحدة الاليمة.

- الحركة الخامسة "كافاتينا" من رباعية بيتهوفن الوترية الرقم ١٣ القطعة "اوبوس" ١٣٠. وكنا نعرف ان هذه القطعة الاخيرة سيكون لها الوزن الاضافي الذي تحمله الكلمة الاخيرة. وقد اخترنا هذه القطعة البديعة لانها لا تعبر عن اي عاطفة واحدة بعينها، وانما هي تعبير غنائي هادىء عما تكنه النفس البشرية من الم وحنين وامل. فهي بمثابة التوقيع الختامي المعقد على هذه المجموعة المسجلة والذي يكتنفه الغموض تماما مثل مستقبلنا.

■ آن دوريان

كاتبة وهاوية من هواة الموسيقى المعروفين، وهي ساهمت مع كارل ساغان وعدد من الادباء الاخرين في وضع كتاب "همسات الارض" وهو قصة عملهم عن مهمة "الفوييجر".

اصدقاؤه في الجنة والنار

طرح احدهم، على الشاعر والفنان جان كوكتو، السؤال الآتي: "ما رأيك في جهنم وفي السماء يا معلمي؟"

فابتسم الاديب الكبير وقال:

"اعتذر عن الجواب لأن لي اصدقاء حميمين في كلا الموقعين".

يقول ايان روبنز، الاختصاصي البريطاني في امراض الاذن والانف والحنجرة:

"ان ضحكت ضحكت معك الدنيا، وان شخرت نمت وحدك".

(رويتر)

كنوز الاردن

السفر في هذه البلاد العريقة يعني اقتفاء طرق عبرتها شعوب عدة وخلفت فيها حضارات لا تزال هناك شواهد على روعتها ٠

على الطريق الرئيسية الى العقبة كانت جرافة ضخمة صفراء تهدر، متجاوزة رجلا يركب حمارا٠ وكان سائق الجرافة يعتمر الكوفية والعقال٠ والى جانب الطريق الرئيسية ظهرت بعض معالم طريق رومانية مرصوفة بالحجار بنيت عام ١٢٩ للميلاد، ايام الامبراطور ادريانوس٠ وهذا يشهد على التقاء الماضي العريق بالحاضر العصري في المملكة الاردنية في جو دائم من السحر والروعة٠

ملتقى الحضارات – لقد ظل الاردن طوال ٦٠٠٠ سنة ملتقى الشعوب والحضارات٠ فقد عبره العبرانيون والاشوريون واليونانيون والرومان والبيزنطيون والفرس والعرب والصليبيون والاتراك، وبنوا معابد وهياكل لآلهتهم وحصونا لملوكهم وخلفائهم ومدافن لموتاهم، وخاضوا حروبا دامية للسيطرة على طرق القوافل التجارية الصحراوية الواصلة من شبه جزيرة العرب٠ ويستطيع الزائر ان يستعيد الى الذاكرة ذلك الماضي الصاخب المتمثل في بقاياه الرائعة٠

ومن بين هذه البقايا تماثيل ومدافن واختام ملكية تخص حكاما كثيرين من الازمنة الغابرة٠ غير ان الرومان كانوا الشعب الذي خلف أقوى الدلائل على سلطانه٠ ففي قلب مدينة عمان المزدهرة، عاصمة الاردن، مسرح روماني لا يزال في وضع جيد،



جرش : قوس النصر.

وهو يتسع لستة آلاف مقعد. وفوق المسرح، بقايا معبد كبير شيد على اسم هرقل.

وعلى مسافة ٤٨ كيلومترا الى الشمال تقوم مدينة جرش التي يعدها علماء الآثار من أفضل المدن الرومانية صيانة في العالم. وتجثم بوقار في واد تحيط به تلال جبل جلعاد الخضراء. وعبر قوس النصر المهيب بارتفاعه البالغ ١٢ مترا والذي اقيم احتفالا بزيارة الامبراطور ادريانوس بين عامي ١٢٩ و١٣٠ للميلاد، يمر الزائر بآثار وبقايا مضمار سباق طوله ٢٤٤ مترا يصل الى الساحة العامة (الفوروم) التي تحيط بها اعمدة شاهقة ايونية الطراز. والى الجنوب تشاهد الادراج المنقوشة لمسرح على درجة حسنة من الصيانة، يطل عليه معبد للآله زيوس.

جيراسا او جرش - ومن المعبد يشرف الزائر على مدينة "جيراسا"، اي جرش، الأثرية بشارعها الرئيسي الممتد مسافة ٦٠٠ متر وقد اصطفت على جانبيه اعمدة ايونية وكورنثية متوجة، وكذلك اساسات المتاجر وانقاض المعابد والكنائس اللاحقة. والى جانب الجدول الصغير هناك جدران بلا سقوف للحمامات العامة التي كانت من متطلبات كل روماني يحترم ذاته.

كانت مدينة جرش واحدة من المدن العشر الحرة التي تقع على طرق

القوافل الآتية من شبه الجزيرة العربية. وقد شهدت شوارعها عمليات بيع وشراء البهارات والحرائر والبخور والاعشاب العطرية والحجار الكريمة والعاج. لكن الانحطاط الذي حل بروما اصاب مدينة جرش ايضا. وتعطلت حياتها التجارية، ثم وقعت هزة ارضية هائلة عام ٧٤٧م فمزقت معظم معابدها وكنائسها. وما ان وصل الصليبيون الى جرش في القرن الثاني عشر حتى كانت مهجورة عفاها الزمن.

محاولات مخفقة – وتدفق الصليبيون الى الارض التي هي الاردن اليوم كجزء من محاولتهم المخفقة للاستيلاء على مدينة القدس وفلسطين وانتزاع البلاد من المسلمين. وخلفوا وراءهم شواهد تدل على طاقتهم ومطامحهم، ومن ابرزها قلعة الكرك الضخمة. وتقع القلعة على قمة تل معزول يبعد عن عمان جنوبا مسافة ١٢٥ كيلومترا. وفي اسفل التل من ثلاث جهات هوة سحيقة الانحدار تثير خوف الناظر، ويبلغ عمقها ١٢٧٠ مترا ابتداء من سور المتاريس حتى قعر الوادي. وقد اعتاد الرومان القاء من لا يريدون من الاسرى من فوق تلك المتاريس، وحول رؤوسهم صناديق خشبية لمنعهم من الغيبوبة قبل الارتطام النهائي.

وباستثناء جدران ذلك الحصن المطل على البحر الميت، فان الجزء العلوي من قلعة الكرك في خراب. الا ان الصليبيين اقاموا استحكامات عميقة في التل. وفي استطاعة المستكشف ان يسبر غور ثلاثة مستويات من الاقبية المقنطرة المعتمة التي لا يخترقها النور الا من شقوق ضيقة استعملها الجنود لاطلاق نبالهم. وهناك شبكة توزيع المياه، الفعالة في مهمتها والبدائية في تصميمها، والواح حجار الصوان التي كانت تستعمل معاصر للزيتون، والمخبز الكهفي، وهي كلها في حال حسنة من الصيانة، وكلها من الصخر العاري الخشن. وتشكل دليلا واضحا على نمط التقشف العسكري الذي عاشه اولئك الفرسان المحاربون.

ومن الكرك دهم الصليبيون تلك القوافل المحملة بالبهارات، كما داهموا الحجاج الى اماكن الاسلام المقدسة، وابتزوا الأتاوات من الاراضي الزراعية الخصبة الواقعة دونهم. واخيرا احتل الزعيم المسلم صلاح الدين تلك القلعة بعد حصار متقطع دام خمسة اعوام. وفي واحدة من الحجرات تحت الارض، اطلعنا دليلنا على مجموعة من الحجار الكروية التي كان كل واحد منها اكبر من رأس انسان، والتي رشقت منجنيقات صلاح الدين القلعة بها.

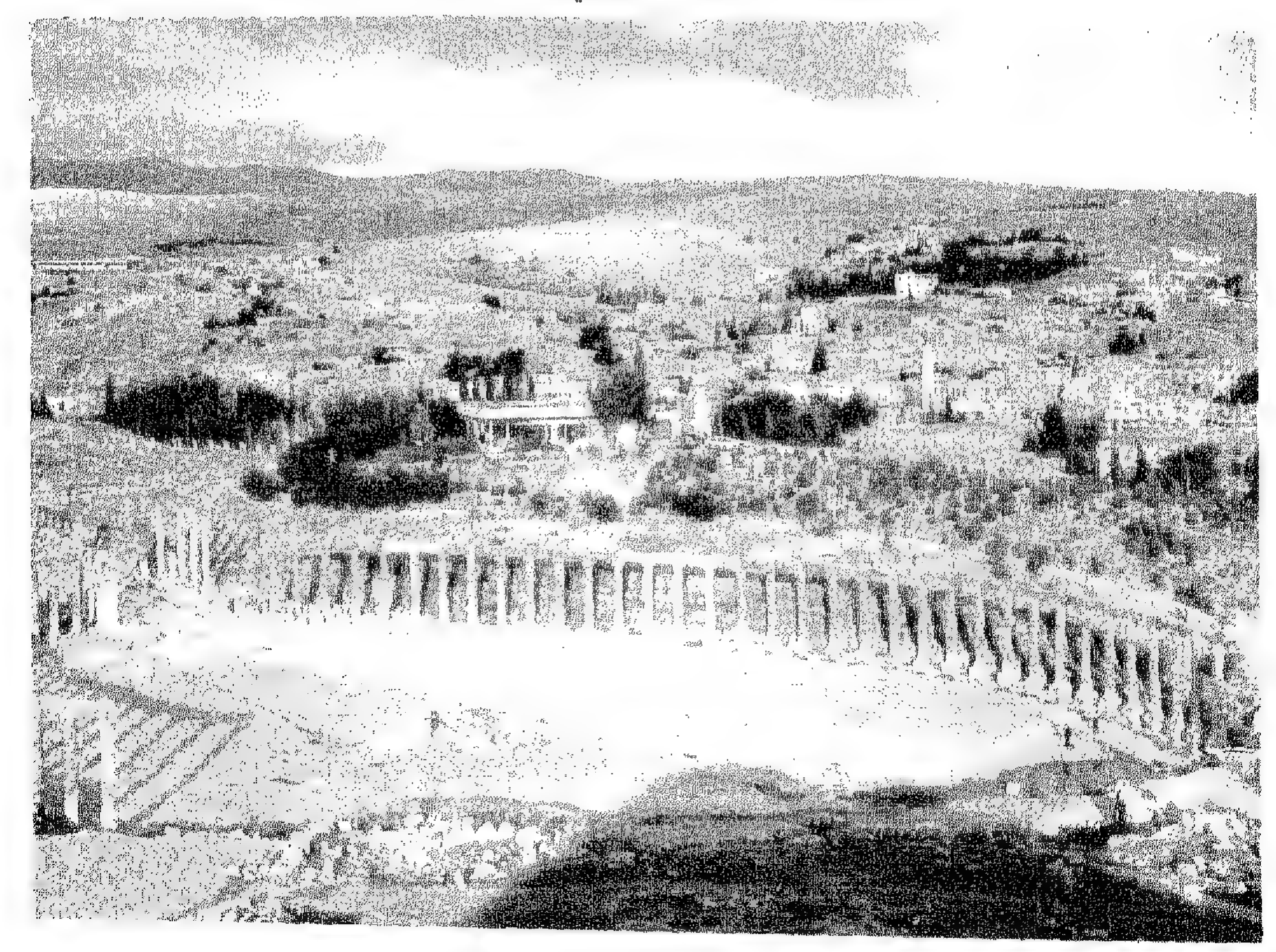
حاضرة عظيمة – وعلى بعد ١٠٠ كيلومتر جنوبا، تقبع بين الجبال مدينة البتراء، اعظم حاضرة تاريخية في الاردن. وهذه المدينة الفريدة بناها الانباط، وهم شعب عربي، بعد سنة ٣٥٠ قبل الميلاد. وفي استطاعة الزائر ان يصل اليها سائرا على قدميه او راكبا الخيل او في سيارة لاندروفر عبر المدخل الوحيد المؤدي اليها، وهو شق يسمى "السيق" يتلوى عبر جدران صخرية خالصة يصل ارتفاعها في بعض الاماكن الى ١٠٠ متر، مارا بقبور نحتت في الصخر تحت ظل شديد حتى في الظهيرة. وسرعان ما يخرج المرء الى نور ساطع ليشاهد امامه مبنى من طابقين منحوتا في الصخر الوردي اللون. هذا المبنى يسمى "الخزانة"، وهو ضريح احد ملوك الانباط. وتليه مدينة البتراء الداخلية بمجموعة اخرى من المنشآت

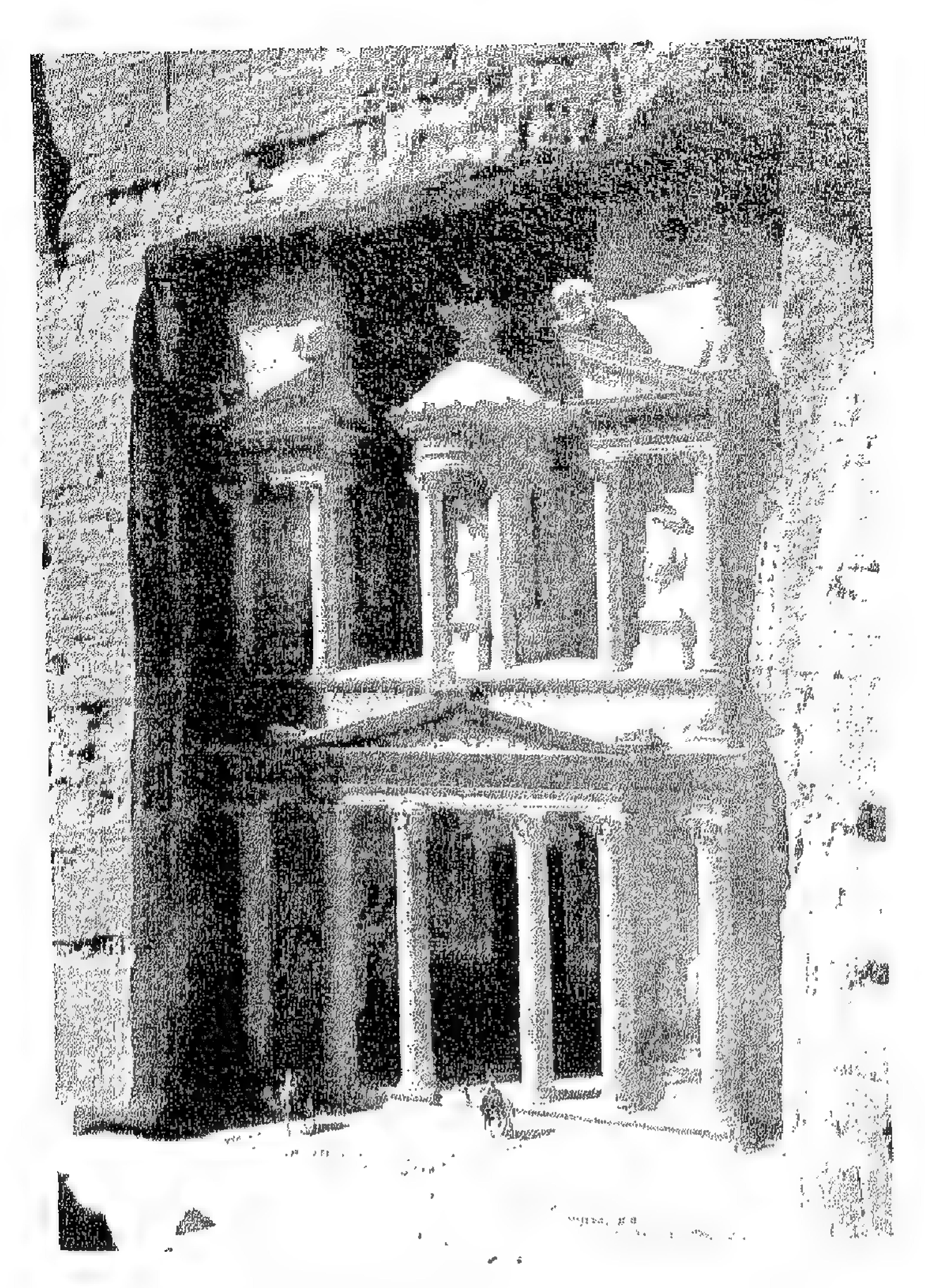
الضخمة المنحوتة في الصخر المتعدّد الالوان.

لقد ظل الانباط لمدة تزيد على اربعة قرون يجمعون الثروة والسلطة من القوافل التي مرت بمدينتهم الحصينة المحاطة بالصخر. ولم يقو الرومان على قهرها قبل العام ١٠٦ للميلاد. وقد استمروا في تنميق القبور المنحوتة لكبار مواطنيهم للنقش عليها. وثمة امر غريب بالنسبة الى هذه المدينة الصامتة برملها وصخورها، يثير الرعشة. فالبدو الذين يعيشون هناك طوال العام يؤكدون، بكل جد ووقار، على ان البتراء تسكنها الارواح. ولا يصعب على المرء تصديق ذلك.

سفن فضائية ـ اما في الشرق، وعلى امتداد الحدود السورية، فالصحراء منبسطة السطح اجمالا وليس فيها ما يبعث على الاهتمام. ولكن الى الجنوب من البتراء، هناك مناظر طبيعية تفوق الخيال، حيث تبرز من الرمال كتل صخرية حمراء وبنية تظهر في ضوء شمس الصباح الباكر كأنها اشباح سفن تبحر عبر الفضاء. وهناك مناظر رحبة تمتد عبر اودية نائية. وفي تلك الانحاء يتعرج خط لسكة الحديد هو جزء من خط الحجاز الذي بناه الاتراك وعمد توماس ادوارد لورانس (لورانس العرب) ومغاويره

الساحة العامة في جرش.





العرب مرارا الى نسفه.

وعلى امتداد الجانب الغربي من وادي الرم" الهائل، تمر الطريق بين جدارين من صخر يبلغ ارتفاع بعض اجزائهما ٣٠٠ متر تشرئب بصمت ومهابة وجمال. وقد كتب لورانس: "بين ذينك الجدارين يستطيع سرب من الطائرات ان يمر في تشكيلة". وتخترق تلك المتاريس الصخرية ممرات غير متوقعة يبلغ عرضها ١٥ متراً وهناك كهوف مستديرة - والكثير منها قبور - تطل محملقة من قمة اكثر من جرف واحد. وتبرز في الصخور الرملية الحمراء الغامقة اللون عروق عمودية مختلفة الالوان من اسود ورمادي وبني. والدليل الوحيد على وجود حياة في ذلك القفر سرب من الصقور السود التي كانت تحو"م محلقة في السماء.

وعلى بعد بضعة كيلومترات من الرم، هناك الطرف الجنوبي للاردن متمثلا في ميناء العقبة. وسيطرة العرب عليه عام ١٩١٧ أذهلت قيادة الجيش البريطاني العليا التي كانت تعد" العرب غير قادرين عسكريا الا على خوض حرب عصابات. ولا يزال الحصن التركي الذي استسلم حماته امام لورانس ورجال القبائل البدوية قائما على احد الشوارع الفرعية في العقبة، ولكن لم يبق الشيء الكثير من القرية التي كانت موجودة آبان الحرب العالمية الاولى. ويحتل الميناء، المكتظ بعمال التحميل والتفريغ الصائحين وبالعربات

ونفيرها، الجانب الشرقي من المدينة. ويقوم الى الغرب جزء من الشاطىء الذي انتشرت وراءه الفنادق الحديثة وقد ازدحم بالغطاسين الذين يستمتعون بما يصطادونه من الاسماك الفاخرة والنباتات البحرية النادرة الموجودة حول الشعب المرجانية التي تشاهد تحت المياه الرقراقة الصافية في خليج العقبة. وتعج العقبة اليوم بالامريكيين والاوستراليين والالمان والانكليز والفرنسيين وغيرهم من الاجانب وهم في الطريق الى تجارتهم واعمالهم.

أنفة وكبرياء - وفي طريق العودة الى عمان، شاء دليلنا السياحي ان يكرّمنا، فدعانا لزيارة قصر العمرة، مسكن الخليفة العربي الوليد الذي كان يحل فيه خلال رحلات الصيد في الصحراء. ويقبع وحيداً بين كثبان الرمل منذ بنائه عام ٧١٠ للميلاد. ولعله افضل المعالم الاثرية الباقية من ذلك النوع وتلك الحقبة. وعلى جدران القصر يشاهد المرء صورا عمرها ١٢٥٠ سنة، تعطينا لمحة عن حياة الترف التي عاشها الخلفاء: الفتيات الراقصات وعازفو آلات الطرب يؤدون فنهم بينما تستحم النساء العاريات ويصطاد القناصة بقسيهم غزلان الصحراء، تساعدهم في صيدهم الكلاب السلوقية النحيلة والسريعة الوثب. وقد رسمت وجوه النساء بالطراز البيزنطي المستدير الذي كان مألوفا في تلك الحقبة، باستثناء وجه واحد يمثل امرأة فاحمة الشعر، سمراء العينين، ذات وجه مربع صارم الملامح، ينظر الى المتطفل بجرأة طوال تلك القرون.

وتوقفنا في وقت لاحق من ذلك اليوم عند قلعة صحراوية اخرى لم يبق منها سوى كومة من الحجار المتداعية على تلة رملية، وهي قصر الحلابات. ولدخول الانقاض، استدعى الدليل امرأة شابة كانت تحتفظ بمفتاح البوابة المؤدية الى الموقع. وبينما كانت تتقدم نحونا في ثوبها القديم الاسود، شاهدت في وجهها مرة اخرى ذلك الوجه القوي المتسم بالانفة والكبرياء... حقا ان الماضي والحاضر متشابكان في الاردن بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

■ توماس فليمنغ

سر المهنة

من اشهر المنتوجات التي تصدرها جزيرة ترينيداد في البحر الكاريبي مشروب معطر اسمه "انغوستورا"، على اسم العائلة التي حافظت على انتاجه منذ ١٨٢٤. اما تركيبة هذا الشراب فهي سر لا يعرفه اليوم سوى اربعة اشخاص من العائلة. وهي ظلت تنقل شفويا من جيل الى آخر في العائلة حفاظا على سر المهنة.

ولكن حين دونت التركيبة اخيرا، قسمت الورقة نصفين اودعا مصرفين مختلفين. ومن الطريف ايضا ان الاربعة الذين يعرفون السر لا يسافرون مجتمعين على الاطلاق، ولا يمكن احدا سواهم ان يدخل الغرفة السرية التي يحصل فيها مزج الخليط.

("دليل الناس")

صور من الحياة



علاج مجاني

كان احد البيطريين يعالج كلبا صغيرا بينما راحت صاحبته تحاول بالحاح الحصول من البيطري على مشورة مجانية لعلاج ما تعانيه هي من اوجاع، واخيرا استسلم البيطري وقال لها همسا: "حسنا، ربما كان في استطاعتي ان أعاونك شريطة الا تخبري احدا بذلك، أولا: افتحي فمك، والآن... انبحي!".

و.هـ.

الزبون الفضولي!

أعمل في احد محلات "السوبر ماركت"، ومن مهماتي ان اضع كل المنتجات الغذائية التالفة في صناديق، وذات يوم اردت كبس بعض الخضر التالفة فخطوت داخل احد الصناديق وأخذت ادهسها، ومر بي احد الزبائن فنظر داخل الصندوق ثم قال: "يمكنك ان تدهسها قدر ما شئت، ولكنك لن تخرج منها نبيذاً أبداً".

ف.ب.

الزوجة اعرف...

يقول الطبيب والكاتب الصحافي الدكتور وولتر الفاريز ان الدكتور تشارلز مايو علمه حيلة نافعة جدا من حيل التشخيص، اذ قال له: اذا عجزت عن معرفة ما يعانيه المريض، فاسأل زوجته، وتأييدا لسلامة هذه النصيحة، يروي الدكتور الفاريز الحكاية الآتية:

"جاءني مزارع ذات مرة يشكو من نوبات غثيان شديدة تصيبه، ولكني لم اتمكن من أكتشاف اي خلل في جسمه فالتفت الى زوجته التي كانت تصحبه وسألتها عما يشكو منه زوجها فردت بصوت غاضب: "انه يعرف ذلك تماما، فهو يصاب بالغثيان حين يفرط في مضغ الدخان ويبلع عصارته"، وعندما سألت الرجل عما اذا كان كلام زوجته صحيحا، ابتسم ابتسامة عريضة مرتبكة وقال: "نعم، ولكني كنت آمل في ان تجد حلا آخر كي يتسنى لي الاستمرار في مضغ التبغ".

الداء والدواء

اشتهر فرانك سيناترا بأنه يسافر الاف الاميال لكي يغني في غرف المستشفيات ترفيها عن معارفه المرضى، وذات مرة كانت احدى صديقاته في المستشفى فقالت: "اعتقد ان حالي ليست سيئة، لأن فرانك لم يأت ليغني لي".

وفي بعض الاحيان تكون زيارات سيناترا سببا في أثارة المخاوف، فقد حدث ان دخل صديق آخر له المستشفى ليعالج من مرض بسيط لكنه كان قلقا خشية ان يكون الاطباء قد اخفوا عنه الحقيقة، واستيقظ هذا الصديق فجأة في سريره ذات يوم ليجد المغني الشهير واقفا الى جواره، اذ صادف ان كان سيناترا في المنطقة فعرج على المستشفى ليزوره، لكن الصديق المريض لم يكد يشاهده حتى صاح مولولا على الفور: "لقد كنت اعرف انهم يكذبون علي!".

ي.س.

لا يتحمل الكذب

أعمل مندوب مبيعات وأتجول بسيارة نصف نقل وأمارس معظم عملي مع المزارعين الذين يدعونني في أحيان كثيرة الى مشاركتهم في طعامهم في اثناء مناقشة ما أعرضه عليهم من سلع. وفي احدى هذه المناسبات، بعد وصف طويل لاحدى السلع، قال المزارع: "سأشتريها!".
فقلت: "ولكنك لم ترها بعدا".
فقال المزارع: "أوه! هل كنت تكذب علي اذا؟".

و.ب.

المهمة الصعبة

روى احد القساوسة القصة الآتية:
"كنت اقوم بزيارات وداع لاهل ابرشيتي قبل انتقالي الى ابرشية جديدة، فجاملتني سيدة مسنة بالتلميح الى ان القسيس الذي سيخلفني لن يكون في مثل كفايتي.
فأجبت وقد اسعدتني مجاملتها: "كلا يا سيدتي العزيزة، هذا غير صحيح!"
فقالت مؤكدة: "بل هو صحيح، صدقني! لقد عاصرت هنا خمسة قساوسة متعاقبين، وكان كل واحد منهم على الدوام أسوأ من الذي سبقه!".

أ.د.

رجل السندويش

كانت الشركة التي أعمل فيها تستعد لنقل مقرها الى مدينة تبعد مسافة ١٣٠٠ كيلومتر، فاضطررنا الى قضاء اسابيع بأكملها ونحن نعمل خلال ساعة الغداء، مكتفين بأكل سندويشات في مكاتبنا.
وكنت مسؤولا عن طلب الطعام بالتلفون كل يوم، وكنا جميعا نطلب سندويشات عادية باستثناء مدير واحد كان يطلب باستمرار سندويشا من اللحم المحفوظ وزبدة الفول السوداني، قائلا انه مزيج لذيذ، ولكنني شخصيا لم اجرؤ على اختباره ابدا.
وبعد فترة انجزنا معظم تفاصيل الانتقال واتيحت لنا مرة اخرى فرصة الخروج لتناول الغداء، فذهب معظمنا الى المطعم نفسه الذي كان يوافينا بالسندويشات الى مكاتبنا، ولدى دخولنا المطعم صاح زميلنا صاحب الذوق الغريب: "سندويش من خبز الشعير مع لحم محفوظ وزبدة فول سوداني". وكان العامل يرتب السندويشات، فما أن سمع ذلك حتى صاح: "هذا هو الرجل! هذا هو الرجل!".

ت.ت.

رقصة الحب

يقول المخرج السينمائي الاسوجي انغمار برغمان عن مرافقه، المصور السينمائي سفين نيكفيست الذي شاركه في ١٩ فيلما: "اننا لم نعد نحتاج الى الكلام في اثناء تصوير المشاهد، فنحن نعرف بالغريزة ما نريده".
ويعاني نيكفيست ثقل السمع في أذنه اليسرى، بينما يعاني برغمان صمماً جزئيا في أذنه اليمنى. ويعلق نيكفيست المرح على ذلك بقوله: "الا اننا عندما نتحدث بالفعل، نبدو ونحن ندور حول بعضنا كزوج من الأوز يرقص رقصة الحب!".

ل.ج.

سؤال "فظ"!

عندما انتقل رون نيسن من الصحافة في واشنطن الى وظيفة السكرتير الصحافي للرئيس الامريكي السابق فورد، سرعان ما ادرك مشقة العمل اذ هو اصبح عرضة لهجمات زملاء مهنته السابقين. وهو يقول في ذلك: "أتذكر يوما قاسيا قضيته في مواجهة اسئلة الصحافيين. وعندما عدت الى مكتبي في نهاية المؤتمر الصحافي، سألت سكرتيرتي، وهي من قدامى العاملين في البيت الابيض: هل تذكرين انني عندما كنت صحافيا كنت اتصرف بمثل هذه الفظاظة؟".
فقالت: "نعم، كنت تتصرف على ذلك النحو تماما".

ل.هـ.



يوحنا بولس الثاني:
بابا لكل الناس

١- الانسان

صاحب رؤى مسكوني وعلامة ورياضي، وصاحب فكر عملي ان هذا البابا "الاجنبي" (غير الايطالي) البولوني يبدو راعياً مثالياً.

كان الدخان الابيض لا يزال يتصاعد من مدخنة كنيسة سكستين يوم السادس عشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ عندما خرج الكاردينال فليتشي الى الشرفة الوسطى من ردهات كاتدرائية

القديس بطرس في روما. وبصوت جهوري ردد باللاتينية عبارة: Habemus Papam! أي صار لنا بابا"! فهدرت اصوات الجمهور ثم خفتت لتسمع الاسم: Carolum Cardinalem Wojtyla'

كارول الكاردينال فويتيوا. وتجمد الجمهور وتساءلوا: "ومن يكون هذا البابا يا ترى"؟.

وفجأة، وكأن الجميع قد ادركوا معا ما حدث صاح أحدهم "انه البولوني" فيما ارتفع صوت آخرين "بابا اجنبي".

ان مجمع الكرادلة المفترض ان يكون عديم المرونة لم يكتف بما هو متوقع منه فحسب بل انه قام بما يكاد لا يصدق.

كارول فويتيوا، البابا يوحنا بولس الثاني. انه أول بابا من بولونيا واول بابا من شعب يخضع لحكم شيوعي، واول بابا غير ايطالي ينتخب منذ عام ١٥٢٢م واصغر الباباوات سنا ممن انتخبوا منذ عام ١٨٤٦(. وهو في صحة جيدة قوي العضلات وقد بلغ من العمر ثمانية وخمسين عاما اذ هو ولد في الثامن عشر من شهر مايو (ايار) عام ١٩٢٠، ووصف في صحيفة اوسترالية بانه "رجل بنيانه كلاعب ركبي في الصف الامامي" ويمكن ان يدخل بعقيدته القرن الحادي والعشرين. ومن الواضح ان الكرادلة قد شاؤوا اختيار حبر يبقى فترة طويلة، وبالوضوح نفسه اختاروا رجلا يتمتع بمناقب فائقة وخبرة واسعة.

الرجل المتواضع – وفي اول مرة يظهر على الملاء بعد اختياره حبرا اعظم تجاهل البابا يوحنا بولس الثاني السوابق وألقى خطابا قصيرا. وبينما خطا الى الامام مادا ذراعيه كان بنيانه المتين ينم عن سلطان وثقة بالنفس.

وبدأ القول بصوته الرنان: "مبارك يسوع المسيح". وهي عبارة تحية تقليدية ايطالية كهنوتية لم تسمع كثيرا في السنوات الاخيرة. ورد الجمهور على ذلك. "وليكن مباركا ابد الدهر". وقال "اذا لم اعبر عن نفسي جيدا بلغتكم - لغتنا - الايطالية (تصفيق) فارجو ان تصححوا لي". والواقع ان ايطاليته وان بلكنة، هي مصقولة الى مستوى رفيع بحيث ان تلك الملاحظة كانت ايماءة تقرب اكثر منها اعتذارا.

وقالت سيدة بين الواقفين في الساحة: "قد يكون اجنبيا ولكنه يتحدث بلغتنا". وسأل سائق سيارة تاكسي في روما: "ولماذا لا يكون لنا بابا اجنبي؟ فقبل كل شيء كان القديس بطرس اجنبيا".

ولقد لقي البابا الجديد ترحيبا عالمي النطاق. فمن بولونيا ابرق المسؤولون الشيوعيون الثلاثة الكبار الذين عرفوا باختلافهم سنوات عدة مع فويتيوا وزميله الاكبر سنا الكاردينال ستيفان فيزنسكي البالغ من العمر سبعة وسبعين عاما - ابرقوا الى البابا الجديد" بالرضا العظيم" الذي ساد ارض الوطن. وعلاوة على ذلك فقد رفعوا تقييدات السفر حتى تمكن قرابة الفي بولوني من حضور احتفال التنصيب في روما.

ولقد ابتهج الشعب في بولونيا بالحدث وقال مهندس في فرصوفيا: "عندما بلغنا الخبر توقفت قلوبنا عن الخفقان برهة". كذلك لقي اختيار فويتيوا ترحيبا حارا عبر العالم غير الشيوعي. ورد الفعل الايجابي هذا لم يكن ناجما عن حدوث انقطاع في سلسلة الباباوات الايطاليين المتعاقبين فحسب بل عن كون فويتيوا شخصية معروفة على نطاق واسع. فهو زار معظم الاقطار الاوروبية كذلك الولايات المتحدة الامريكية وكندا واوستراليا ونيوزيلندا.

بكى ثلاث مرات - وفي صباح اليوم التالي لانتخاب البابا قال احد الكرادلة للكاردينال فيزنسكي: "سيعم بلدكم بالتأكيد ابتهاج عظيم". فرد فيزنسكي: "نعم، ولكن لن يكون ابتهاجا. بفويتيوا". والحقيقة ان فويتيوا ابلغ الجمهور المحتشد في ساحة القديس بطرس: "انني خشيت قبول هذا التعيين". وقد بكى ثلاث مرات على الاقل خلال الاربع والعشرين الساعة الاخيرة مرة وهو في اجتماع الكرادلة لدى انتخابه، ومرة لدى ظهوره للمرة الاولى من على الشرفة، وثالثة في المساء التالي عندما توجه في سيارة مكشوفة لزيارة صديق في مستوصف جيميلي في روما كان يتعافى من نوبة قلبية.

وفي المستشفى ادلى بملاحظات الى الجمهور ولكنه سها عن اعطاء البركة الرسولية. الى ان ذكره بذلك احد مرافقيه من الاساقفة. فقال: "اظن انه حتى البابا يجب ان يتعلم اداء حرفته..." وافترت شفتاه عن ابتسامة.

كانت حياة فويتيوا في بولونيا قاسية. فقد توفيت والدته وهو في الثامنة من العمر ورباه والده الذي كان جاويشا متقاعدا. وداوم فويتيوا في مدرسة ثانوية عادية وكان يحضر القداس صباح كل يوم ويرئس جمعية دينية ولكنه كان مولعا، بالمقدار نفسه، بالادب والمسرح.

دخل جامعة كراكوفيا التاريخية ياغيلونيان حيث تخصص في دراسة الاثار الادبية وعلم اللغات. وفي اثناء فترة الاحتلال النازي اشتغل في مقلع حجار وفي معمل كيميائي. وشأنه شأن اي شاب آخر كان نشيطا في الحياة الاجتماعية وكانت له على الاقل صديقة واحدة. وفي عام ١٩٤٢، قرر فويتيوا ان يدرس استعدادا للانخراط في سلك الكهنوت في مدرسة دينية سرية.

وكان ذلك ينطوي على مجازفة، غير ان فويتيوا الشاب كان نشيطا ايضا في مقاومة النازيين. ويعيد احد زملائه في المدرسة الثانوية الى الاذهان قوله: "عاش كارول في خطر فقدان حياته فهو كان يصطحب عائلات يهودية من "الغيتو" في المدينة ويعثر لتلك العائلات على هويات جديدة، انقذ حياة الكثير من العائلات التي كانت مهددة بالابادة". وفي تلك الاثناء كان يساعد في تنظيم مسرح رابسوريك السري واشترك في التمثيل في ذلك المسرح، حيث ادت مسرحياته المناهضة للنازيين والمتسمة بالوطنية الى رفع معنويات البولونيين.

وهو سيم كاهنا عام ١٩٤٦ عندما كان الحزب الشيوعي الذي يدعمه السوفييت قد بدأ تضييق الخناق على كل المعارضين، والتحق فويتيوا بجامعة الكهنوت في روما حيث درس الفلسفة مدة سنتين ثم عاد الى بولونيا كاهنا لابرشية واستاذا للفلسفة وعلم الاخلاق. واصبح اسقفا مساعدا عام ١٩٥٨ (٣٨ عاما) وشرع مذ ذاك في اجراء الاتصالات واقامة العلاقات الدولية التي ادت الى انتخابه حبرا اعظم . فهو القى ثمانية خطابات في اثناء المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) كان ابلغها ذلك الخطاب الذي يحبذ الحرية الدينية. وبعد ذلك توالت عليه الانعامات الكنسية: فمنح قبعة الكاردينال الحمراء في سنة ١٩٦٧ ثم انتخب واحدا من بين ثلاثة اوروبيين

لعضوية السينودوس الاسقفي العالمي في سنة ١٩٧٤. وتزايدت شهرته على انه مناهض نشط للشيوعية وواعظ دامغ الحجة ورجل دين شعبي لدى العمال والشباب البولونيين.

منزلق صياد الاسماك - ان فويتيوا لا يعرف الكلل اذ هو يعمل احيانا عشرين ساعة في اليوم، كما انه قارئ نهم. وقد وضع خمسة كتب وكتب اكثر من ٥٠٠ مقالة ورسالة. ولديه موهبة ملفتة اذ انه يقرأ او يكتب بينما يشترك في محادثة وبعدئذ يتذكر مجمل ما قيل. ويتحدث بطلاقة اللاتينية والايطالية والانكليزية والفرنسية والالمانية فضلا عن البولونية.

وماذا عن الروسية؟

"ان كل بولوني يفهم الروسية، ولكن ليس هناك بولوني واحد يتحدث بها"، هذا ما قاله اخيرا كاهن بولوني.

ان البابا الجديد لا يدخن، ويشرب الخمر في المناسبات ولا يهتم للطعام او اللباس او الامتيازات الاجتماعية. وقال احد محرري الصحف في كراكوفيا: "انه يتناول من الطعام ما يقدم اليه". وذكر صديق آخر انه "لو علم الايطاليون بذوقه بالنسبة الى الخمر لما وافقوا اطلاقا على ان يكون هو البابا".

ولكونه شغوفا بالتزلج، فهو اعتاد ان يأخذ اجازة اسبوع كل عام للتزلج في منطقة تاترا اعلى الجبال الكارباتية على الحدود بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا. وكان يرتدي سروالا صوفيا فضفاضا وحذاء قديم الطراز.

ولفويتيوا شغف مماثل بالتجذيف بالنقائر (قوارب صغيرة خفيفة). وهو كان في رحلة من هذا القبيل عندما اعلن تنصيبه اسقفا عام ١٩٥٨. ولم يستطع مرافقو فيزنسكي العثور عليه بعد البحث ساعات عدة لانه كان منهمكاً في ممارسة تلك الهواية، الا انهم افلحوا اخيرا في العودة به الى فرصوفيا واخبره فيزنسكي: "ان البابا قد عينك اسقفا". فهل تقبل ذلك التعيين؟". واطرق فويتيوا مفكرا برهة ثم قال: "نعم. ولكن هذا لا يعني انني لن استطيع العودة الى رحلة التجذيف بالنقائر، اليس كذلك؟". والواقع انه ما لبث ان استأنف التجذيف في غضون دقائق. واثناء اقامته في مخيم في الريف يصطحب معه عادة مذبحا (منصة للصلاة) نقالا حتى يؤدي عليه القداس وكان يصنع صليبا يضعه فوق المذبح من مجذافين متقاطعين.

ومن بين اصدقاء فويتيوا القريبين فنانون ومفكرون وكهنة. وهو ولع بالموسيقى ويولي التفاتة خاصة لباخ والموسيقار البولوني هنري فينيافسكي فضلا عن الاغاني والالحان الشعبية وتتذكر سيدة امريكية انها عندما كسرت احدى ساقيها وهي في رحلة تزلج في بولونيا ونقلت الى مستشفى قريب حيث اتحفها جماعة من رفاقها المتزلجين ببعض الالحان والاغاني، لم تدرك الا بعد وقت ان عازف الغيتار كان الاسقف فويتيوا نفسه.

المشاركة في القربان - يشتهر البابا يوحنا بولس الثاني بانه محافظ في ما يتعلق ببعض مسائل عقائدية واخلاقية بالنسبة الى سلطان الكنيسة. فقد اعلن معارضته لاستعمال اي وسائل اصطناعية لمنع الحمل وذلك في كتابه "الحب

والمسؤولية" (نشر عام ١٩٦٢)٠ الا ان ذلك الكتاب يشدد على اهمية المتعة الجنسية بين الزوجين٠ واتخذ فويتيوا ايضا موقفا متصلبا من الاجهاض الحر، وهو موضوع آخر يتعارض مع نظام الحكم الشيوعي في بولونيا٠ وبينما يبدي اهتماما بالمواضيع التي ينادي بها الليبيراليون مثل الطلاق، والعذرية وغيرهما، فانه يشعر بان تلك المشاكل يجب معالجتها بمشاركة كهنوتية وعلمانية وليس بتساهلات وتنازلات من مصادر اعلى٠ ولا تقل اهمية بالنسبة اليه، عن مسألة تحديد النسل والعذرية مواضيع مثل السلام والعدالة في العالم المعاصر ويبدو مؤكدا ان فويتيوا سيكون داعية قويا لحقوق الانسان والعدالة الاقتصادية٠

وقبيل انتخاب البابا يوحنا بولس الثاني كان احد الكرادلة الافارقة السود يجلس كئيبا في حجرة اجتماعات فارغة واشار بيده بازدراء الى ساحة الفاتيكان في الخارج قائلا: "كل تلك الزخارف الامبريالية والعزلة المحيطة بالبابا والانزواء الذي يعود الى العصور الوسطى، وذلك التمنع الذي يجعل الاوروبيين يقصرون عن ادراك كون الاقطار الفتية مثل بلادي تريد البساطة، بل تريد يسوع المسيح فحسب٠ كل ذلك يجب ان يتغير"٠

وبعد خمسين ساعة احتذى كارول فويتيوا نعل صياد الاسماك٠ وربما يكون التغيير قد بدأ٠

٢- العبء

"شئت أم أبيت فقد حكم عليك برحلة حج متنسكة من يوم اختيارك حتى يوم مماتك٠ انها الجلجلة (المكان الذي صلب فيه المسيح)، انها قداسة وقد بدأت لتوك بالصعود"٠

ان البابوية في طبيعتها منصب ظاهري التناقض٠ فالرجل الذي يضع في اصبعه خاتم صياد الاسماك هو بالتحديد خليفة صياد الاسماك بطرس الصخرة التي اقيمت عليها الكنيسة الكاثوليكية٠ فسلطان البابا روحي ودنيوي معا٠ فهو يعالج امورا من ناحية تتعلق بالخلاص الابدي وهو من ناحية اخرى ملك لولاية صغيرة ولكنها ثرية تتعرض لمكائد القصور والشيع٠

وهنا تكمن اولى المشاكل التي تواجه الحبر الجديد٠ فعليه ان يؤدي واجبه لعالم معقد مثقل بالمتاعب يمتد خارج جدران روما٠ ويجب عليه ان يكون انسانا عالميا يهتم بكل رفاقه من بني الانسان٠ غير ان الاهتمام وحده لن يكون كافيا واعلان المبادىء العريقة والعقائد لن يفي وحده بالغرض٠ فسيطلب منه التدخل بالكلمة الصريحة والاجراءات الصامتة في شؤون زمنه٠ ولعل مدى ما يستطيع ان يقوم به البابا الجديد من

عمل باستعمال سلطانه المتقلص في الوقت الحاضر وبنفوذه الذي صار مقيدا الان اكثر مما كان في اي وقت مضى، هو الان محور المسألة ولبها.

وهو يواجه مشكلة اخرى وهي ما فيه من قصور لكونه انسانا غير ابدي. فهو لا يستطيع التصرف على الفور وفي كل مكان وهو مرغم على تفويض الصلاحية الى البيروقراطية في روما والى الاساقفة المحليين وبالتالي الى الكهنة في انحاء العالم سواء كانوا صالحين ام سيئين او غير مبالين، فهو سوف يعاني نتيجة تقصيرات لم يرتكبها بنفسه.

والصوت الذي سيسمعه المؤمنون لن يكون دائما ذلك الذي ينادي به البابا. فسيحثه كهنته على الحديث ليس بلغة الشارع الواضحة وانما ضمن حدود الرسميات والشكليات التي ينتهجها الديبلوماسي خوفا من تفسير العاطفة والتسامح بانها جوازات لاعتقادات غير اصيلة او انحلال في التصرفات. ومع ذلك فان البابا اذا اراد ان يصغي العالم اليه فيجب عليه ان ينغمس في الخطب ويخبرنا الحقيقة المجردة بعبارات بسيطة.

الامانة للسلف ـ ان كل بابا يحمل على عاتقه عبء الفي عام من التاريخ. فهو يخشى الاساءة الى اسلافه حتى لا يسيء الى المبدأ الذي نقلوه اليه. وهذا الخوف ليس عقبة فقط بل انحرافا حقيقيا لمهمته الرعوية. فالجدل الذي نادى به المتمسكون الراحلون بالعقائد ليس من الاهمية بمكان اطلاقا بالنسبة الى عالم يعيش في ظل القنبلة النووية.

وسيكون البابا الجديد، بصفته وصيا وقيما على العقيدة العريقة، مضطرا الى التأكيد على حرمة رابطة الزواج وهو من ناحية اخرى كانسان وراع لن يستطيع ان يتجاهل محنة اولئك الذين ينهار زواجهم واولئك الذين تضررت عائلاتهم من الفقر او اولئك الذين يعتبرون اللاهوت بعيدا كل البعد عما اختبروه في المجتمع الحديث.

كذلك عليه ان يتحدث الى هؤلاء ونيابة عنهم كأب لا بالتقريع والتأنيب دائما بل بالرأفة والرفق. فان لم يفعل ذلك وقدم اليهم الاخلاقيات التي يدعو اليها علماء اللاهوت، فانهم سيرتدون كاطفال مرفوضين.

وهنا ايضا سيواجه الحيرة. فهو سيتمسك كأي مسيحي بالاعتقاد ان الانسان مخلوق روحي ولد لمصير ابدي في اتحاد مع الخالق او لانفصال عنه. ومع ذلك فانه لا يستطيع التأكيد على هوية المسيحي كابن الله من دون فهم طبيعته كابن انسان زائل (عابر) يكافح في يأس لاثبات حقوق مولده لمعظم العالم خلال الفترة القصيرة التي يعيشها.

واعلن مؤسس المسيحية انه لم يأت لينقض الشريعة بل ليكملها بعمل الهي من الحب البشري. وقد بعث تلاميذه الى العالم مع رسالة بسيطة: "- وأي بيت دخلتموه فقولوا اولا: "سلام على هذا البيت". ولم يكن ذلك تحديا لجدل فلسفي كما لم يكن امرا لعمل سياسي، بل استمطارا للبركة وابتهالا لانزال الخير على عالم سيء ناقص. ونحن اليوم في حاجة الى تلك البركة.

الوحدة بين الناس وهناك وحدة تجاهلها الباباوات وكهنتهم مرارا وهي الوحدة بين الناس الذين يعانون معا وجودا مشتركا ويتمتعون معا بافراح مشتركة ويتشاركون في نواحي الاضطراب والندم والاغراء نفسها. وسيتعين على البابا الجديد تشييد بنائه على هذه الوحدة.

وسيكون عسيرا ان يطلب كل ذلك من انسان واحد، الا ان ذلك سيكون مطلوباً منه وسيتحتم عليه ان يتذكر كلمات البابا يوحنا الطيب الذكر "حاولت الاحتفاظ بهدوئي واتزاني عندما كنت ابحث واقيم الامور والاشخاص من حولي، مهتما بما يوحدهم اكثر من اهتمامي بما يفرق بينهم". وسيحتاج البابا الجديد الى شجاعة شخصية وثقة عظيمة في العمل الروحي داخل نفسه وفي العالم ايضا.

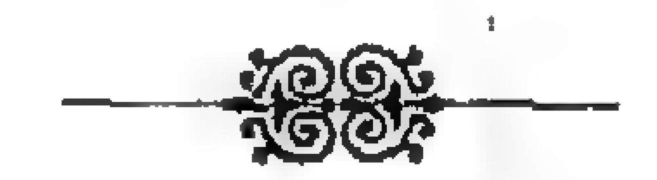
انه يعيش في قصر مترامي الارجاء وسط مدينة عريقة زال منها المجد الامبريالي منذ امد بعيد. وستكون رحلاته، مهما يبتغي لها من نطاق، محدودة بسبب الميول والسياسات لدى الدول الدنيوية والتي يضمر بعضها العداء للفاتيكان ويخشى البعض الآخر من ان وجود خليفة بطرس قد يشجع على التذمر او الاضطراب.

وفي حواره مع العالم سيتحتم عليه البحث عن تلك الاسس المشتركة القائمة: اسس الاخوة البشريةوالامل الشرعي المشترك الذي يساور كل بني البشر.

ان الذي كتبته قبل خمسة عشر عاما عن بابا وهمي لا يزال صحيحا اليوم، اذ كتبت اقول: "لا يمكن التقاعد من هذا المنصب. شئت ام ابيت فقد حكم عليك برحلة متنسكة من يوم اختيارك حتى يوم مماتك. انها الجلجلة، انها القداسة وقد بدأت لتوك بالصعود. ولن يسير معك كل الطريق الا الله وحده".

■ **موريس وست**

موريس وست كاتب اوسترالي كان راهبا ومعلما في اخوية الاخوة المسيحيين وهي نظام للكهنة الكاثوليك، وكان مراسلا لصحيفة "الديلي ميل" اللندنية في الفاتيكان. وقد روى في اشهر كتبه بعنوان "نعل صياد الاسماك" قصة بابا جاء من وراء الستار الحديدي.



ابدأ بعمل بدل ان تبدأ ببرنامج.

فلورانس نايتنغيل

من حسنات المرضى

عاد غاري كيسيل، من سان دييغو، (كاليفورنيا)، الى منصبه التنفيذي في شركة طيران "باسيفيك ساوث وست" بعدما اجريت له عملية قلب مفتوح. لكن الاطباء حددوا له شروط عمل معتدلة. وعندما بدأ الضغط يتزايد، اسند كيسيل ظهره الى مقعده وحدق النظر في احد رؤسائه، ثم خاطبه بهدوء: "ان طبيبي لا يسمح لي بان اتلقى اي انتقاد".

ر.ج.

إجعل الصحة الجيدة متعة يومية

هنا طريقة لا جهد فيها للتنفس والمشي والضحك، تؤدي بك الى صحة افضل

لقد تمكن الطب خلال العقود الماضية من التحكم في غالبية الامراض المعدية الرئيسية في العالم، ولكنه لا يزال عاجزا عن تلطيف البلية الصحية المزمنة التي نلحقها بانفسنا من جراء جهلنا وامتناعنا عن التصرف حسبما لدينا من المعلومات والمعارف. واما اللياقة البدنية والمحافظة عليها فامر ينبغي ان يكون مدعاة للتسلية والمرح. هنا بعض النصائح في شتى النشاطات اليومية الروتينية التي تساعدك، من دون جهد تقريبا، على اكتساب مجموعة من العادات تضمن لك الصحة والهناء.

الفطور : يتألف الفطور العادي في أكثر الاحيان من القهوة والخبز المحمص وطعام من الحبوب. وكثيرا ما يميل الناس الى الاستغناء عن هذه الوجبة تجنبا منهم لزيادة الوزن، ولكنهم لا يقدمون دائما على ذلك في معظم الاحيان. ويتضح من الدراسات ان المراهقات اللواتي يتخلين عن وجبة الفطور يتميزن غالبا بزيادة وزنهن عن المتوسط، لان انخفاض نسبة السكر في الدم عند الضحى كثيرا ما يدفعهن الى تناول وجبات خفيفة غنية بالسعرات الحرارية لدعم نشاطهن الواهن.

ويجمع اختصاصيو التغذية على ان الوجبات في صدر النهار ينبغي ان تكون "افطارا" حقيقيا يحتوي على اغذية بروتينية كالبيض والحليب والحبوب، يستوعبها الجسم بسرعة اقل من سرعة استيعاب انواع السكر البسيطة، مما يساعد على دعم مستويات النشاط خلال فترة الصباح. ويقول المثل السائد لدى بعض

المزارعين الاوروبيين الذين يمارسون الاعمال البدنية الشاقة: "تناول افطار ملك، وغداء امير، وعشاء فقير".

التنفس: قال فولتير منذ مئتي عام: "يمكن شفاء مقدار كبير من امراض البشر عن طريق التنفس". ولا شك في ان هذا القول اصدق ما يكون انطباقا على عصر يسوده الجلوس وقلة الحركة مثل عصرنا هذا. فنحن في اثناء الراحة لا نستخدم الا جزءا طفيفا من مجموع طاقة رئتينا، بل ان هذا الجزء لا يتجاوز واحدا من عشرة اجزاء عندما نقرأ كتابا او نكتب رسالة.

ويمكن تنشيط هذه المناطق المهملة من الجسم عن طريق التمرين الجسماني كل يوم، وهو يساعد على تزويد الدم بالاوكسيجين وعلى التخلص من نفايات ثاني اوكسيد الكربون المتخلف في الجسم. وعندما تمشي، تنفس شهيقا على مدى خمس خطوات او ست، تعدها، ثم تنفس زفيرا على مدى الخطوات الخمس او الست التالية. وفي اي تمرين تنفسي ركز اهتمامك خصوصا على اخراج الهواء المتبقي في الرئتين كي تستنشق بدلا منه كمية جديدة من الاوكسيجين. وتجدر الملاحظة - حتى في هذه الحال - ان كمية الهواء الذي يتغير مع كل تنفس لا يزيد على سدس ما تستوعبه الرئتان.

وحين يستبد بنا الخوف او التوتر، فكثيرا ما نحبس انفاسنا ونتنفس على نحو سريع وقليل العمق، فينجم عن ذلك تغيير كيميائي في الدم تنتج منه الاعراض التقليدية للقلق، مثل: الدوار والتقلصات العضلية والشعور بالاغماء وتسارع ضربات القلب. فاذا ما شعرت بدقات قلبية قوية وبتعقد عضلات حلقك قبل قيامك بانجاز عمل ملحوظ او تناول الكلام امام الجمهور، فاعط نفسك بضع ثوان قليلة لكي تتنفس فيها على نحو بطيء وعميق ومتواتر، فيزول عندئذ التوتر الذي يعتريك ويعود نمط تنفسك الى ايقاعه الصحيح.

التدريب الجسماني: منذ قرون طويلة، لاحظ ابقراط - ابو الطب - ان "ما يُستخدم ينمو، وما لا يُستخدم يذبل ويضمر". واذا لم نمارس التدريب الجسماني، فاننا نعاني الضمور الناشيء عن عدم الاستعمال وتصيبنا السمنة وتنبهر انفاسنا لاقل مجهود نبذله ونحس بالتعب الدائم ونتعرض لامراض القلب ولمجموعة كبيرة متنوعة من الآلام والاوجاع العصبية وتصبح عضلاتنا المفتقرة الى التمرين ضعيفة ومترهلة. كما ان الاستخدام غير الكافي يؤدي الى اضعاف نسيج العظام، فنصبح عند ذاك أكثر عرضة للاصابة بالكسور.

وقد اصبحت امراض الشرايين التاجية من أهم اسباب الوفاة واكثرها انتشارا بين الذكور في منتصف العمر. ومن المعروف ان اولئك الذين يشغلون الوظائف التي تتطلب كثيرا من الجلوس يتعرضون للنوبات القلبية بمعدل يبلغ ضعف معدل اولئك الذين يمارسون الاعمال التي تستلزم النشاط البدني. فالقلب - ومثله بقية عضلات الجسم - يحتاج الى التمرين المنتظم لكي يحتفظ بحيويته وكفايته.

وان التمارين المنتظمة تساعد ايضا على التخلص من بعض التوتر ومشاعر

الاحباط التي تثيرها ظروف الحياة. وقد اثبت الطبيب هانز سيلي، اكبر اختصاصي عالمي في امراض التوتر والاجهاد، ان الفئران التي دربت حتى اصبحت على درجة عالية من اللياقة البدنية، تتحمل مستوى من الاجهاد والتوتر المتسببين عن الصدمات والضوضاء والنور الباهر والالم، تقوى معه على قتل الحيوانات غير المدربة.

ومن شأن التمارين الجسمانية ان تتكشف عن فوائد علاجية حقيقية. فيجب علينا - كلما استطعنا - ان نتجنب استخدام الآلات، مثل العربات الكهربائية المعدة لنقل لاعبي الغولف والسلالم المتحركة وحتى مخفقات البيض. ومن الافضل ان تركب دراجة كلما استطعت، بدلا من ان تقود سيارة، وان تقلل من مشاهدة التلفزيون وتنفق ما توفره من الوقت في اعمال الحديقة او النجارة او الاعمال الاخرى التي تحتاج الى نشاط بدني. واحرص على صعود السلالم درجة درجة من دون اسراع.

في اختصار، اجتهد في الاعتياد على ممارسة الحياة النشطة، وخصص من وقتك كل اسبوع ثلاث فترات من عشرين دقيقة للقيام بتمارين مجهدة، مثل العدو او السباحة او لعب كرة المضرب، كي ترفع معدل ضربات القلب الى ما يقارب الحد الاقصى بقصد تحسين اداء القلب ووظيفة الاوعية الدموية. واذا سبق لك ان عانيت ارتفاع ضغط الدم او تصلب الشرايين او مرضا في شرايين القلب واحتجت الى تمارين جسمانية، فيجب ان تقوم بذلك في اشراف طبي. وقد شكا أخيرا احد المديرين التنفيذيين في مؤسسة معروفة الى طبيبه انه يعاني احساسا بالتعب وانبهارا في الانفاس وفقدانا في الشعور ببهجة الحياة عموما. ولم يتبين للطبيب اي دليل على اصابة المدير بمرض عضوي باستثناء آثار طفيفة لارتفاع ضئيل في ضغط الدم، فكتب له الوصفة الطبية الآتية: "مارس التمارين الخفيفة اليوم، ومارسها بمقدار اكبر في الغد، واستمر على هذا المنوال الى ان اعطيك تعليمات بالتوقف".

الحمامات الشمسية: يقول مثل انكليزي قديم: "ان الشمس هي خير الاطباء، ولكنها اصعبهم في الحصول على موعد معها". ولضوء الشمس دور مهم في انتاج فيتامين "د" الذي يساعد على تكوين خلايا العظام وعلى انتفاع الجسم بالكلسيوم، كما انه يساعد على حماية الجلد والقضاء على عدد من الامراض الجلدية المزمنة.

وقد انتشرت عادة الحمامات الشمسية في اعقاب الحرب العالمية الاولى، عندما راجت اهمية ضوء الشمس في علاج امراض السل وشلل الاطفال وغيرها. ثم بدأت التقارير تشير الى ان التعرض المفرط لضوء الشمس يستعجل شيخوخة الجلد، بل يؤدي الى الاصابة بسرطان الجلد. ولا شك في وجود هذه الاخطار، لكن الشمس دواء اثمن من ان نحاول هدره، ولو انها تتطلب الاعتدال في تناولها اسوة ببقية الادوية. وينبغي لاصحاب الجلود الحساسة ان يحرصوا - قبل تعرضهم للشمس - على استخدام الكريم الواقي الذي تكفل اصنافه ترشيح نسبة من الاشعة الحارقة قد تصل الى ٩٠ في المئة.

الضحك : قبل ٢٠٠٠ سنة، وصف ارسطو عادة الضح بانها "تمرين جسماني عظيم الفائدة للصحة". ويجمع الفلاسفة واطباء النفس، ابتداء من افلاطون وانتهاء بفرويد، على ان عملية الضحك تتميز بالانعتاق المفاجيء من التوتر. والواقع انه نادرا ما تكون هناك نشاطات تنطوي على مثل هذه الفوائد الجمة الواسعة النطاق. فالضحك يساعد على الهضم بزيادة الافراز الغددي ويتيح الاسترخاء للعضلات وينشط الدورة الدموية في الجلد فيضفي النضارة على الوجه وتلألؤ الحياة في العينين. وقال احد الاطباء النفسيين: "قلما دعيت الى معالجة شخص يرى الجانب المضحك من الامور، ولم يسبق لي ابدا ان عالجت شخصا قادرا على الضحك على نفسه".

فترات الاستراحة : كثيرا ما يعتقد الناس ان التماس الراحة خلال يوم العمل امر اثيم لا يستسيغه الضمير. غير ان هنري ديفيد ثورو (★) يرى غير هذا الرأي ويلاحظ بحق: "ان العامل الكفي كل الكفاية هو الذي لا يزحم يومه بالعمل".

والواقع ان معظم اجهزة الجسم تمر بدورات متعاقبة من العمل والراحة. فالقلب مثلا يتمكن من الاستمرار في النبض مئة الف نبضة كل يوم من دون ان يصيبه العياء لانه يعقب كل فترة من فترات الجهد والانقباض (السيستول) بفترة اطول من الراحة (الاياستول). وأثبتت التجارب ان فترات الراحة المنتظمة تمكننا من انجاز اقصى ما يتسع لنا انتاجه باقل ما يمكن من انفاق الطاقة وادنى احتمالات الاجهاد. وغالبا ما يكون افضل سبيل للراحة هو تخصيص بضع دقائق كل يوم للتأمل الهاديء.

اجازات العطلة : يرى معظم الاطباء ان اجازات العطلة ربما كانت افضل سندات التأمين ضد الاجهاد والتوتر والمرض والارهاق.

فلا بد من العناية في اختيار مواعيد الاجازات بما يساعد على تعويض العناصر التي تفتقر اليها حياتنا وتوفر الفرص لاكتشاف الذات والنمو. ففي وسع الاجازة ان تضفي مقدارا من الاثارة والحماية على الحياة الروتينية الراكدة وان تتيح لسكان المدن العودة الى اكتشاف جذورهم، كما تتيح لمن يعانون الوحدة فرصة التمتع بالصحبة، ولمن يرهقهم الكبت فرصة الانطلاق والتفريج عن النفس. ولعل الفائدة الكبرى بالنسبة الى معظم الناس هي ان يحصل الواحد منهم على اجازتين او ثلاث اجازات قصيرة بدلا من اجازة سنوية واحدة طويلة. اما الوضع المثالي فهو ان تؤخذ الاجازات في الربيع والخريف، عندما نكون اقرب احتمالا الى الشعور بالارهاق، بدلا من شهري يوليو (تموز) واغسطس (آب) عندما تكون طاقة التمثيل الغذائي لدينا وقدراتنا على العمل في الذروة.

الوجبات الخفيفة قبل النوم : كان الشائع في ما مضى ان يتناول الناس وجبات عشاء ثقيلة لدرء لذعات الجوع. اما الان فقد بات

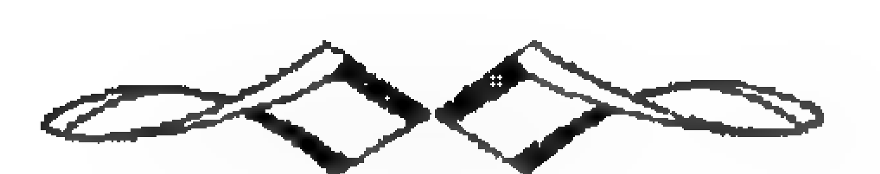
(★) كاتب ومفكر امريكي شهير من القرن التاسع عشر، كان من اكبر المنادين بالعودة الى احضان الطبيعة، وهو مبتكر فكرة العصيان المدني التي اخذها عنه المهاتما غاندي وجعل منها سلاحا فعالا في الكفاح ضد الاستعمار الانكليزي للهند.

معروفا ان الوجبة الثقيلة، من اي نوع كانت، قبل النوم تسبب نوما قلقا وغير مريح. وانما من الخطأ ايضا ان يأوي الانسان الى فراشه وهو جائع، لان ذلك مدعاة للنوم القلق والاحساس بـ"جوع الليل".

وقد يكون تعاطي القليل من المشروبات الكحولية قبل النوم مدعاة للاسترخاء. لكن الافراط في ذلك يؤدي دائما، تقريبا، الى افساد راحة النوم. وتشير الشواهد الى ان كوبا من الحليب الساخن قبل النوم يحقق نتائج افضل. وقد اثبت اطباء مستشفى ادنبره الملكي في بريطانيا ان قدحا من اللبن المحلى يحسن نوعية النوم. فبفضله ينعم الصغار بنوم اعمق والكبار بنوم اطول، كما ان الذين يستيقظون في اثناء الليل يسهل عليهم استئناف النوم. وبالاضافة الى ذلك، فكلما زاد عدد الليالي التي يؤخذ فيها هذا الشراب، زادت فعاليته كمهدىء.

وهناك مثل قديم يقول: "تجيء الامراض الحادة من الله واما الامراض المزمنة فنحن الذين نخلقها". وان ملايين المستشفيات تظل عاجزة عن خلق رجل سليم واحد. كما تعجز اي تدابير صحية عامة واي اصلاحات قانونية واي قوانين برلمانية عن تزويدنا بالصحة ما لم نتكفل نحن بذلك.

■ دونالد نورفولك



وراء الاكمة...

في الاربعينات كان اللورد هاليفاكس سفيرا لبريطانيا في الولايات المتحدة، وكانت قامته بالغة الطول بحيث اصبح شاهدا يهتدي به الضيوف في الحفلات الرسمية في واشنطن اذ كان يقول احدهم للآخر: سنلتقي في نهاية الحفلة، وراء اللورد هاليفاكس مباشرة.

("فوغ")

الحمامة والسيارة

على رغم التطورات الهائلة التي حدثت في مجال المواصلات، فان ادارة مستشفى ديفنبورت في بليموث (انكلترا) لا تزال ترى في الحمام الزاجل افضل وسيلة لنقل عينات الدم والخلايا الى المختبر الرئيسي الذي يبعد كيلومترين وربع كيلومتر تقريبا عن المستشفى.

وقد اقلعت ادارة المستشفى عن استخدام سيارات الاجرة لهذه الغاية بعدما وجدت ان السيارة تقطع المسافة في ١٢ دقيقة في حين تقطعها الحمامة في اربع دقائق فقط وبكلفة أقل.

("رب بيت")

الكتابُ الحيّ

ماذا يجعل كتاباً ما أثراً حياً ؟
هناك ست علامات مميزة للروائع الادبية عبر العصور

لا نهاية لتأليف الكتب. ولا نهاية ايضا، في ما يبدو، لوضع جداول بـ"الكتب العظيمة". وقد كان عدد الكتب على الدوام يفوق ما يستطيع اي انسان ان يقرأ. وأمام هذا التكاثر المتواصل عبر القرون، لا بد من وضع جداول جديدة بالكتب الممتازة.

ولن تستطيع، مهما طالت حياتك، ان تقرأ الا عددا قليلا من الكتب. ولا بد لهذا العدد من ان يشمل افضلها. وفي امكانك ان تغتبط بحقيقة كون عدد هذه الكتب صغيرا نسبيا.

ان وضع جدول بالكتب المفضلة قديم قدم القراءة والكتابة. وقد فعل ذلك المعلمون والقيمون على المكتبات في الاسكندرية في الزمن القديم. وفعله كينتيليان لخدمة التربية الرومانية، فاختار، كما قال، مؤلفات كلاسيكية "قديمة" و"حديثة". وفي عصر النهضة عمد قادة احياء المعارف، امثال مونتين وايرازموس، الى تدوين لوائح بالكتب التي قرأوها.

ولئن كان متوقعا ان تتغير الكتب المختارة مع الوقت، الا ان هناك تماثلا يثير العجب بين الجداول التي تمثل افضل المختارات في اي فترة. ففي كل عصر كان صانعو هذه الجداول يضمنون مختاراتهم كتبا قديمة وحديثة، وكانوا يتساءلون باستمرار عما اذا كانت الكتب المعاصرة بلغت مستوى الكتب السابقة العظيمة.

ما هي العلامات التي نستطيع بواسطتها تمييز الكتاب العظيم ؟

لعل العلامات الست التي سأذكرها ليست الوحيدة الممكنة. غير انها العلامات التي وجدتها اكثر نفعا في تفسير اختياراتي عبر السنين.

الكتب العظيمة مقروءة عموما اكثر من اي كتب اخرى : انها ليست كتبا تروج مدة سنة او سنتين، لكنها تروج باستمرار. ان قراء قصة "ذهب مع الريح" اقل نسبيا من قراء مسرحيات شكسبير او رواية دون كيشوت. ومن المعقول ان نقدر ان قراء "الياذة"

هوميروس بلغوا ٢٥ مليونا على الاقل خلال ثلاثة آلاف سنة.

ليس من الضروري ان يكون الكتاب العظيم رائجا في عهد وضعه - وقد يمر عليه بعض الوقت قبل ان يحشد حوله القراء. ويروى عن العالم الفلكي كبلر، الذي صار مؤلَّفه عن حركات الاجرام السماوية يعد مؤلفا كلاسيكيا في الوقت الحاضر، انه قال عن كتابه هذا: "انه يستطيع ان ينتظر قرنا قبل ان يجد قارئا. فقد انتظر الله الخالق ستة الاف سنة قبل ان يظهر مراقب واحد".

الكتب العظيمة شعبية، لا حذلقة فيها ولا تقعر : انها ليست موضوعة من قبل اختصاصيين يخاطب بعضهم بعضا حول موضوعات خاصة. وسواء اكانت هذه الكتب مؤلفات فلسفية او علمية او تاريخية او شعرية، فانها تتناول قضايا بشرية، لا اكاديمية. انها مكتوبة للناس العاديين، لا للاساتذة. ومن أجل قراءة كتاب موضوع لطلاب متقدمين في موضوع ما، عليك بقراءة كتاب تمهيدي في الموضوع نفسه قبل ذلك. غير ان الكتب العظيمة يمكن اعتبارها تمهيدية بمعنى انها تعالج العناصر الاولية لاي موضوع. وهي ليست متصلة بعضها ببعض كسلسلة من الكتب المدرسية المتدرجة من حيث الصعوبة او من حيث تقنية القضايا التي تعالج.

وهناك، على كل حال، نوع واحد من القراءة السابقة التي تساعدك فعلا في قراءة كتاب عظيم، وهو ان تقرأ الكتب العظيمة التي قرأها المؤلف بالذات. ولأضرب لك مثلا على ذلك بأخذ كتاب المبادىء الهندسية لاقليدس وكتاب نيوتن عن المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية. ان كتاب اقليدس لا يتطلب دراسة مسبقة للرياضيات. وهو مدخل الى الهندسة والحساب. لكن هذا لا يمكن ان يقال عن نيوتن، لانه استعمل الرياضيات في حل المسائل الفيزيائية. ان اسلوبه يدل على عمق تأثره بمعالجة اقليدس لمسائل النسبة والتناسب. لذلك لا يسهل فهم كتابه، حتى على العلماء، ما لم نقرأ كتاب اقليدس اولا.

ولا اقصد بهذا ان الكتب العلمية العظيمة يمكن ان تقرأ من غير جهد. لكني اقصد ان قراءة هذه الكتب بحسب ترتيبها التاريخي تؤدي الى المكافأة على الجهد المبذول. فكما ان اقليدس يوضح لنا نيوتن وغاليليو، هكذا نجد ان هذين بدورهما يساعدان على جعل اينشتاين مفهوما. والحكم نفسه ينطبق على الكتب الفلسفية ايضا.

الكتب العظيمة تبقى معاصرة باستمرار : وبالمقارنة مع هذا، نجد ان الكتب التي نصنفها "معاصرة" لأنها شعبية في الوقت الحاضر، لا تستمر كذلك اكثر من سنة او سنتين، او عشر سنوات على ابعد حد. ولعلك لا تستطيع ان تذكر اسماء كتب كثيرة راجت قبل ذلك، او لعلك لا تهتم بقراءتها. اما الكتب العظيمة فلا تبطل ولا تطمسها الافكار اللاحقة او تقلبات رياح العقيدة والرأي.

وينظر الناس الى المؤلفات "الكلاسيكية" على انها الكتب التي كانت عظيمة في الماضي، في ازمنة اخرى، قائلين: "ان عصرنا مختلف". لكن الصحيح هو العكس، اي ان

الكتب العظيمة ليست آثارا علاها الغبار ليبحث فيها الباحثون فحسب، بل الارجح انها افعل القوى الممدنة في العالم اليوم.

ان القضايا الانسانية الاساسية واحدة في جميع العصور. وكل من يقرأ خطابات ديموستينس ورسائل شيشرون، او مقالات بيكون ومونتين، يجد أن الانسان منشغل، على نحو ثابت ومستمر، بالسعادة والعدالة والفضيلة والحقيقة، وحتى بالاستقرار والتغير. ولئن استطعنا تسريع حركات الحياة. الا اننا، كما يبدو، لا نستطيع تغيير المجالات المتوافرة لبلوغ اهدافها.

الكتب العظيمة هي افضل الكتب للقراءة : انها لن تخيب ظنك اذا حاولت ان تقرأها قراءة جيدة. فصفحة واحدة منها تحوي من الافكار ما يزيد على ما تحويه معظم الكتب الاخرى بكاملها. لذلك يمكنك ان تعيد قراءة الكتاب العظيم مرة بعد مرة من غير ان تستنفد جميع محتوياته.

وفي الامكان قراءة الكتب العظيمة على مستويات متعددة من الفهم، وبتنوع كبير في التفسيرات. ومن الامثلة الواضحة على ذلك روايتا "رحلات غاليفر" و"روبنسون كروزو" وملحمة "الاوذيسة". فالاطفال يقرأونها بمتعة، لكنهم يعجزون عن ان يجدوا فيها ما يجده العقل الناضج من جمال وقيمة.

الكتب العظيمة اشد الكتب تثقيفا وتعليما : ويعود هذا الى انها نوع من المخاطبة الاصيلة بين الناس، اي انها تحتوي على ما لا يمكن ايجاده في كتب اخرى. وسواء اكنت موافقا في النهاية او غير موافق على ما في هذه الكتب، فهي تبقى المعلمة الرئيسية للانسانية. وهي التي قدمت العطاءات الاساسية الى الفكر البشري.

ويكاد يكون من نافل القول ان نضيف ان الكتب العظيمة هي ابلغ الكتب تأثيرا. ففي التراث الثقافي حظيت هذه الكتب باوسع مناقشة من قبل قراء كانوا، الى جانب ذلك، كتّابا ايضا. ووضعت عنها شروح وتفاسير كثيرة لا تحصى، لكنها اصبحت طي النسيان فيما بقيت الكتب الاصيلة على حالها.

الكتب العظيمة تعالج القضايا التي لا تزال من دون حلول في حياة البشرية : في العالم غوامض والغاز حقيقية تشكل تحديا للمعرفة والفكر البشريين. واذا كان البحث في هذه الامور الغامضة يبدأ بالتساؤل والعجب، فهو ينتهي بهما ايضا. وتعترف العقول الكبيرة بامانة بوجود الالغاز والغوامض. والحكمة تتعزز وتقوى، ولكن لا تتعطل، بفهم قيودها وحدودها.

انه امتياز لنا، كقراء، ان ننتمي الى المجموعة الانسانية الكبرى التي لا تقر بأي حدود قومية. اني لا اعرف كيف اتخلص من ثوب القومية السياسية الضيق، لكنني اعلم كيف نصبح اصدقاء للروح الانسانية في جميع وجوهها بصرف النظر عن الزمان والمكان، وذلك بقراءة الكتب العظيمة.

■ مورتيمر ج. ادلر

رئيس دائرة المعارف البريطانية
وأحد قادة حركة "الكتب العظيمة"
في اميركا الشمالية.

حَديث مَع بْريجنسْكي:

العَالم تغيّر والشعبُ الفلسطيني لا يمْكن تجاهلُه

أين هي "الحدود" الحقيقية للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي؟ ومن يحكم العالم، من فيتنام الى الشرق الأوسط؟ واي دور سيكون في الثمانينات وما بعدها للعالم الثالث؟
هنا مقابلة اجراها الصحافي جيمس رستون مع زبيغنيو بريجنسكي مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي حول المشاكل المهمة والمهمات الملحة في هذا العالم السريع التبدل.

س: تواجه الولايات المتحدة علاقات جديدة مع الصين ومشاكل مع الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط واوروبا... فهل انت متفائل ام متشائم؟

ج: انني متفائل أساساً، فمع ادراكي لضخامة المصاعب التي نواجهها اعتقد أننا نعمل حقيقة لايجاد اطار سليم للتعاون في العالم الذي يبدي يقظته ونشاطه من الوجهة السياسية للمرة الأولى في تاريخه.

فمنذ بضع عشرات السنين كان النظام السائد في معظم العالم قائما على اساس الامبراطوريات الاستعمارية التي بسطت سيطرتها على القسم الكبير من آسيا وافريقيا، او مرتكزا على انظمة سياسية قلما تحققت فيها مشاركة الشعوب. اما الآن فقد انهارت الامبراطوريات وتزايد عدد الانظمة الوطنية المستقلة وتقلصت الامية وانتشر التعليم وتكاثر استقرار الناس في المدن حيث اصبحوا عرضة للتعبئة السياسية

ولوسائل الاعلام الواسعة النطاق، ونشأ عن ذلك وعي اجتماعي وسياسي عالمي جديد لم يكن له مثيل من قبل.

س: وما هو تأثير كل ذلك على الامن القومي؟

ج: لقد مر الزمن - ولنقل عند منعطف القرن الحالي - حين كان يكفي الاقتصار في التفكير على حماية سواحل امريكا والذود عن حدودها وربما ايضا في كسب بعض الحلفاء تأمينا للحفاظ على تعادل القوى. ولقد اصبح مفهوم الامن القومي يعني الآن الالتزام الفعال الايجابي من جانب الولايات المتحدة بوجود عالم سريع التغير بما يتناسب مع مصالحنا ويتجاوب مع قيمنا.

س: وهل تتوافر لدى الولايات المتحدة العزيمة والقوة اللازمتان لذلك؟

ج: اعتقد ان لدينا القوة الكافية ولو بدرجة لا تعادل نسبيا ما كانته بعد الحرب العالمية الثانية. ولقد كان لدينا اخيرا مقدار اقل من العزيمة بعد ان تشظت بسبب حرب فيتنام، وانما نحن الآن على وشك الخروج من فترة هذا الانقسام.

العالم الجديد

س: هل يمكنكم ان تحددوا بعض قوى التغير الرئيسية في عالم اليوم؟

ج: في الفترة ما بين ١٩٥٠ وعام ٢٠٠٠ سيتزايد عدد سكان العالم فيبلغ ثلاثة مليارات ونصف مليار نسمة يعيش معظمهم في بلدان العالم الثالث، بينما لن يضم العالم الغربي آنذاك سوى عشرين في المئة تقريبا من البشر. ومن جهة اخرى، ففي نهاية هذا القرن ستكون غالبية البشر شبانا، وفقراء، وواعين سياسيا ومقيمين في المناطق الحضرية ومهيئين للتعبئة الجماهيرية. وتعتبر هذه القوى عناصر تغيير اساسية وحيوية لا بد للولايات المتحدة ان تتجاوب معها.

وهناك ايضا توزيع جديد للقوى الاقتصادية والسياسية في العالم، كما يستدل من بروز المناطق الصناعية الجديدة مثل كوريا ومجموعة دول جنوب شرقي آسيا والبرازيل وغيرها من الدول التي تتطور لتصبح مراكز جديدة للنمو الصناعي السريع. وهذا يعني ان الدول الصناعية القديمة يتعين عليها ان تعتمد بصورة مطردة على التجديد والابتكار في الميدان التكنولوجي محافظة على منزلتها العالمية.

وبما ان ثمة مجموعات من الدول، كالتي تضمها منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك)، في وسعها ان تنتظم في اتحادات للمنتجين او انصاف كارتلات تفرض سلطتها، فذلك يعني اخفاق التنظيم السابق للسلطة السياسية والاقتصادية. ولقد كان الغرب في العام ١٩٣٩ صاحب القوة السياسية بلا منازع الى جانب القوة المالية والاقتصادية. اما اليوم فان الغرب يتقاسم القوةالعسكرية مع الاتحاد السوفييتي، بينما تتزايد تجزئة القوة الاقتصادية اكثر من ذي قبل، فضلا عن وجود دوائر جديدة تملك الثروة والنفوذ الماليين وتفرض الضغوط الهائلة على نظام النقد الراهن.

كل هذا يعود بي الى محور حديثي وهو: ان سياسة الامن القومي

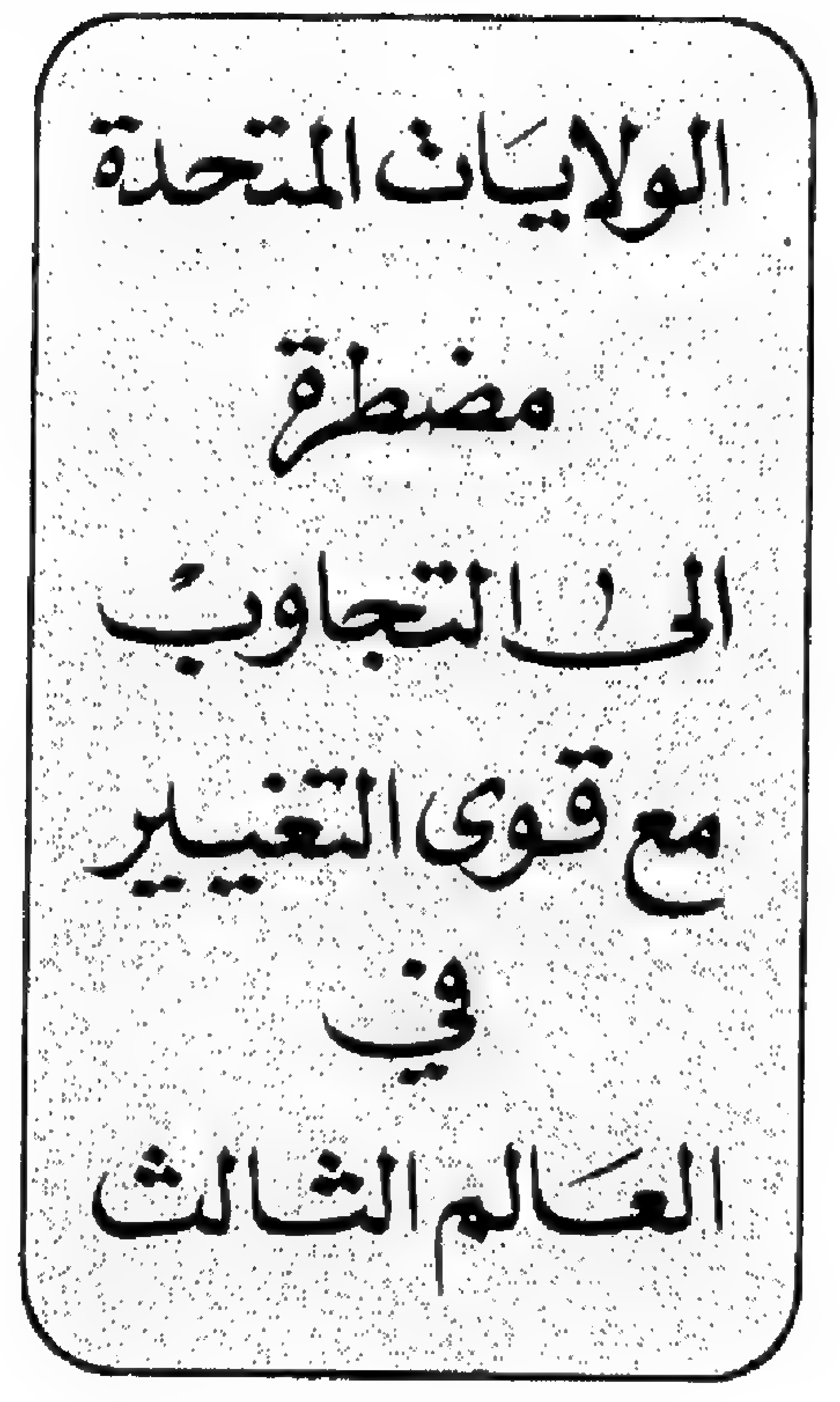
الاساسية للولايات المتحدة الامريكية تستدعينا الى المشاركة الفعالة في بناء الاطار التعاوني اللازم لمختلف هذه القوى. وان لم نفعل واجهتنا المتاعب.

س: ما هي القضايا الملحة اكثر من غيرها بالنسبة الى الامن القومي الامريكي؟

ج: معاهدة الحدّ من انتاج الاسلحة الاستراتيجية (سالت) والمبادىء والاوضاع الاستراتيجية، ثم الصين.

ستظل علاقة الولايات المتحدة بالاتحاد السوفييتي مشوشة لفترة طويلة، وحتى اذا تحققت معاهدة "سالت" فستستمر الخلافات والاحتكاكات بيننا وبينه. والمهم هو الاّ تشتدّ نزعة الشك والارتياب فيه الى حد الهوس، بل انه يتعين علينا وعلى السوفييت كذلك السعي الى التعادل والتكيف لان البيئة الاستراتيجية في الثمانينات ستكون مختلفة عنها في الستينات وهي الفترة التي تكونت فيها معظم مفاهيمنا الحالية وصممت غالبية اسلحتنا.

وعلينا ان نقيم التوافق الواضح مع جمهورية الصين الشعبية التي تمثل ربع البشرية وتعد قطاعا خلاقا وموهوبا للغاية تربطنا به مصالح كثيرة مشتركة، وهي مصالح بعيدة المدى لا علاقة لها بالناحية التكتيكية المعادية للسوفييت، بل تمت بالاحرى الى نظرتنا الاساسية الى العالم المتنوع لا الى العالم الخاضع لهذه السلطة او تلك.



الشعب الفلسطيني موجود

س: أليس هناك احساس قوي لدى الاسرائيليين بان حكومة كارتر في اهتمامها بمسؤولياتها العالمية، قد عدلت العلاقة الخاصة التي كانت قائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل؟

ج: (...) تدرك هذه الحكومة تمام الادراك انه ما لم نتوصل الى حل سريع وشامل للنزاع العربي - الاسرائيلي فان استمرار هذا النزاع سيكون في ذاته حافزا على استسراع انتشار التطرف وتغلغل النفوذ السوفييتي في المنطقة.

فالسلام هو من مصلحة الولايات المتحدة. وانما من مصلحة اسرائيل ايضا ومصلحة الدول العربية المعتدلة ومصلحة الشعب الفلسطيني - الذي لا يمكن تجاهله - ان ينشأ نمط من التعاون الاقليمي بين الغرب والدول الممتدة من ايران الى المغرب ومن جنوب شبه الجزيرة العربية الى شواطىء البحر الابيض المتوسط (...).

س: الم نكن مبالغين جدا في تقدير امتداد خطورة التهديد السوفييتي على النطاق العالمي؟

ج: عندما كنا نخشى الاتحاد السوفييتي في الماضي كنا ننزع الى المغالاة في تقدير قوته العسكرية التي كانت في الحقيقة غير ذات بال، والى التقليل من خطورة اغرائه الايديولوجي الذي كان له اهميته من بعض الوجوه. اما اليوم فيكاد الاغراء الايديولوجي السوفييتي يكون منعدم المفعول في الواقع، اذ ليس هناك ثوري واحد في اي ناحية من العالم يمكنه التفكير في اتخاذ الاتحاد السوفييتي نموذجا لمستقبل بلاده. ومن حيث القوة العسكرية السوفييتية، فعلى رغم نموها الكبير الا انها لا تكفي للسيطرة على الولايات المتحدة او على العالم. ولكنها، مع ذلك، كافية لتعقيد حلول النزاعات الاقليمية. فالازمة اليوم تتركز مثلا في مجموعة من دول المحيط الهندي، وبالتحديد على منحنى عدم الاستقرار الذي يبدأ من تشيتا غونغ في بنغلاديش عبر اسلام اباد والطريق المؤدية الى عدن. ومن المحتمل ان يتفاعل وضعها الاجتماعي والسياسي الضعيف مع مخططات القوة السوفييتية فتنشأ عن ذلك مشاكل حادة خصوصا بسبب النفط.

المستقبل المشترك

س: وماذا تستطيع امريكا للتأثير على العالم الحديث؟

ج: لقد حققت امريكا وحدتها على اساس المستقبل المشترك لا على اساس الماضي العضوي، فهي تعتبر بالتالي نموذجا مصغرا لعالم الغد. فوحدة العالم لا تقوم على وحدة الماضي ولكنها تتجه باطراد نحو المستقبل المشترك. ولقد برهنت امريكا على ان البشر يستطيعون ان يتعاونوا في سبيل أفكار رئيسية. ونحن الامريكيين قد بنينا سوية مجتمعنا الذي ظل في الحقيقة على مدى مئتي سنة اطارا للجهود الطامحة الى ارساء مفهوم حرية الانسان. والعالم اليوم في حاجة الى مثل هذا الاطار لكي تتحقق مثل الحرية والعدالة الانسانية. ويمكننا ان نساعد في ذلك، لا عن طريق السيطرة، وانما باقامة شبكة من علاقات التعاون لا مع اصدقائنا التقليديين فحسب بل مع الدول الجديدة ايضا ومع خصومنا كذلك.

وانني اتحدث هنا عن التعاون في نطاق نسيج عالمي شامل يساهم فيه بالفعل العدد الاكبر من الشركاء وتتوزع فيه القوة الاقتصادية والسياسية على النمط الذي حدث في الولايات المتحدة ذاتها خلال الاعوام العشرين الاخيرة.

س: وماذا عن الوضع في نصف الكرة الغربي؟

ج: تختلف وجهة نظرنا مع وجهة نظر سكان امريكا اللاتينية في ما يختص بالماضي المشترك. فاهل امريكا الشمالية يميلون الى التفاخر بمبدأ مونرو (★) اما بالنسبة الى اهل امريكا اللاتينية فليس هذا المبدأ سوى وثيقة تعبر عن السيطرة الامريكية.

وقد خففت الادارة الامريكية

(★) بيان عام ١٨٢٣ عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تعرب فيه عن معارضتها للتوسع في السيطرة او النفوذ الاوروبيين في نصف الكرة الغربي.

الحالية بعض التوتر بواسطة المعاهدات الجديدة لقناة بناما. ونحن نتبع السياسة القائمة على معاملة دول امريكا اللاتينية كشركاء ناضجين على اساس ثنائي في اغلب الاحيان كما هو شأننا مع دول اوروبا وآسيا، وعلى اساس اقليمي عند الاقتضاء، وعلى اساس عالمي في ما يتعلق بتلك المشاكل التي تشترك فيها امريكا اللاتينية مع الدول المتنامية الاخرى.

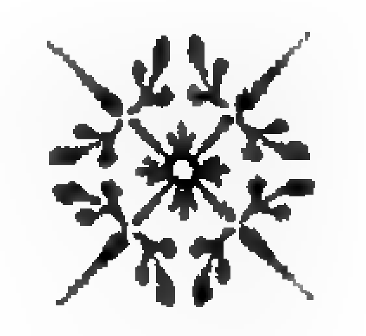
وأننا في حاجة الى تحسين علاقتنا مع المكسيك والا فسوف نجد في نهاية هذا القرن ١٤٠ مليونا من البشر في جوارنا الجنوبي مباشرة لا تربطنا بهم اواصر الصداقة مع اننا نشترك في الكثير مع المكسيك ويمكننا ان نبني علاقة جماعية خلاقة اذا اتسمنا ببعد النظر وعملنا جنبا الى جنب مع المكسيكيين انفسهم في وضع السياسات الامريكية - المكسيكية المشتركة في شأن عدد من المسائل كالتجارة والهجرة والموارد الطبيعية.

س: هل هناك عدم استقرار داخل الولايات المتحدة ذاتها؟

ج: هناك من حين لآخر بعض مناطق او حالات من عدم الاستقرار، ولكن ما تنفرد به امريكا هو قدرتها على امتصاص التغير واستيعابه، وفي هذا تكمن قوتنا العظمى. فنحن، على نحو ما، قد ابتدعنا التغير لاننا جئنا معا لبناء مجتمعنا بدلا من ان نولد في مجتمع ننشأ فيه.

س: هل تشعر بالارتياح الى تفهم الجيل الناشىء لهذه الرؤية؟

ج: اعتقد ان هناك بعض العودة الى القيم الايجابية للوطنية والى المعنى الايجابي لعبارة "افتتان الفرد بوطنه" والى التفاخر الايجابي بكل ما ترمز اليه امريكا وتعمل من اجله.



اكرام الضيف

كنت وصديقتي نقضي اجازتنا في صقلية. وذات مرة ذهبنا في نزهة ساحلية طويلة على الاقدام حتى وصلنا الى طرف ناء في منطقة ناكسوس. وحين استفسرنا عن الحافلة التي تقلنا الى تاورمينا، جاءنا الجواب ان هناك واحدة فقط تتوقف في هذه المنطقة بعد الظهر، ولا احد يعرف اذا كانت هذه مرت. فهيأنا انفسنا لقطع طريق العودة سيرا على الاقدام ودخلنا الحانة الوحيدة للحصول على شيء من النبيذ والخبز والسلامي يعيننا على استعادة عزيمتنا.

وبعد بضع دقائق دخل رجلان يرتديان بزات رسمية وتسكعا حول طاولتنا ثم اخذا يراقباننا ونحن نأكل، ولما لم يكن باديا عليهما سوء النية، فقد تبادلنا معهما بعض الطرائف الصغيرة. وبعد ان انتهينا من وجبتنا الممتعة، سألانا بادب جم، اذا كنا مستعدين للمغادرة حالا.

واستولت الدهشة علينا ونظرنا اليهما، فقدما لنا نفسهما: كان الاول سائق الحافلة والثاني مراقب الخط. وكانت السيارة واقفة فعلا في زاوية الشارع وهي محملة بابناء المنطقة الذين كانوا ينتظرون بصبر حتى يستعد الغريبان للذهاب.

س. س.

كيف ينظر الرجال الى الجنس!

الاندفاع الجنسي عند الرجال معقد بمقدار ما هو قوي. هنا يشرح احد المستشارين في الشؤون الزوجية الاختلاف في وجهات النظر بين الرجال والنساء – لفائدة الطرفين.

تحدثت، خلال السنوات الاربعين الماضية، مع آلاف الازواج عن احتياجاتهم الجنسية وما يتوقون اليه وعما يرضيهم او يخيب آمالهم. ووجدت انه بينما ينفرد الرجال – كالنساء – بخصائص جنسية معينة، فانهم، في الوقت نفسه يشتركون في عدد من المواقف ازاء الجنس. وأرى ان تفهم النساء لهذه المواقف امر ذو اهمية قصوى.

اول ما استرعى انتباهي هو ان معظم الرجال اشد خجلا من النساء في ما يتعلق بالجنس وهذا قد يبدو غريبا لان الرجال يتحدثون عن الجنس اكثر من النساء ويظهرون اهتماما به اكبر مما يظهرن. ولكن ينبغي ان نلاحظ "كيف" يكون الحديث عن الجنس بين الرجال. انه حديث يكتسب على الدوام تقريبا، صبغة غير شخصية واسلوبا غير مباشر كما يتجلى في حكاياتهم الجنسية ودعاباتهم حيث يكادون لا يتطرقون مطلقا الى الحديث عن اختباراتهم الجنسية الخاصة او عن ارتباكهم وخيباتهم.

ووجدت، بحكم عملي مستشارا في الشؤون الزوجية، ان الزوجات يستطعن عموما بحث حياتهم الجنسية. باتزان اكبر وتجرد اعظم مما يستطيع الرجال فما السبب؟

عواطف مكبوتة – ثمة اسباب عدة، منها قوة الرغبة الجنسية لدى الرجل وسرعة اثارته بالصور والحكايات الجنسية التي تكاد لا تخلف اي اثارة في المرأة، وكذلك اندفاعه العدواني الذي قد ينجم عن احتياجاته الجنسية. هذه القوى المتفجرة يمكن ان تولد فيه عواطف تذهله وتجعله يخشى فقدان السيطرة على زمام نفسه. وهكذا يتعلم الرجل، لدى تطرقه الى الحديث الجنسي مع الآخرين، المحافظة على الموضوع بعيدا عنه. ولا يسمح له بأن يصبح في وقت من الاوقات موضوعا شخصيا حميما، بل يحرص باستمرار على الحيلولة دون انفجار عواطفه خشية ان يصبح اضحوكة بين الناس او مصدر فزع ورعب. هذا احد الاسباب التي تجعل ارتباط الجنس بالحب ورقة

العاطفة امرا اشد عسرا على الرجال منه على النساء.

ما من رجل يريد فعلا الجنس من دون حب. الا ان ثمة رجالا يجدون مشقةفيالتعبير عنمودتهم وحاجتهم الى الحب. بحيث يشعرون نساءهم بان الجنس حاجة مجردة لا تمت بصلة الى الشعور الشخصي تجاههن. وفي ذلك طبعا اذلال فظيع للمرأة التي تشعر عندئذ بانها تستغل كمتاع فقط، ولا تعامل كانسان.

اختلاف اساسي - وتستطيع المرأة ان تتفهم هذه الناحية على نحو افضل اذا تذكرت انه لا يزال هناك اختلاف اساسي بين الادوار التي يضطلع بها الرجال والنساء. فدور الرجل تقليديا هو الاخذ، في حين ان دور المرأة هو العطاء. وان تكن هذه المواقف تبدلت اليوم، الا ان الرجل ما زال يحس بحافز على الاخضاع بينما يراود المرأة احساس يحثها على الاستسلام. وقد عمدت شخصيا في بعض الاحيان الى شرح الموضوع في اثناء عملي باسداء النصح الى الازواج على النحو الآتي: "الرجل يعطي حبه ليحصل على الجنس بينما تمنح المرأة الجنس لتحصل على الحب". وما من شك في ان الحب الناضج يتجاوز تجاوزا كبيرا هذا المفهوم المبسط. لكنه، على رغم ذلك، مفهوم قريب الى الحقيقة، وقد منح عددا من الازواج الذين عرفتهم مفهوما جديدا عن انفسهم.

وهناك حقيقة اخرى مهمة عن الرجل، وهي ان اعتباره لنفسه متأصل في جذور طبيعته الجنسية. والطريقة الوحيدة التي تمكنه من اثبات ذكورته امام نفسه هو لعب دور الرجل مع المرأة التي اختارها. وكرامة الرجل كرجل حيال هذا الدور اعمق من اي اختبار آخر في حياته. وهذا مصدر حساسية الرجال الفائقة وتعرضهم للانسحاق وقابليتهم للانجراح في الامور الجنسية. ويعلم كل من عمل مستشارا في الشؤون الزوجية مدى الحسرة التي يحس بها الزوج حين يكتشف عجزه الجنسي، اذ يصبح مهزوما لاعتقاده انه لم يعد رجلا.

وعلى النساء ان يتفهمن هذه الحساسية البالغة لدى الرجال، خصوصا لانه ليس هناك مثيل لها في اختباراتهن. ان الوظيفة الجنسية عند الرجل معقدة. واذا تعطلت فلا يبقى في حياة الرجل اختبار اشد قسوة سوى ان تعامله المرأة التي اخفق معها باحتقار وازدراء.

حساسية مفرطة - قد لا يبدو الرجال حساسين بالنسبة الى موضوع الجنس، لكنهن حساسون في الواقع. ومن المذل كثيرا للزوج ان يتقدم من زوجته ببادرة جنسية فترفضه. واذا كان طبيعيا ان تكون هناك اوقات يحق فيها للمرأة ان تقول: "لا"، الا انه ينبغي ان تفعل ذلك بلباقة عظيمة لئلا تجرح كبرياء الرجل جرحا أليما.

والرجل بالاضافة الى ما سبق، حساس ايضا حيال موضوع آخر هو قدرته على اسعاد زوجته خلال العملية الجنسية. وما اكثر الازواج الذين يكتئبون لشعورهم بعدم الكفاية كل مرة لا تبلغ الزوجة فيها ذروة اللذة. واذكر، على سبيل المثال، زوجا جاءني مع زوجته الشابة من مكان

يبعد بضع مئات من الكيلومترات ليستشيرني في هذه الناحية. وبقي طوال ساعتين يروي لي قصته المأسوية. ثم خرج من المكتب ودخلت زوجته لبحث الموضوع، واذا بها تقول لي: "اني لا افهم ما يقلق زوجي بيل. فانا احبه حبا جما وارغب في مجامعته، ولا يهمني اطلاقا ان بلغت الذروة ام لا، فلماذا هو مهتم بالامر؟"

السبب، طبعا هو، شعور بيل بان المسألة تتعلق بهيبته كرجل. ومن هنا كان احساسه بالألم.

ان الاثارة الجنسية لدى الرجل اسرع كثيرا منها لدى المرأة. فالرجل، حسبما شاءت الطبيعة، هو الذي يثير المرأة. على ان النساء لا يستطعن الدخول في المزاج الجنسي الا بعد عملية بطيئة ومتدرجة تتأثر كثيرا بالجو الرومنطيقي والاتصال الجسدي. ويظل هذا الاختلاف مشكلة تتحكم بحياة اكثرية الرجال معظم الاوقات لانهم هم الطرف الذي ينبغي ان يبرد من تأجج الشهوة ريثما تبلغ الزوجات تدريجا مرحلة الاستعداد للاستجابة.

وغالبا ما يطرأ هذا الاختلاف في التوافق الزمني على المجامعة نفسها التي قد تسفر عن خيبة الطرفين معا، وجرح مشاعرهما. وهي مشكلة كثيرا ما تطرح امام المستشارين في الشؤون الزوجية. لكنها، لحسن الحظ، مشكلة يمكن حلها كل مرة تقريبا. الرجل هو المسؤول عن تكييف نفسه.

الانسجام الروحي والجسدي ـ

أنه الغاية الاساسية التي يحسن بالزوجين ان يسعيا اليها

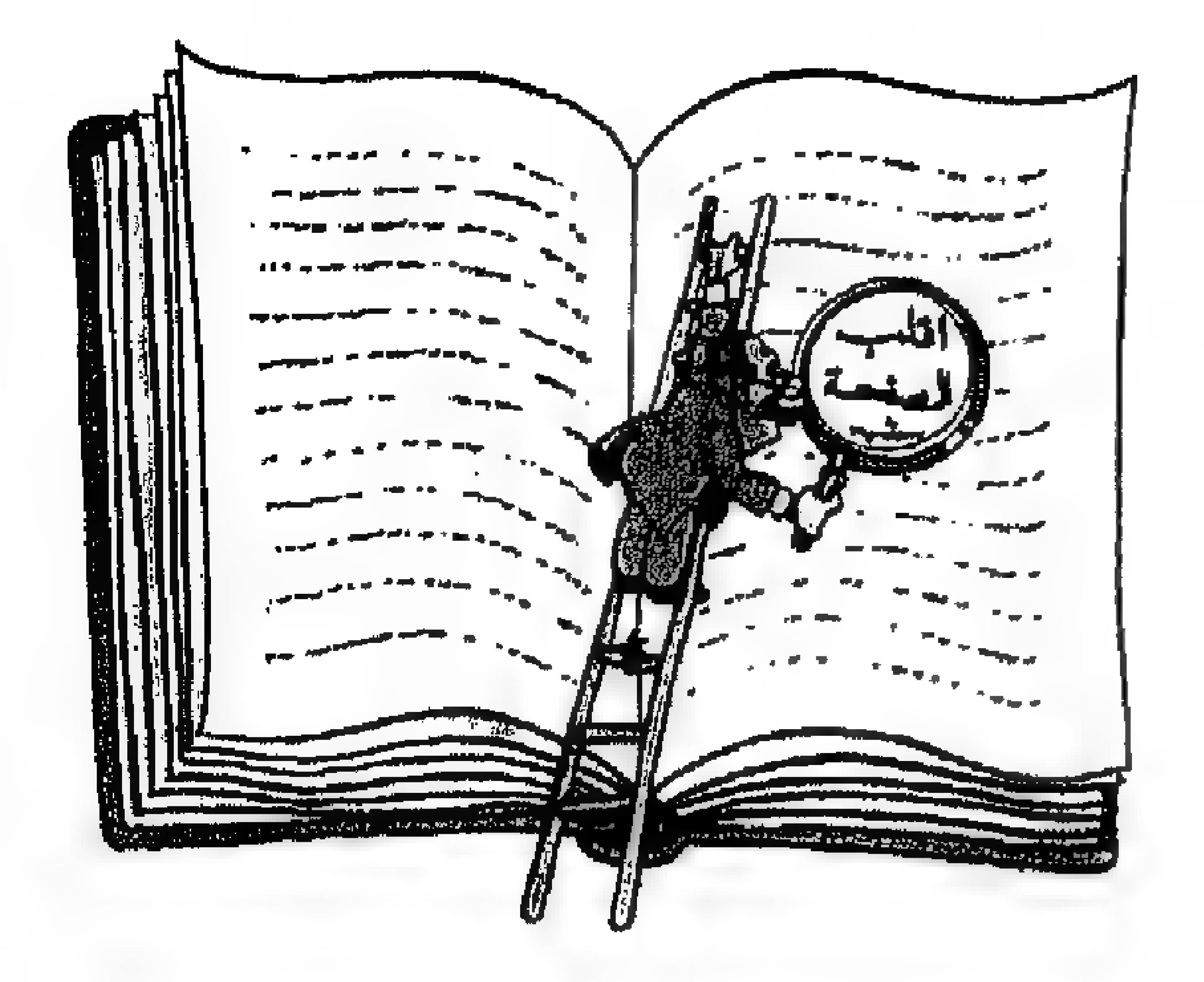
وتظهر المشكلة مرة اخرى في فترة خمود العواطف التي تلي المجامعة الجنسية حين تتلاشى مشاعر الرجل الجنسية بمثل السرعة التي تأججت فيها. على ان الزوجة تمر في مراحل عملية بطيئة وطويلة. تراودها خلالها مشاعر رومنطيقية من السعادة والاكتفاء. وتنزع المرأة الى اطالة هذا الاحساس بالانسجام الروحي والجسدي مع زوجها. وكثيرا ما سمعت الزوجات يشكين من هذا الامر. وقالت لي احداهن: "في اللحظة نفسها التي اتوق الى ان اسمع زوجي يحدثني عن مدى حبه لي، يدير جسمه الى الجانب الآخر ويغط في النوم".

لا شك في ان الرجال الذين يحبون زوجاتهم على استعداد لان يدخلوا بعض التعديلات على تصرفاتهم. لكنهم يشعرون بارتياح افضل اذا تفهمت زوجاتهم ان المسألة في حاجة الى جهد وضبط نفس، وانها لا تتأتى بصورة طبيعية. والزوجة المتفهمة تشعر، بل تصرح، بامتنانها للزوج الذي يظهر مثل هذا الاعتبار لشخصها.

ليس الجنس كل شيء في الزواج، وينبغي الا نبالغ في اهميته. ولكن يجب علينا، في الوقت نفسه، الا نقلل من خطورته وقوته الجبارة اذا ما أحسن استخدامه في التأثير على بقية اوجه الحياة الزوجية والحب الزوجي بحيث تسير الامور بيسر وحلاوة.

■ **الدكتور ديفيد ميس**

استاذ علم اجتماع الاسرة في كلية "بومان غراي الطبية" في وينستون - سالم، ولاية كارولينا الشمالية.



كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من العناوين والمقدمات التي ظهرت في الاعداد الستة السابقة من "المختار".

وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **مآثر:** آثار - بطولات - معجزات - مكارم.

٢. **يتّسم:** يتزيّن - يتّصف - يسمّي - يفوز.

٣. **حاقَ:** محا - أهلك - أحاط - امتلأ.

٤. **مناهِض:** جريء - مقاوم - متحمس - مخرِّب.

٥. **قَلَنْسُوَة:** تاج - عصا - قبّعة - لباس عسكري.

٦. **كرَّسَ:** خصَّصَ - ثبّتَ - نادى - ترك إرثاً.

٧. **غمَرات:** شدائد - كوارث - أحمال - ماءٌ كثير.

٨. **موئِل:** أرض - غاية - ملجأ - منزل.

٩. **لجوج:** متردِّد - مخاصِم - مضطرب - ملحّ.

١٠. **ينْتاب:** يتوب - يصيب - يطيع - يؤدّي.

١١. **أفلَحَ:** أصلَحَ - فاز ونجح - اتّكل - حرث الأرض.

١٢. **صدَدٌ:** طريق - امتناع - صداً - قصْد.

١٣. **وساوس:** أحلام - مخاوف - وشايات - أفكار لا نفع فيها.

١٤. **لبونَةٌ:** انثى الأسد - حاجة - ذات لبَن - قالب لبن.

١٥. **تشبَّثَ:** تعلّق - عارض - ذكر أيام الشباب - بلغ سن الشباب.

١٦. **شائقٌ:** مشتاق - طويل - صعْب - ممتع.

١٧. **كنَفٌ:** سترة - جانب - عون - يد.

١٨. **مغبون:** جاهل - مجهول - مظلوم - مسرور.

١٩. **جثَمَ:** تلبّد - ركع - وقع - اصطدم.

٢٠. **عتاة:** أحرار - قساة - متغافلون - ظالمون.

٢١. **خوارِق:** معجزات - ترّهات - قِفار - ثياب بالية.

٢٢. **عريق:** عميق - طويل - ذو رائحة طيبة - ذو أصل.

٢٣. **هُوّة:** ما هبط من الارض - بئر - مخبأ - من أسماء جهنم.

٢٤. **فذٌّ:** قوي - ظافر - فرد - مجتهد.

٢٥. **جسور:** قائد - ظالم - شجاع - ضخم.

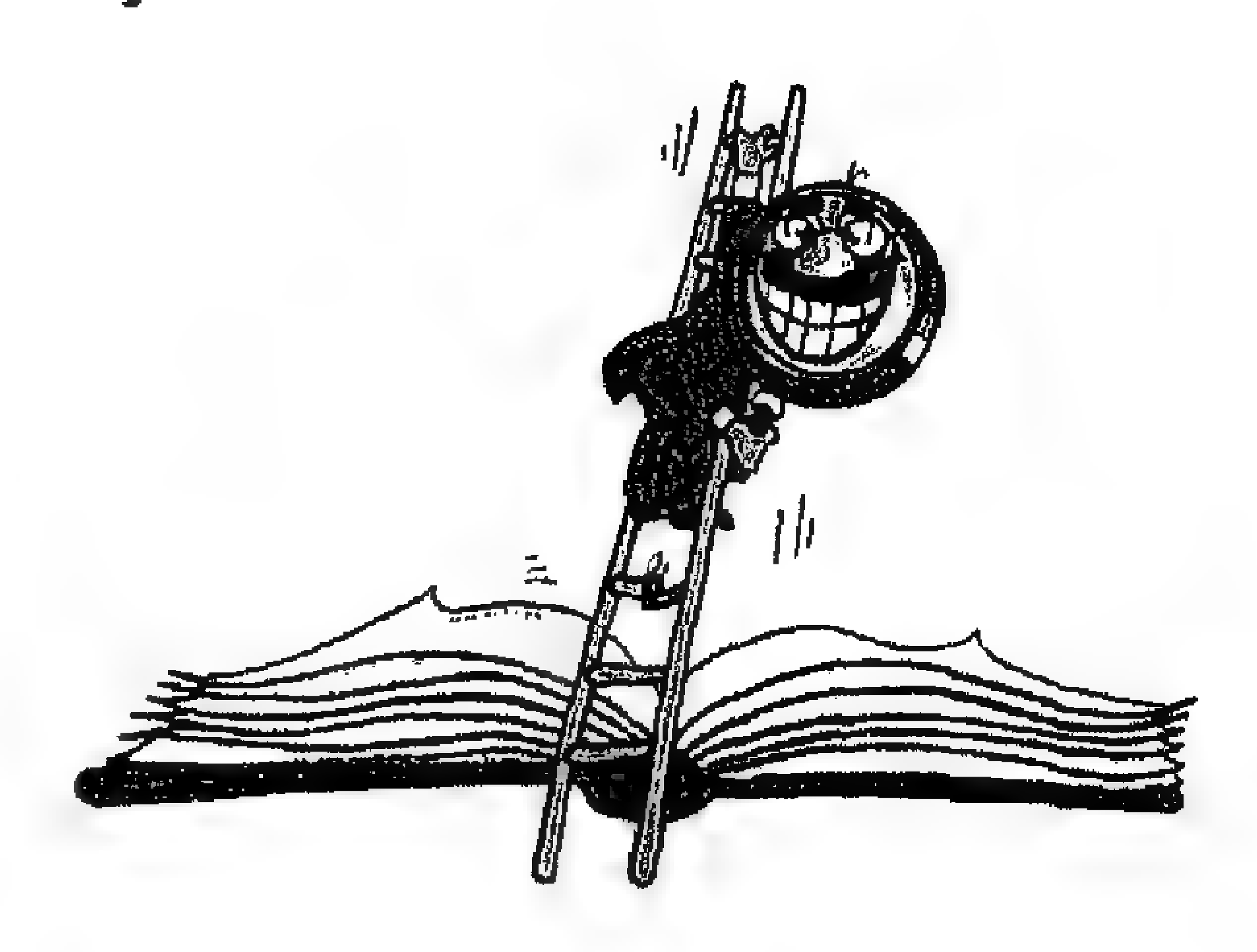
٢٦. **رخاء:** هناء - رقة - أمان - ريح ليّنة.

٢٧. **العوادي:** الأعداء - القِفار - الرياح الشديدة - العوائق.

٢٨. **القِبْلة:** القبول - الجهة - المقدرة - الصّلاة.

٢٩. **فطنَ (بتثليث الطاء):** أدركَ - فاقَ - قطَعَ - نهَضَ.

٣٠. **عقّار:** متاع البيت - خمر - دواء - عقيم.



الأجوبة الصحيحة

١٠ **مآثر:** مكارم متوارثة وأفعال حميدة، مفردها مأثرَة ومأثُرَة.
٢٠ **يتّسِم:** يتصف بسمة، أي علامة، يعرف بها.
٣٠ **حاقَ (حوقاً بالشيء):** أحاط به.
٤٠ **مناهض:** مقاوم.
٥٠ **قَلَنْسُوَة:** قبعة، نوع من ملابس الرأس، ويقال قَلَنسية، جمعها قلانس وقلانيس وقلاسٍ وقلاسيّ.
٦٠ **كرّسَ (نفسه على الشيء):** وقفها عليه، خصّص.
٧٠ **غمَرات:** شدائد، مفردها غمْرة، ويقال كذلك غمار وغُمَر.
٨٠ **موئِل:** ملجأ، وأل إليه: لجأ، وإلى الله: رجع.
٩٠ **لجوج:** ملحّ، عنيد، لجّ: ألحّ.
١٠٠ **ينتاب:** يصيب.
١١٠ **أفلَحَ:** فاز وظفر بمطلبه، نجح في سعيه وأصاب في عمله.
١٢٠ **صدَد:** قصد، ناحية، تصدّدَ له: تعرّض.
١٣٠ **وساوِس:** أفكار لا نفع أو خير فيها، وَسْوَسَ الرجُل: اصيب في عقله وتكلم بغير نظام، تكلم بكلام خفيّ، الوَسْواس: الشيطان.
١٤٠ **لَبُونَة:** صفة الحيوانات الثديية ذات اللبن، التي ترضع صغارها.
١٥٠ **تشبّث:** تعلّق، رجُل شبيثٌ: طبعه التشبُّث، أي التعلّق.
١٦٠ **شائق:** ممتع، حامل على الشوق، شيّق: مشتاق.
١٧٠ **كنَفٌ:** جانب، ظلّ، جناح الطائر، كنَف الانسان: حضنه أو العضدان والصدر، كنف الله: حرزه ورحمته.
١٨٠ **مغبون:** مظلوم، مغلوب، مخدوع.
١٩٠ **جثَمَ (جثْماً وجثوماً) الرجُل أو الطائر أو الحيوان:** تلبّد بالأرض، فهو جاثم، جمعها جُثّم.
٢٠٠ **عُتاة:** قساة، جبابرة، مفردها عاتٍ، ليلٌ عاتٍ: شديد الظلمة، ملكٌ عاتٍ: قاسي القلب غير ليّن.
٢١٠ **خوارق:** ما يخرق العادة، معجزات، مفردها خارق.
٢٢٠ **عريق:** الذي له عرق، أي أصل، في الكرم واللؤم ونحوهما.
٢٣٠ **هُوّة:** ما هبط من الأرض، الوهدة الغامضة منها، الجوّ ما بين السماء والأرض، جمعها هُوىً وهوّ وهوِيّ.
٢٤٠ **فذّ:** فرد، جمعها أفذاذٌ وفُذوذ، تفذّذ واستفذّ بالأمر: استبد به وانفرد.
٢٥٠ **جسور:** شجاع، مقدام، جمعها جُسُرٌ وجُسْرٌ، مؤنثها جاسرة، ويقال أيضا: جاسر، وجمعها جُسّار وجاسرون.
٢٦٠ **رخاءٌ:** هناء، سعة العيش، رَخا ورَخِيَ ورَخُوَ العيش (رخاء): اتسع وكان هنيئاً.
٢٧٠ **العَوادي:** العوائق، مفردها عادية، وهي مؤنّث عاد: البعد، الشغل يصرفك عن الشيء، الحدّة والغضب، الظلمة والشرّ.
٢٨٠ **القِبْلَة:** الجهة.
٢٩٠ **فَطِنَ (للأمر وبه وإليه):** أدركه، فهمه وحذق فيه، **الفِطْنَة:** الحذق والفهم.
٣٠٠ **عقّار:** ما يُتداوى به من النبات، الدواء مطلقاً، جمعها عقاقير.

المستوى

٢٥ – ٣٠ : ممتاز
١٩ – ٢٤ : جيد
١٣ – ١٨ : مقبول



عملية طبيعية
منظر رسمه كلاوس سباهني من مقاطعة تاراغونا في اسبانيا بفمه بعدما اصيب في التاسعة من عمره بشلل الاطفال الذي ايبس ذراعيه وساقيه .

وراء كل واحدة من رسوم هذا الموضوع ارادة حياة منتصرة .

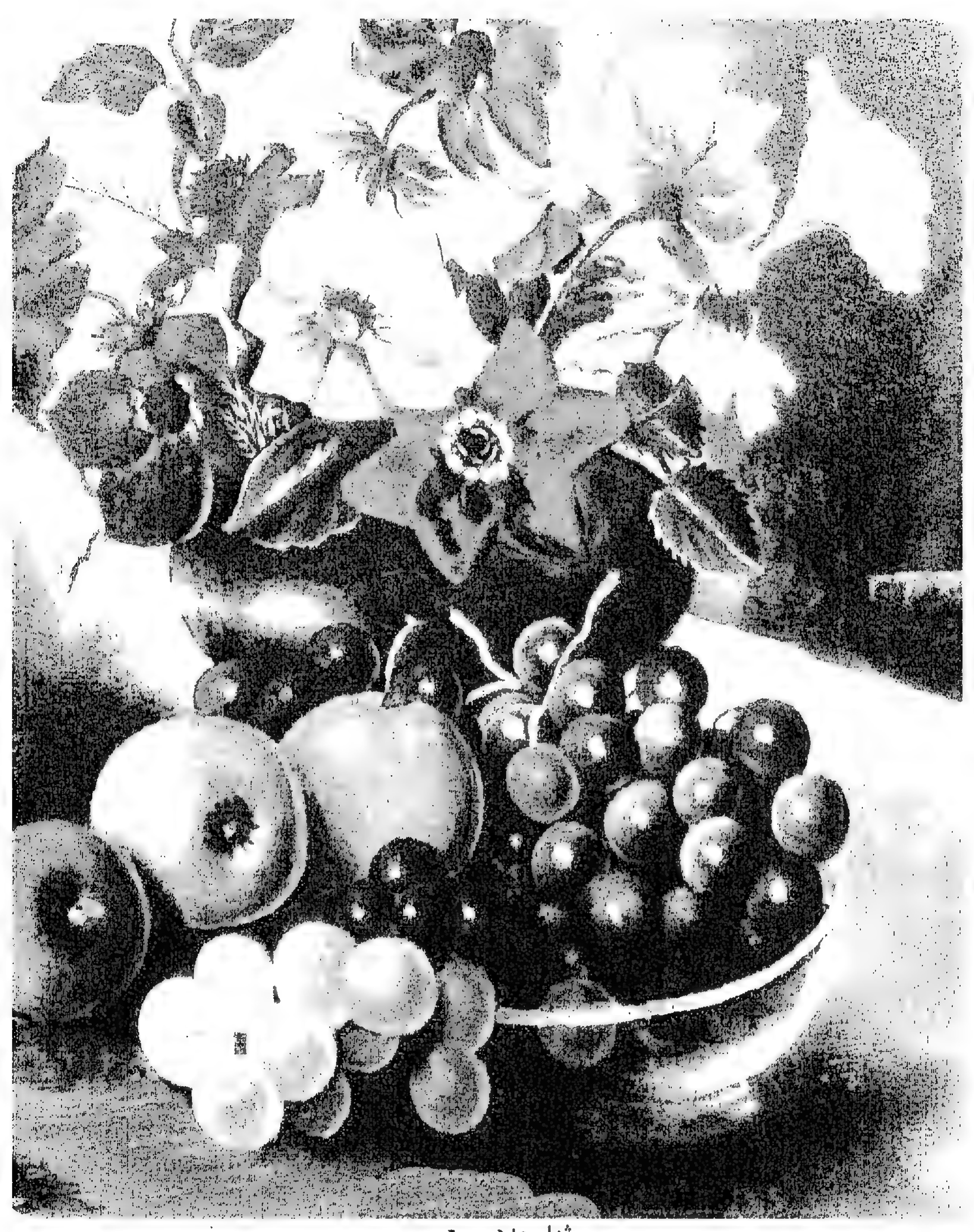
الارادة المنتصرة

هل الشجاعة ترى بالعين؟

ان صاحب المعجم الامريكي الشهير نوح ويبستر لا يظن ذلك . وهو يحدد معنى الكلمة في قاموسه على انها "تلك السمة العقلية التي تمكن المرء من مواجهة المصاعب بجرأة" . واتفق معه ايضا الروائي ارنست همنغواي الذي رأى ان الشجاعة ليست شيئا ملموسا ، وسماها : "النعمة تحت الضغوط" . لكن الاعمال الفنية المنشورة على هذه الصفحات توحي بان للشجاعة ، في احيان نادرة ، شكلا ولونا وملمسا ، وانها ، حين تغدو كذلك ، تكون شيئا جميلا .

الرسامون الممثلون على هذه الصفحات يعانون جميعا عجزا رئيسيا . فهم حرموا ، عن طريق المرض او حوادث الاصطدام او الحرب او العاهات الملازمة منذ الولادة ، استخدام ايديهم . ومع ذلك ، تراهم وقد اطبقوا على ممسك ريشة الرسم بأسنانهم او اصابع اقدامهم ، وراحوا ينتجون اعمالا فنية جديرة بالعرض في معارض ومتاحف ذات سمعة

ALL PAINTING SELECTED FROM ART CALENDARS OF THE ASSOCIATION OF HANDICAPPED ARTISTS, INC
503 BRISBANE BLDG . BUFFALO, N Y 14203



ثمار وزهر

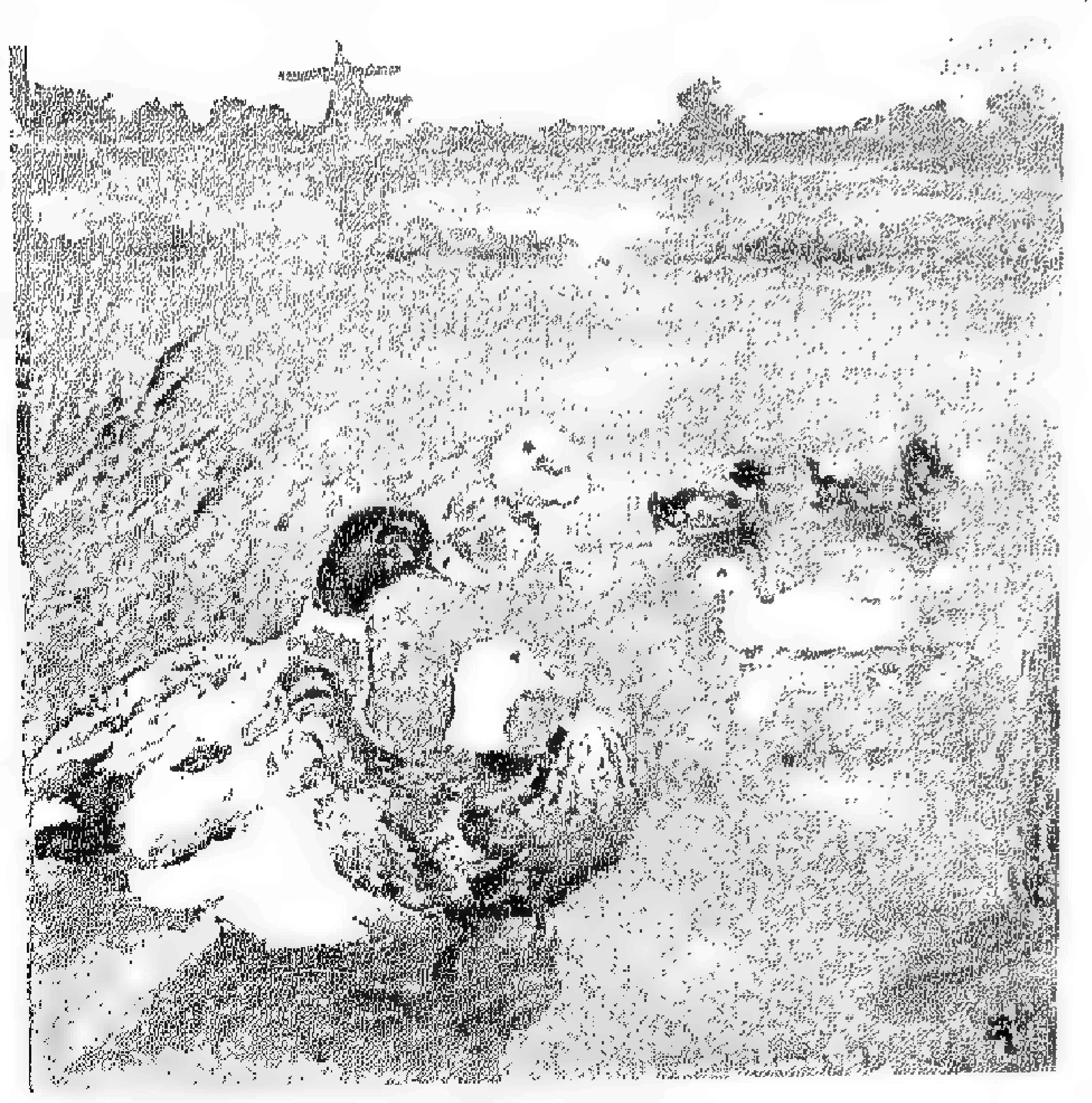
لوحة رسمها بفمه الفنان الايطالي غويرينو كولينا (١٩١٨ - ١٩٧٦).
ولد كولينا في اونتاريو (كندا) وافقده المرض القدرة على استخدام
ذراعيه ثم تعلم الرسم بالريشة والقلم حتى اصبح اخيرا استاذا للفن.

رفيعة، مثل "فستيفال هول" في لندن وغاليري "سيركل سان لوي" في باريس واكاديمية "تابرينا" في روما و"غاليريا دارته دي كوريس" في ميلانو وغاليري "ارته كوسينشا" في قرطبة؛ وفي اماكن مختلفة في الولايات المتحدة الامريكية. كما اقدم على شرائها جامعو التحف ذوو الاذواق القادرة على الحكم والتمييز في ارجاء العالم.

ان عشرات الالوف من الهواة وشبه المحترفين ينتجون رسوما ولوحات بالالوان في مختلف مؤسسات التدريب ومراكز التأهيل، من امريكا الى اوستراليا والشرق الأوسط وافريقيا.

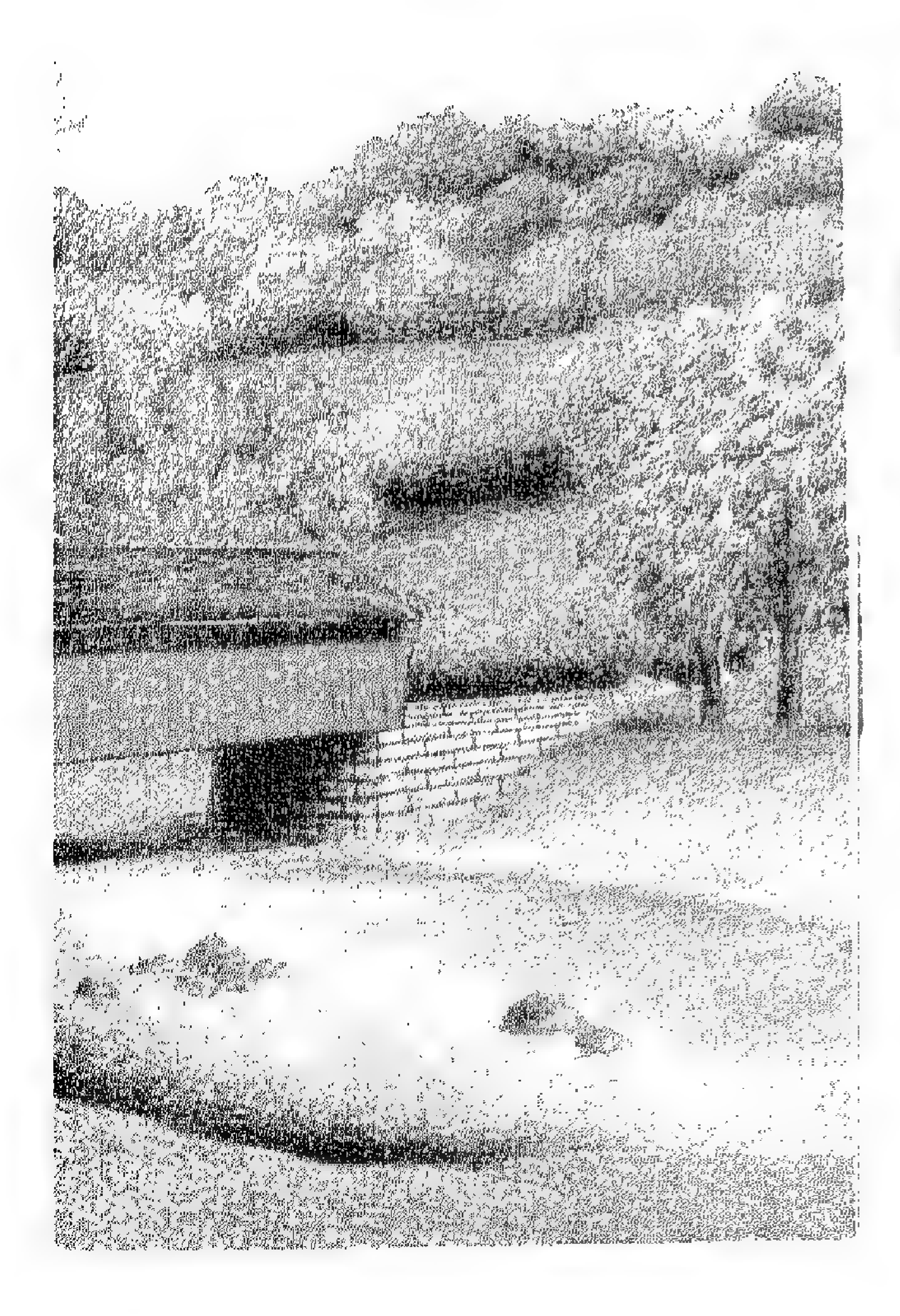
بركة البط

بريشة الفنان الهولندي الراحل بيتر موليفيلد الذي كان رساما موهوبا قبل ان يجبره الشلل على استخدام رئة اصطناعية من الحديد. لكن عزيمته لم تثبط، بل تعلم الرسم بالقدم حتى بلغ من المهارة ما جعل رسومه اللاحقة على مستوى لا يمكن التمييز فيه بينها وبين رسومه السابقة باليد.



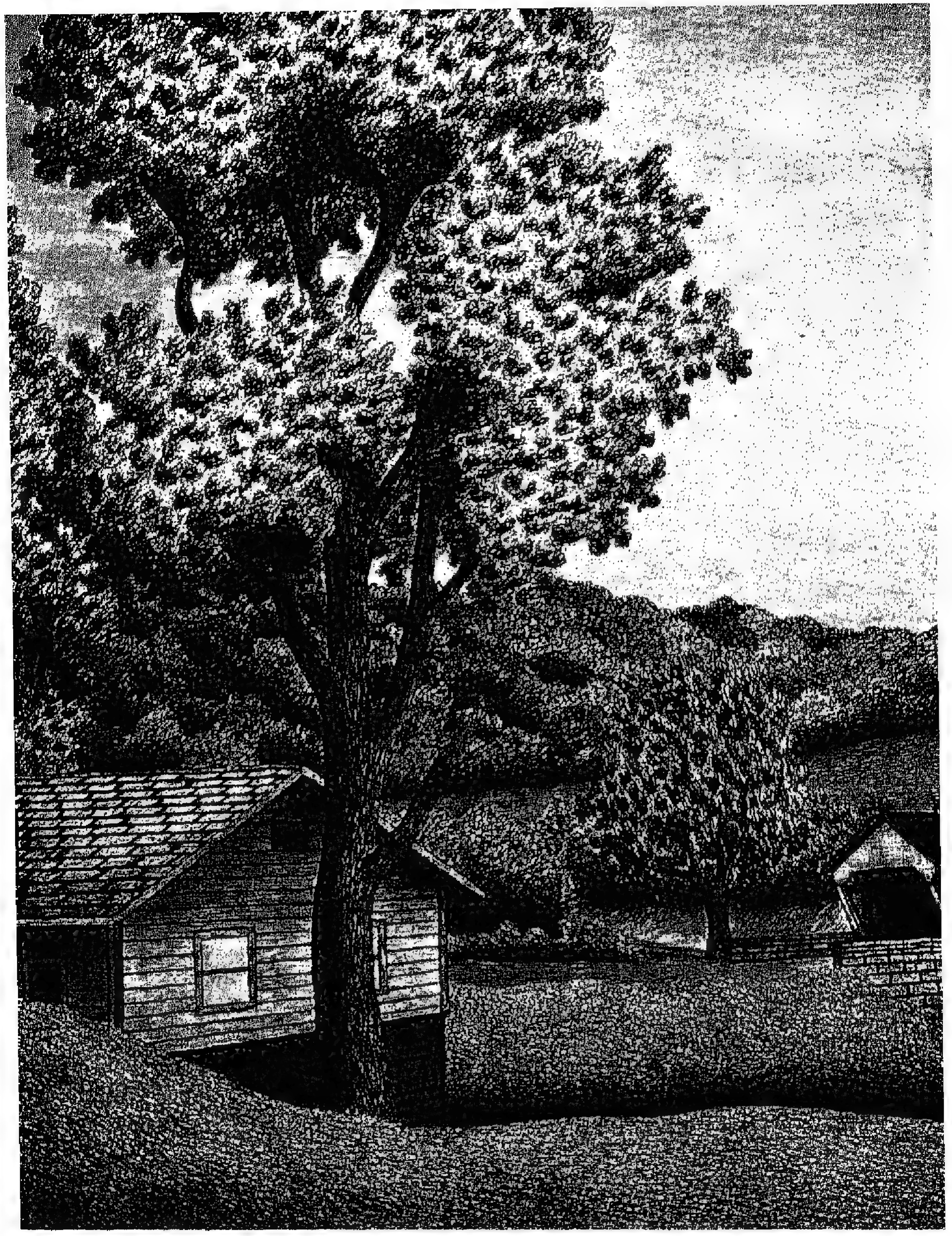
جمال الصيف
رسم بالفم من اعمال دينيس ليغريكس من باريس. وهي ولدت بلا ذراعين وبلا ساقين في منطقة كالفادوس الفرنسية عام ١٩١٠، ولم تكتف بتعليم نفسها الرسم بالالوان بل التطريز والطباعة على الآلة الكاتبة.





اما الصفوة من ابناء هذا العالم الفخور والمتخصص في الرسم فانهم ينتمون الى "رابطة الرسامين بالفم والقدم" التي اسسها في اوروبا ارنولف اريك ستيغمان، الرسام والمعلم الالماني المعاق، عام ١٩٥٩.

وقد يبست ذراعا ستيغمان وساقاه لدى اصابته بشلل الاطفال بعد ثلاث سنوات من ولادته عام ١٩١٢. وانتقل طفلا من مسقط رأسه في درامستات الى نورمبيرغ حيث تلقى دروسا في الفن والمداواة. ومع الايام التقى ستيغمان عشرات الفنانين الآخرين المعاقين، فخطرت له فكرة انشاء رابطة (هو الآن رئيسها مدى الحياة) تسعف الآخرين مثله على ان يصبحوا مستقلين ذوي اكتفاء ذاتي، وغير مضطرين للجوء الى المؤسسات الخيرية.



الجسر المغطى

من اعمال الفنان الامريكي تشارلز سميث، رسمها بفحمه وهو طريح الفراش. وهو يستخدم اقلام حبر جاف ملونة ذات رؤوس مكورة، وينهج في لوحاته نهجا مماثلا لمذهب "التنقيطية"، اي التصوير بالنقط، وهو الاسلوب الذي تطور على ايدي الرسامين الانطباعيين الفرنسيين.

قرية اسبانية

لوحة رسمت بالقدم. وهي من اعمال مانويل بارينيو ريفيرا الذي يبلغ الآن الاربعين من عمره. ويتميز بارينيو باظهار مناظر الاندلس في غمرة من الشمس، بمهارة حسية فائقة.



شارع في طوكيو

رسمها بالفم ارنولف اريك ستيغمان مؤسس "رابطة الرسامين بالفم والقدم".

واهم مصدر دخل للرابطة هو بيع بطاقات التهاني او التحية والتقاويم (الروزنامات) التي طبعت عليها صور من اعمال فنية لاعضاء الرابطة. وتتم عملية البيع بواسطة الطلبات بالبريد. اما اللوحة الاصلية فهي ملك الفنان، يتصرف بها حسبما يشاء او يبيعها بالسعر الذي يحدده هو.

والجدير بالذكر ان ستيغمان الذي يعيش الآن مع اسرته في ميونيخ - المانيا، يبيع اللوحات التي رسمها بفمه بسعر يبلغ بضعة آلاف من الدولارات للوحة الواحدة.

والفنان من اعضاء الرابطة (٥٤ عضوا انتخبوا جميعا من لجنة تضم غير معاقين على اساس جدارة الفنان وقدرته على انتاج فن رفيع) يتقاضى راتبا شهريا مقداره ١٣٠٠ دولار تقريبا على مدى الحياة، بصرف النظر عما اذا كان الفنان سيصاب بعجز لاحق يقعده عن الانتاج. كذلك تهيىء الرابطة منحا دراسية تبلغ بضع مئات من الدولارات سنويا للفنانين المعاقين الذين يبشرون بمستقبل طيب.

لقد برهن هؤلاء الفنانون في اعمالهم المنشورة على هذه الصفحات عن مدى الكمال الذي يمكن ان يحققه الانسان المعاق جسديا.

كان ايلون لامفيير عاملا ميكانيكيا عندما اصيب بالشلل عام ١٩٤٩. وبعد خمس سنوات بدأ يمارس الرسم بالفم. ويقول لامفيير، وهو ايضا من هواة اللاسلكي: "الحياة هي ما تجعلها انت. وعلى كل منا ان يتغلب على عجزه، سواء اكان عجزا جسديا او نقصا في الثقافة او المال او الثقة بالنفس. اما انا شخصيا فلم اكسب دخلا ماليا فحسب، وانما كسبت كذلك حافزا لان احيا على نحو خلاق".

وتقول الفنانة فيولا هن هامبي: "الرسم بالنسبة الي هو اسلوب بديل في اختبار الاشياء". وقد اصيبت فيولا منذ ولادتها بتلف في اعصاب ذراعيها وعضلاتهما. وهي تستخدم فمها لتحريك الريشة.

ان الجهود الخلاقة التي يبذلها هؤلاء الفنانون لا تقتصر على الرسم. فبعضهم، مثل ستيغمان، يعملون ايضا في مجال الفسيفساء او النحت باستخدام الطين والمبضع. ويتولى بعضهم الاخر تشغيل محطات اذاعة للهواة. وبينهم ايضا عدد كبير ممن ينظمون الشعر ويؤلفون الكتب. وقد وضعت دينيس ليغريكس رواية نالت اعجاب النقاد في فلورنسا بعنوان "ولكن ولدوا بشرا". وحازت عام ١٩٦٥، وسام فارس في جوقة الشرف الفرنسية.

ولئن كان القدر انزل بهؤلاء الاشخاص الموهوبين عجزا رهيبا، الا انهم بفضل حماستهم وحبهم للحياة وعزمهم الذي لا ينثني، حولوا الكوارث التي حلت بهم الى انتصارات تدخل المتعة الى نفوسنا جميعا.



"تعلّم ان تتقبّل الشيء المحتوم لكي تجعل منه شيئا مفيدا".

تاليران



تأملات معاصرة

قوة الاغراء

في كتابه عن الحرب الاهلية الاسبانية بعنوان "اجلالا لكتالونيا"، يصف جورج اورويل كيف كان كل من الطرفين المتحاربين يوجه خطبه السياسية الرنانة نحو الطرف الآخر عبر الاودية الجرداء ومن خندق الى خندق، لكن اكثر الخطباء اضعافا للمعنويات لم يكن يلجأ الى اطلاق الشعارات الثورية، وانما يكتفي عوض ذلك، بان ينبيء الخصم بان فريقه يتمتع بغذاء اجود، فكنت تسمع الصدى المتردد عبر الاودية المقفرة: "خبز محمص مع الزبدة! لقد شرعنا بالتهام الخبز المحمص مع الزبدة! ما اروع شرائح الخبز المحمص مع الزبدة!".

ولم تكن تلك، بالطبع، سوى كذبة تستفيد من حقيقة ازلية مفادها سرعة تأثر كل اصحاب المواقف السياسية والفلسفية، مهما سما تفكيرهم، بجاذبية الحواس واغرائها.

الصحافي الامريكي ميغ غرينفيل (نيوزويك)

الصداقة

تلك الراحة التي لا توصف عند الشعور بالامان مع شخص آخر، حيث لا يتوجب عليك ان تزن افكارك او تفصل كلماتك، بل ان تسكبها كما هي، بقشها وبذورها معا، عارفا ان هناك يدا امينة تتولى نخلها، فتبقي ما يستحق البقاء وتذري الساقط في الهواء بنفخة حانية.

الروائية "جورج اليوت"

دلالة اليد

يولد كل منا وقبضتاه مغلقتان ومعدتان للعدوان والاستيلاء، ولكن اذ نغادر الحياة، تكون اكفنا منبسطة، لانه لم يعد على الارض ما نحتاج اليه او نستطيع اخذه معنا.

الاسقف فلتون شين

وجهات النظر

للشاعر تبدو اللؤلؤة دمعة ذرفها البحر، وللشرقي قطرة ندى تصلبت، وللنساء جوهرة تزين اصابعهن او اعناقهن او آذانهن، لكنها ليست الا خليطا من الفوسفات وكربونات الكلس مع قليل من الهلام بالنسبة الى الكيميائي، ولا تعدو كونها افرازا مرضيا للعضو المنتج لعرق اللؤلؤ في الحيوانات ذات الصدفتين بالنسبة الى الطبيعيين.

جول فيرن

المثابرة

راقبت قاطع حجار ينهال على صخرة ضربا بمطرقته مئة مرة من دون ان تبدو عليها آثار تشقق كثيرة، ثم انشطرت قسمين عند الضربة الاولى بعد المئة، لكني اعرف ان ما ادى الى ذلك لم يكن الضربة الاخيرة، بل كل ما سبقها.

جاكوب ريس

وفاء أم بطولة؟



لولا وفاء ثلاثة كلاب لكان صاحبها قضى نحبه مشلولا في ليل مظلم وبارد.

يقيم الفونس ماري في قرية بروكفيل سورمير، شمال غرب فرنسا، منذ ثلاثين عاما، حظي خلالها بمحبة جميع ابناء القرية واحترامهم حتى انهم سموه "الأب ماري". فمنذ ان استقر في القرية وانشأ فيها منشرة للخشب ندر ان مضى يوم من دون ان يمد فيه يد العون الى أحد السكان او يبعث الطمأنينة في النفوس. وكثيرا ما كان الأب ماري يهب الفلاحين الفقراء الذين يقصدون الى المنشرة بقايا الالواح الخشبية التي لديه.

ولم يقتصر الاب ماري بعطفه على القرويين، بل احاط به الحيوانات ايضا. ولكم كان يثير دهشة المزارعين وهو يحادث الكلاب كما لو انه يخاطب الاطفال. وذات يوم، اهدى اليه احد زبائنه ارنبا لكي يطهاه مع البطاطا بالغلي البطيء. فبدلا من نحره وطهوه عني الاب ماري بترويضه حتى بات الارنب يهرول وراءه حيثما ذهب. وكان يردد احيانا: "لقد تأتي الحيوانات بالعجائب اذا ما استودعناها ثقتنا وائتماننا".

ترمّل الاب ماري عام ١٩٦٤، فأقام منذ ذلك الحين مع ابنه لويس في بيت ريفي بسيط من اربع غرف بعيدا من الطريق الرئيسي. وقد اضطر خلال عام ١٩٧٢ الى اغلاق

منشرته الصغيرة على اثر افتتاح منشرة عصرية كبيرة في قرية مجاورة. وانقطع الاب ماري عن العمل، بينما راح لويس يشتغل حارسا ليليا في مدرسة قرية غرانفيل القريبة. ولقد حذر الاطباء الاب ماري من ارتفاع ضغطه الدموي، الا انه ظل يشعر بالعافية والحيوية على رغم بلوغه السن التاسعة والستين، من دون ان يعوقه وزنه البالغ ٨٠ كيلوغراما من الاحتفاظ برشاقة حركاته.

"الاولاد الثلاثة" — وتقاسم الاب وابنه البيت مع ثلاثة "اطفال" يدبون على الاربع: ولد الاولان "راجور" و"رويال" من بطن واحد منذ تسع سنوات، ويتسمان بلونهما النحاسي وينتميان الى فصيلة هجينة من "الهاوند" الصيادة و"الكوكير" المتدلية الاذنين. اما الثالث "ريكس" فكان اصغرها سنا وينتمي الى فصيلة "اللبرادور" السوداء الشعر والضخمة البنية. وكانت الكلاب الثلاثة تتولى الاشراف على المنزل بذكاء حاد الى درجة انك تكاد تبادلها الحديث، خصوصا "ريكس" الكلب المهجّن المتصف بنباهته الخارقة وقدرته على الفهم والاتصال الا انه بالنظر الى حداثة سنه كان يكتفي باحتلال المنزلة الدنيا بين الكلاب الثلاثة، ويترك لندّيه الاخرين حظوة الاسبقية في اللعب او الانبطاح على قدمي صاحب الدار.

وفي ليلة الجمعة ١٨ مارس (اذار) ١٩٧٧، ذهب لويس الى عمله الليلي فيما جلس الاب ماري يتابع برامج التلفزيون. وقرابة العاشرة والنصف التقط مصباحه اليدوي وتلفع بوشاحه الصوفي وقبعته ونادى كلابه الثلاثة الى الخارج في جولتها الليلية العادية القصيرة.

كانت درجة الحرارة دون مستوى التجمد. واخذت الكلاب تقفز جذلا بين الاعشاب الطويلة فيما شق الاب ماري طريقه نحو دورة المياه الواقعة خلف الدار. وما ان حطّ قدمه في الداخل حتى شعر فجأة بغشاوة سوداء تغيم بصره، واعتراه ضعف شديد، فأخذ يتلمس طريقه لكنه انهار من شدة العياء. وبعد ان حاول الوقوف سار بضع خطوات ثم وقع ارضاً مرة ثانية والألم يعتصر كل خلية في جسده حتى انه كاد ان يتمنى الموت تخلصاً من هذا العذاب، ولكنه كان يؤثر الموت على فراشه الدافىء لا في العراء الحالك البارد.

وكان لا بد للأب ماري من محاولة العودة الى البيت. فالبرد كاد ان يقتله، وغمره الظلام فلم يعد يبصر ما حوله بعدما فقد مصباحه اليدوي. وحاول الوقوف من جديد، فوجد ان جانبه الايسر مصاب بشلل كامل، واخذ يزحف مستعينا بمرفقه وركبته اليمنى، وتمكن من جرّ جسمه الثقيل حوالى ٣٠ مترا، وانما في اتجاه معاكس. ثم شعر بانهاك شامل، فارتمى على العشب عاجزا عن الحركة.

شهامة الكلاب — ومضى الوقت من دون ان يشعر الاب ماري بمضيه، الا انه سمع انفاس الكلاب التي تحلقت من حوله واجمعت على النباح ثم اخذت تلعق جسمه، ثم تتريث، ثم تلامسه بانوفها. فقال لنفسه: "طالما الكلاب وصلت فانها لن تتخلى عني".

في السادسة صباحا انهى لويس

ماري عمله في المدرسة الثانوية، ومشى الى سيارته فأزال الصقيع المتجمد على حاجبها الزجاجي، ثم انطلق في وجهة المنزل. وما ان اعتلى قمة التلة الاخيرة المقابلة للبيت حتى تملكه فجأة شعور غريب لدى مشاهدته المصابيح غير مطفأة في الدار، بينما كان "راجور" و"رويال" ينبحان في الرواق الخارجي على غير عادتهما. فساوره الاعتقاد بان هناك حادثا مؤسفا ولا شك.

وحالما توقفت سيارة لويس خارج الدار، هرع الكلبان نحوها وحاولا انيقتلعاه من مقعده ويجذباه الى الداخل، فترجل منها لويس وقفز سلم الرواق مسرعا واتجه فورا الى غرفة نوم ابيه حيث وجد الاب ماري متمددا على السرير كالجثة الهامدة وليس على جسده الملطخ بالوحل والدم سوى قميصه الداخلي وسترته الصوفية، والى جانبه "ريكس" الذي الصق جسمه الضخم بجسم صاحبه وراح يلعق وجهه بلهفة وحنان. وانحنى لويس نحو ابيه وسمعه يهمس في وهن: "هل انت هنا؟ انني في حاجة الى المستشفى". وكان وجه الاب شاحبا وجسمه نصف مشلول. ولا بد انه تعرض لنوبة قلبية شديدة، فسارع لويس الى طلب الاسعاف.

وفي المستشفى لم يكن للاطباء امل كبير في حظ الاب ماري في البقاء على قيد الحياة. وعاد لويس الى المنزل ينهشه القلق ويحاول حل بعض الالغاز المحيرة: ما مصدر الوحل والدماء على جسد ابيه؟ وما سبب تورم ركبته اليسرى؟ ولم كانت سترته مخضلة باللعاب وشبه ممزقة عند احدى الكتفين؟ ولم كانت اغطية السرير والبطانيات ملقاة على الارض في غرفة نوم الاب؟ لم يكن ذلك صنيع ابيه من دون شك. ومن المحتم ان احدا قد سحبه وهو مريض الى خارج الغرفة. واذا فكيف تسنى له ان يعود الى سريره؟ ولم انطبعت آثار اقدام الكلاب على كل الاغطية؟ فلم يكن من عادة الكلاب ان تبيح لنفسها مثل هذا التصرف؟

وبعد مضي بضعة ايام اصطحب لويس الكلاب الى النزهة. وكان "راجور" و"رويال" يقفزان كعادتهما على العشب المجاور لدرجات السلم، فيما اختفى "ريكس". والح لويس في مناداته، فظهر فجأة وهو يعدو باهتياج ويدور حول زاوية المنزل، ويجر معه شيئا لم يلبث ان القاه عند قدمي لويس، وكان ذاك سروال الاب الملطخ بالوحل. وسأله لويس "اين وجدت ذلك"؟ فاختفى الكلب ثانية، ثم عاد بقبعة الاب. وتبعه لويس في المرة الثالثة محاولا اللحاق به في اتجاه الحقل الذي يبعد حوالي ٣٠ مترا. وهنا اخذ الكلبان الاخران بالنباح والقفز، الى ان عثر لويس على القطع المفقودة من ملابس والده. كما عثر على مصباحه اليدوي. واثنى لويس على الكلاب بملامسات لطيفة خفيفة، باعتبار انه يعود اليها الفضل في كشف النقاب عن جزء على الاقل، من السر.

بين الموت والحياة – وبقي الاب ماري يتأرجح بضعة ايام بين الحياة والموت، ثم اخذت حاله تتحسن ببطء، واستعاد قدرته على الكلام تدريجا، فاخذ يروي للويس ما يتذكر من تلك الليلة العصيبة: "لا بد انه ظل ملقى على العشب فترة طويلة قبل ان

يشعر بان كلبه الصغير "ريكس" يحاول جذبه من كتفه ويشده بقوة من دون ان يدري الاب سبب ذلك للوهلة الاولى، ثم ادرك في ما بعد ان الكلاب تسعى الى اعادته الى البيت ان تيسر له استجماع قواه تمكينا له من الزحف٠

وبما ان الجانب الايسر من جسمه كان مصابا بالشلل التام فقد اضطر الاب ماري الى اجتذابه ببطء شديد مستعينا بجانبه الايمن٠ وفي مجرى هذه العملية الشاقة واحتكاكه بالارض، كانت ملابسه تتقلص عنه٠ ففقد حذاءه وجوربيه ووشاحه ثم سرواله الذي لم يكن مزررا٠ وسال الدم من مرفقه وركبته اليسرى وتعرض للاغماء مرات عديدة بسبب الالم، لكنه كان كلما صحا وجد "ريكس" متشبثا بكتفه محاولا ايصاله الى البيت، فيما الكلبان الاخران يحيطان بهكما لو كانا خفيرين يتوليان الحراسة٠

وسار الموكب الغريب ببطء شديد نحو المنزل٠ وكان الاب ماري قد فقد حسه بالزمان والمكان٠ لكنه ادرك انه وصل الى البيت حين مست يده في الظلام عمودا خشبيا٠ وقدر انه زحف فترة استغرقت ما يزيد على الساعة٠ وشعر بالامتنان لتلك الكلاب الطيبة التي لم تخذله وتنفس الصعداء٠ لكن موجة من القلق عاودت الاب ماري اذ بدا له الرواق مرتفعا كقمة ايفرست٠ فكيف له ان يتسلق تسع درجات خشبية شديدة الانحدار؟

لم يع الاب ماري كيف جرت عملية ارتقاء درجات السلم، لولا الشقوق العميقة التي تركتها المخالب في الخشب العتيق على اثر صراع الكلاب لتثبيت اقدامها وهي تجر جسما وزنه ٨٠ كيلوغراما٠ وتذكر الاب ماري لحظة مروره عبر عتبة غرفته التي ترك بابها مفتوحا عند خروجه، وتذكر ايضا كيف كان "ريكس" ممسكابكتفه ليقوده الى الداخل ويجره الى فراشه٠ وما ان بلغه حتى اغمي عليه٠ وحين عاد الى وعيه وجد نفسه في سريره وكان الكلب الى جانبه٠

وقضى الاب ماري الليل يتناوبه الاغماء واليقظة٠وكان، لحسن حظه، قد اشعل المدفأة الكهربائية قبل ان يخرج، بالاضافة الى المزيد من الدفء الذي زوّده به "ريكس" ذو الفروة الكثيفة وهو ملتصق به٠ وكان كلما عاوده صفاء الذهن تناهى اليه النباح الاليم الصادر عن "راجور" و"رويال" خارج المنزل٠ وقد بلغ النباح سمع احد الجيران المقيمين على بعد بضع مئات من الامتار، لكن الاخير كان شيخاهرما اعاقه الوهن عن الخروج لاستطلاع سبب النباح٠

وكان الالم قد خف بعض الشيء حين دقت ساعة المطبخ الرابعة صباحا اي ان لويس سيعود الى المنزل بعد ساعتين٠ فادرك الاب ماري للمرة الاولى انه اصبح له امل في الحياة فازداد شعوره بالامتنان للكلاب٠ واكد الطبيب بعد الحادث ان الاب ماري كان محظيا بتمكنه من العودة الى المنزل، لانه لو بقي في العراء لقضت عليه النوبة القلبية والبرد القارس من دون محالة٠

وبعد اسبوع من زوال حال الخطر عن الاب ماري رخصت ادارة المستشفى للكلاب الثلاثة بزيارته فيغرفته، وما ان اقتربت منه حتى

اخذت تقفز رقصا نحو الاب ماري فيما كان المرضى والممرضات يبتهجون لهذا المشهد المثير.

اما اليوم فقد عادت حياة الاب ماري الى مجراها الطبيعي، لكن شيئا ما تغير في حياة الكلاب. فقد اصبح "ريكس" زعيم الحركة بلا منازع، وصار يستلقي عند قدمي الاب ماري في المساء من دون ان يجد الكلبان الاخران غضاضة لهما في ذلك. اما كيف اكتسب "ريكس" هذه المكانة، فتلك قصة تبدو بعض معالمها في الاثار التي وجدها لويس على آذان "راجور" و"رويال" اذ يبدو ان "ريكس" الذي لم تكن على اذنيه اي آثار، كان يعض آذان رفيقيه كلما هما بدخول الدار، لكي يبقيا يقظين نابحين في المدخل. وبقي "ريكس" وحده الى جانب سيده، وهو حتى اليوم لا يزال يحول دون دخول "راجور" و"رويال" غرفة نوم الاب ماري، كما لو ان ذكريات تلك الليلة المخيفة لا تزال عالقة في ذهنه.

وحين زرت اخيرا الاب ماري كان "ريكس" يلقي رأسه على ركبة سيده الذي علق قائلا: "لولاه لما كنت هنا". ثم اضاف مداعبا اذني "ريكس": "لقد تأتي الحيوانات بالعجائب اذا ما استودعناها ثقتنا وائتماننا". ونظر "ريكس" الى سيده بعينيه المحببتين الكبيرتين، ثم هز ذيله بتحفظ حيي.

■ جورج فيفر

خير هذا بشر ذا...

دخل رجل مخزنا للسجائر وطلب عشر سجائر بالمفرد. ولم يكن ذلك ممكنا لكن عاملة المخزن التي لاحظت الاطراف المهترئة لبذلة الرجل الذي كان يحمل معه كمانا، ادركت ان المشتري كان صادقا حين قال انه لا يستطيع شراء علبة كاملة. لذا اعطته علبة صغيرة من صنف آخر.

وقبل ان يغادر سألها اذا كان في استطاعته ايداع صندوق الكمان لديها حتى ينجز بعض اشغاله. ولم تمض ساعة حتى دخل رجل حسن الهندام الى المخزن واشترى بعض السيجار الفاخر. ثم التفت نحو الكمان وسأل مازحا: "هل تبيعون آلات الكمان ايضا؟"

- كلا. لقد تركه احد الزبائن. هنا وسيعود لاخذه في أي لحظة.

وطلب الرجل رؤية الكمان، فتناوله واخذ يعزف، ثم رمقه بنظرة العارف وقال:

- انه كمان جيد حقا، يساوي قرابة ألف دولار.

وانقضت ساعة وعاد صاحب الكمان طلبا لآلته. فسألته عاملة المحل:

- ما رأيك في ان تبيعني الكمان؟

- انه لا يساوي الكثير، لكني اكسب معيشتي منه.

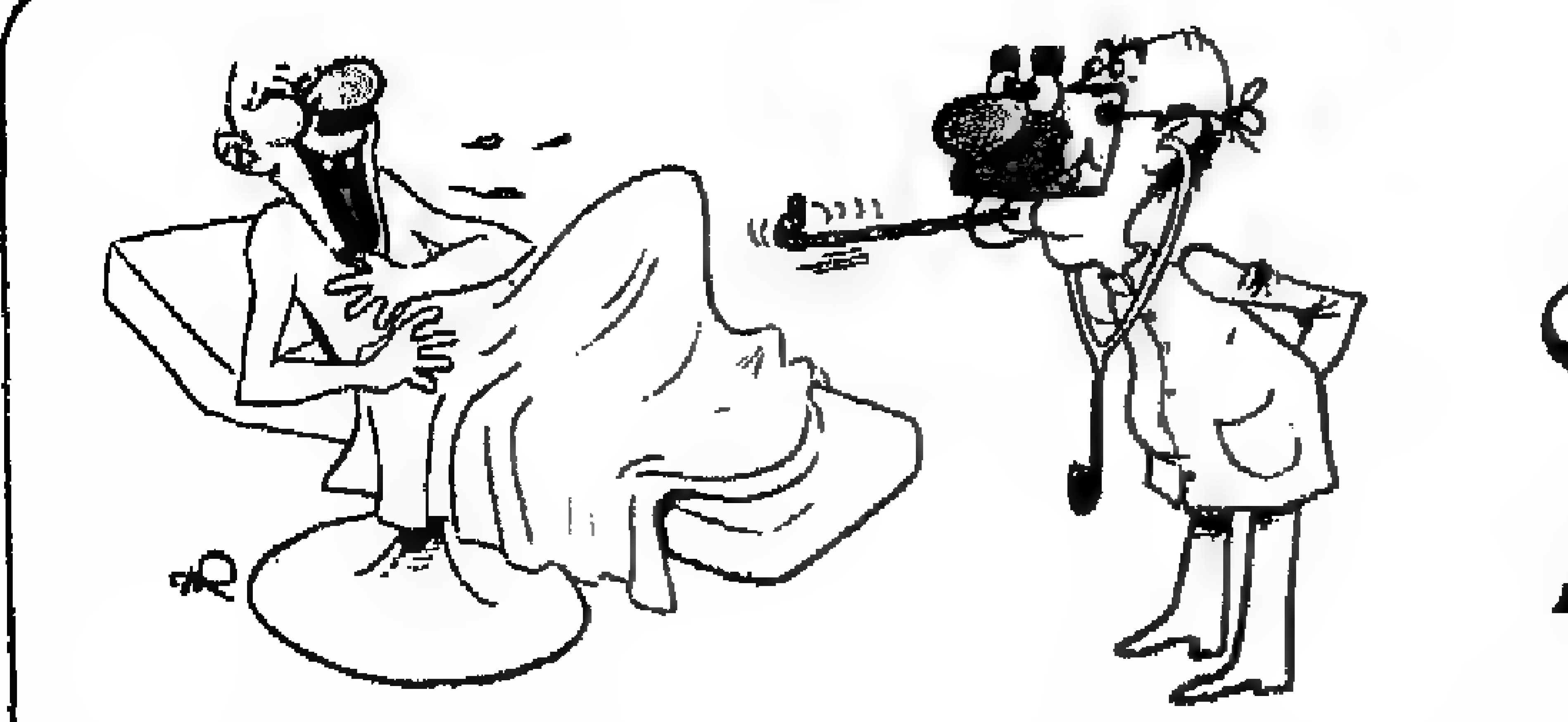
الا ان العاملة مضت تلح: "حسنا، هل تكفي ٣٠٠ دولار؟"

فوافق العازف، واخذ نقوده وانصرف.

وفي اليوم التالي ذهبت صاحبة الكمان الجديدة الى مخزن موثوق به للادوات الموسيقية لتقدير ثمنه. فقال لها الخبير: "انه لا يستحق اكثر من عشرة دولارات".

(صحيفة داغنس نيميتير، ستوكهولم)

الضحك خير دواء



"ابو اللحية الزرقاء"

في لقائي الاول لافراد عائلة خطيبتي ذهلت لسماعي ان احد اقربائها يسمونه العم "ابو اللحية الزرقاء"، ثم شرحوا لي الامر، فقالوا ان العائلة اجمعت على اطلاق هذه الكنية على العم اللطيف المولع بالتصوير الفوتوغرافي، لانه لا يتوانى في بعض الاحيان عن قطع رؤوس افراد العائلة خلال التصوير.

ا.س.

للذكرى

كان بعض العمال يهدمون مسرحا قديما فاكتشفوا في الجزء الخلفي من المسرح (الكوليس) لافتة صغيرة تحمل العبارة الآتية: "نرجو الا تكتبوا اسماءكم على الحائط، واذا كان اداؤكم جيدا بدرجة كافية، فسنتذكركم من تلقاء انفسنا".

و.غ.

دواء ضد الصمم

درجت انا وزوجتي على سماع الموسيقى الكلاسيكية حتى ساعة متقدمة من الليل، الى ان وجدنا ذات صباح امام باب مسكننا الكلمة الآتية: "عزيزي هاويي الموسيقى: يمكنكما ان تتصورا مدى ابتهاجي ودهشتي عندما استيقظت في منتصف الليل فسمعت احدى مقطوعاتي تعزفها اوركسترا سيمفونية كاملة، ووجدتني بعد هذا النوم الطويل قادرا على السماع! لقد كنت اعرف ان صممي لن يكون ابديا، ولكن ارجو ان تسمحا لي بكلمة نقد واحدة: لقد بدا لي ان الاداء قوي بعض الشيء، ولعل حفلتكما الموسيقية المقبلة تتضمن عزفا لسمفونيتي التاسعة، فاستطيع آنئذ ان ادعو جوقة البوليس الى المشاركة في الاداء.

المخلص لودفيغ فان بيتهوفن".

ر.ر.

مرشح ممتاز

كان خريجو احدى الكليات يستعدون لمقابلات التعيين في بعض الوظائف، فذهب شاب منهم ليشتري ربطة عنق من احد المحلات، وسأل ما اذا كانت الربطة تباع مصحوبة بشرح لطريقة استعمالها.

و.س.س.

مطلوب محل ترانزيستور

اسمعت عن الرجل الذي يصنع اجهزة راديو الترانزيستور؟ لقد حالفه النجاح في عمله حتى انه اصبح يبحث عن محل اصغر من محله الحالي.

م.هـ.

فيولا غير فيولا

يقول فيكتور بورج: "كان ابي يعزف على آلة الكمان وآلة "الفيولا"، (كمان كبير)، ولكن ذلك لم يرق امي، لان احدى جاراتنا كان اسمها فيولا".

ا.د.

جراحة الدماغ
تباشير أمل جديد

لقد تسببت الحياة الحديثة الصاخبة في تفاقم التوتر العصبي عموماً واستفحال الامراض العقلية والنفسية خصوصاً، فكان لا بد للاختصاصيين من اجراء البحوث الدقيقة والاهتداء الى بعض الطرق العلاجية، وقد رأينا أن ننقل عنه بعض التفاصيل الى القارىء العربي.

جورج ب. شاب جامعي في التاسعة والعشرين من عمره، قضى خمس سنوات في حالة مزمنة من الاكتئاب والقلق. فكان ينفجر من دون اي سبب ظاهر في نشيج عصبي متقطع، او تمتلكه فجأة نوبات الذعر والخوف من الاختناق. وقد دخل المستشفى مرارا وجرب ستة انواع مختلفة من العلاج النفسي وشتى العقاقير من دون ان تتحسن حاله على الاطلاق. وعام ١٩٧٧، اجريت له جراحة يسمونها "الجراحة النفسية"، وكان ذلك عن طريق ادخال قطبين كهربائيين من خلال ثقبين في جمجمته وايصال نبض كهربائي الى اربعة اهداف منفصلة في دماغه للقضاء على بعض النقاط الرقيقة من نسيج الدماغ. وبعد اجراء هذه العملية، قال جورج: "غدوت الان قادرا من جديد على الضحك عاليا". ثم تزوج واصبح يعمل ممرضا في احد مستشفيات الامراض النفسية، وهو يقول: "لقد عادت الحياة حلوة بالفعل".

الاكتشاف المثير – وهناك مئات من مرضى العقول المعذبين مثل جورج في انحاء العالم، وقد فشلت معهم كل انواع العلاج الاخرى، فأخذ اختصاصيو الجراحة النفسية يداوونهم

بشتى الاساليب الكفيلة بشفائهم او التخفيف من عنائهم. وكان مفتاح هذا التقدم ذاك الاكتشاف المثير الذي امكن معه تحديد بعض المواضع المعينة من الدماغ التي تؤثر على الاضطرابات العاطفية. وقد اتاح هذا الاكتشاف لاختصاصيي الجراحة النفسية ابتكار عدد من التقنيات الجديدة للقضاء على مقادير طفيفة من انسجة الدماغ وهي طريقة تؤدي على نحو ما الى كبت الاكتئاب والتخوف والهياج الباثولوجي العرضي التي تتميز بها كثرة من العلل العقلية الحادة.

ان الدماغ هو أكثر الكتل المركزة للمادة الحية تعقيدا في الكون بأكمله. ويمكننا ان نتصور انه يتألف من دماغين اثنين متمايزين ولكنهما مرتبطان في علاقة متكاملة: احدهما عقلاني والثاني عاطفي. فالدماغ العاطفي، الذي يسمونه "النظام الهامشي" («Limbic system») يتحكم في مجموعة واسعة من العواطف، تراوح بين السرور والرضا والقلق والاكتئاب. ويقوم بين هذه العواطف والمشاعر توازن دقيق قد يختل بسبب عوامل كثيرة، من بينها الاجهاد، وسوء استعمال العقاقير واصابات العدوى او الجروح الشديدة والضعف الوراثي. وقد كانت الجراحة الفصية (جراحة يستأصل فيها جانب من الفصين الاماميين للدماغ)، العلاج الوحيد الفعال لكثير من الامراض العقلية التي لا يمكن السيطرة عليها، فكان يتسنى معها لكثير من المرضى ان يغادروا المؤسسات التي احتجزوا فيها والعودة الى عائلاتهم، ولكن المريض كان يدفع في اغلب الاحيان ثمن ذلك بالتبلد العاطفي غير المستحب. ومع حلول الخمسينات، كان من شأن التقارير التي وضعت عن هذه النتائج وعن بعض الآثار السلبية الاخرى، الى جانب العقاقير الجديدة ذات التأثير النفسي الكبير، انها اسفرت عن انخفاض حاد في العمليات الجراحية الفصية. لكن العلاج الكيميائي بالعقاقير له مساوئه الخطيرة ايضا: فقد تبين ان هذه العقاقير قد اورثت ١٥٪ من مرضى الحالات الحادة الذين عولجوا بها حركات عضلية غير ارادية دائمة، كما تبين فشل هذه العقاقير في بعض الحالات، وفشلت معها الطريقة المألوفة للعلاج بالصدمات الكهربائية.

العملية الاولى — وفي عام ١٩٥٠، اجرى روبرت ج. هيث، الاختصاصي في الاعصاب في جامعة تولين في مدينة اورليانز في ولاية لويزيانا، أولى عمليات غرس الاقطاب الكهربائية في الدماغ غرسا عميقا لأمد طويل، واكتشف انه يستطيع بذلك ان يراقب في وقت واحد مجموعة من مواقع الدماغ يصل عددها الى ١٢٥ وتمكن ايضا من تركيب انابيب دقيقة في الدماغ يتسنى له معها ادخال عقاقير كيميائية حفازة مباشرة الى بعض المناطق الدماغية المهمة. واخذ هيث يضع بالتدريج رسما بيانيا للجولة الدورية الحسية للدماغ، محاولا بذلك تحديد المشاعر التي تتولد لدى حفز بعض الآليات والدوائر بواسطة المواد الكيميائية او النبضات الكهربائية.

ومع حلول عام ١٩٧٢، كان هيث قد غرس اقطابه وانابيبه الدقيقة في ادمغة ٦٥ متطوعا يعانون مختلف

الاضطرابات العقلية. وكثيرا ما اسفرت عمليات الحفز الكيميائي او الكهربائي التي اجراها عن تزويد المرضى براحة مدهشة، بل وعن تحسن دائم بالنسبة الى البعض منهم. وكان هيث في الوقت نفسه يضع الخرائط لنظم الدماغ القليلة الوضوح والتي تتحكم بمشاعر الانسان. وقد وجد ان الدفعة الكهربائية في الغشاء الفاصل الدماغي، وهو "مركز المتع الحسية" في النظام الهامشي، تتسبب في تغييرات مثيرة لدى مرضى الاكتئاب. والتقط هيث شريطا لمريض على اثر محاولته الانتحار مباشرة، ثم اجريت له عملية حفز للغشاء الفاصل الدماغي، واذا به يبتسم فجأة ويقول: "لست ادري السبب في ذلك، ولكنني اشعر فجأة بانني في حال جيدة". وثمة مريض آخر اجريت له عملية حفز في المنطقة التي تتحكم بمشاعر الاكتئاب، فقال بعدها لاختصاصي الاعصاب هيث: "ان العملية لا تسبب اي ألم، غير انها جعلتني فريسة لاسوأ اكتئاب شعرت به في حياتي".

ولقد كان الفضل لاكتشافات هيث وغيره من الباحثين وللتحسينات المتقنة في التقنيات الجراحية في اتخاذ عدد كبير من التدابير الجديدة التي تنطوي على نتائج ملحوظة، لا بالنسبة الى المرضى الذين يعانون اضطرابات نفسية حادة فحسب وانما ايضا بالنسبة الى الذين يعانون الالام العسيرة التسكين والمعالجة. وهناك اختلاف في الآراء حول تفسير اسباب نجاح هذه التدابير وطريقة اتخاذها. فيعتقد بعض الخبراء ان الجراحة تقطع دوائر الاتصال التي تنقل المشاعر والعواطف، بينما يظن البعض الآخر ان هذه العمليات تنشط او تكبت انتاج الجزئيات العصبية النقالة، وهي مواد كيميائية تحمل الرسائل من خلية الى اخرى. وايا تكن الاسباب، فان هناك ادلة قاطعة على ان هذه التدابير تنجح في كثير من الحالات التي تفشل فيها جميع سبل العلاج الاخرى.

وفي السنوات الاخيرة، راوح المعدل السنوي لعمليات الجراحة النفسية في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ما بين ٢٠٠ و٤٠٠ عملية. وغالبية المرضى الذين تناولتهم هذه العمليات يعانون اضطرابات حادة في المزاج والعواطف، وهي اضطرابات تتميز بانماط سلوكية يغلب عليها القلق او استبداد الهواجس او الاكتئاب المزمن او حتى الميل الى الانتحار. وهناك اتفاق عام بين علماء الاعصاب على احتمال استفادة امثال هؤلاء المرضى من الجراحة النفسية، اكثر من غيرهم.

وفي ١٩٦٥، اجرى م. هنتر براون، جراح الاعصاب في سانتا مونيكا في ولاية كاليفورنيا، دراسة للتقارير التي وضعها هيث وغيره من علماء الاعصاب، ثم شرع في اجراء عملية يبدو انها تعيد التوازن داخل الاجهزة العاطفية والشعورية الدماغية. فهو يحفر ثقبين صغيرين في الجمجمة وينفخ من خلالهما غازا هامدا الى التجاويف الدماغية المليئة بالسائل كي يجعل فجوات الدماغ واضحة على شاشة تلفزيون اشعة اكس، ثم يوجه سباره الكهربائية الى اهداف محددة في النظام الهامشي. واذا كان

المريض يعاني اضطرابات عاطفية، فان براون يمس بالكهرباء عددا من الاهداف يتراوح بين اثنين واربعة. ويرتفع هذا العدد الى ستة اهداف في حال مرضى الفصام او انشطار الشخصية (الشيزوفرانيا).

ويعتقد كثير من جراحي الاعصاب والاطباء النفسيين ان الجراحة النفسية لا تفيد المرضى الذين يعانون الاضطرابات الفكرية كالفصام الذي يعتبر اخطر الامراض العقلية اطلاقا واكثرها غموضا (★). غير ان براون يدعي النجاح.

تقويم النتائج – تشكلت خلال عام ١٩٧٥ لجنة مستقلة من الاطباء النفسيين لتقويم حالات ٤٧ من مرضى الفصام الذين تناولتهم عمليات براون، فوجدت اللجنة ان هؤلاء المرضى جميعا قد تحسنت حالاتهم عدا اثنين منهم، بل وان التحسن كان ملحوظا بالنسبة الى البعض منهم. وعلى رغم ان الفريق نفسه لم يجر اي تقويم لاحق لحالات هؤلاء المرضى الـ٤٧، فقد تحدثت شخصيا في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ الى مريضة اخرى، اسمها روث، من مرضى الدكتور براون:

تبلغ روث الرابعة والثلاثين من العمر، وقد ظلت طوال ثماني سنوات تعاني الهلوسة والاكتئاب ونوبات العنف، وحاولت الانتحار مرتين. وقد دخلت المستشفى ثماني مرات وتلقت عبثا جميع انواع العلاج غير الجراحي الممكنة. وشخص حالها عدد من الاطباء النفسيين على انها مصابة بالفصام. وفي عام ١٩٧٢، اجرى لها الدكتور براون عمليته الجراحية المتعددة الاهداف في الدماغ، فتعافت روث، وهي تستكمل الان دراستها العالية، متطلعة الى مستقبل مهني طبيعي وحياة طبيعية. وهي قالت لي عن ذلك: "لقد نمت قبل العملية كالنبات الرتيب، وأفقت بعدها كائنا بشريا".

وجرى تقويم آخر خلال عام ١٩٧٥ تناول حالات تسعة عشر مريضا من الذين اجرى لهم الدكتور براون عملياته لانقاذهم من نوبات العنف العدواني التي كانت تنتابهم. وقد تبين من هذا التقويم ان جميع هؤلاء المرضى في تحسن ملحوظ (وكان بعضهم مصابا باضطرابات التأخر العقلي والنوبات التشنجية). ويعتقد الدكتور براون بوجوب اجراء الجراحة النفسية لنزلاء السجون الذين يتصفون بنزعتهم التلقائية الى العنف من امثال أدموند كيمبر، المسجون في كاليفورنيا بتهمة القتل الجماعي، ومن المحتمل ان يكون كيمبر مصابا بالفصام، وقد استرخصت المحكمة مرتين لكي يجري له الدكتور براون جراحة نفسية، لكن القاضي رد طلبه هذا في المرتين.

التحفظ في الجراحات – ويختلف معظم علماء الاعصاب مع الدكتور براون في انهم يعتبرون ان الجراحة النفسية لا تزال في مرحلة تجريبية، ومن ثم فهم لا ينصحون باجرائها لنزلاء السجون. وتتفق السلطات

(★) يفقد ضحايا الفصام صلتهم بالواقع وينزلقون في فترات متقطعة الى نوبات من الهلوسة والتخيلات الوهمية. وقد تتسلط على البعض القليل منهم نوبات من العنف. وهذا المرض يصيب بصفة رئيسية الراشدين الشباب، ومن المحتمل انه ينشأ عن مجموعة مترابطة من الاضطرابات في كيمياء الخلايا الدماغية.

الطبية والقضائية على الشك في ان يكون السجين الذي يطالب بان تجرى له الجراحة النفسية (ربما على امل التحرر من السجن) على اطلاع كاف يبرر اقدامه على هذا الطلب.

وأشد المعارضين للجراحة النفسية هم اولئك الذين يزعمون انها غير مأمونة وغير فعالة، او انها نوع من انواع "التحكم في العقل والفكر"، بالاضافة الى التخوف والتحامل المنتشرين على نطاق واسع ضد بحوث الدماغ. ويقول الدكتور اليوت لوبي مستشار الطب النفسي في عيادة لافاييت في مركز بحوث الصحة العقلية في ولاية ميتشيغان: "يعتقد كثير من الناس انه يجب علينا ان نترك الدماغ وشأنه، فهم يعتبرونه عضوا بيولوجيا مقدما لا يجوز ان تمسه ايدي العلماء".

وفي عام ١٩٧٣، شكل الكونغرس الامريكي لجنة وطنية للتحقيق في الخلاف القائم حول جراحة الدماغ. وبناء على طلب اللجنة، اجرى فريق من معهد الطب في جامعة بوسطن تقويما لحالات ٥٢ مريضا اخضعوا لعمليات على ايدي اربعة اختصاصيين مختلفين من جراحي الاعصاب، وبطرق متنوعة. وكان كل من هؤلاء المرضى قد قضى في المتوسط عشرين عاما وهو يعاني مرضه ويتلقى علاجات غير جراحية عديمة الجدوى. وقد اسفرت الجراحة النفسية عن تحسن مهم لدى ٢٧ مريضا منهم، وعن تحسن يراوح بين المتوسط والبسيط لدى ١٣ (منهم، وعن بقاء ٩ آخرين على حالهم من دون تغيير. وقد وجد ان حال ثلاثة مرضى فقط قد ساءت قليلا بعد الجراحة. ومن جهة أخرى، اجرى خبراء معهد ماساتشوستس الكتنولوجي اختبارا على ٨٣ مريضا قبل اجراء جراحات لهم وبعدها على يد الدكتور هـ. ت. بالانتاين الاصغر الاختصاصي في جراحة الاعصاب في مستشفى ماساتشوستس الحكومي، فوجدوا ان الجراحة لم تسبب اطلاقا اي ضرر نفسي او عاطفي ثابت لاحد منهم، وان كثيرين من بينهم قد تحسنت حالهم وخفت وطأة اعراضهم، بل وتبين ان معدلات ذكائهم قد ارتفعت.

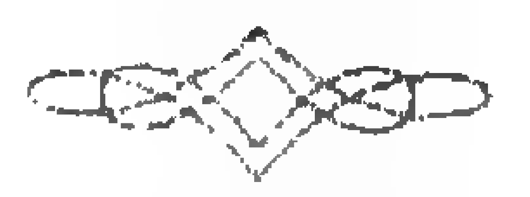
وانتهى اعضاء اللجنة التي شكلها الكونغرس الى الموافقة على الاستمرار في اجراء الجراحات النفسية، وردوا المزاعم القائلة بان جميع اشكال الجراحة النفسية غير مأمونة وغير فعالة، ورأوا اخيرا ان الاجراءات الوقائية المناسبة كفيلة بتلافي سوء استخدام هذه الجراحات. وقال في هذا الصدد رئيس اللجنة كينيث ج. ريان من معهد الطب في جامعة هارفارد: "بناء على الدراسات التي اجريت بتكليف من اللجنة، خصوصا دراسات تقويم حالات المرضى قبل الاجراءات الجراحية وبعدها، فقد اتضح لنا ان الجراحة النفسية قد اعانت كثيرين ممن برح بهم المرض، وانها لم تسبب اتلاف ذكائهم او تجريدهم من المشاعر، وعلى ذلك، فلا داعي الى القاء الحظر على هذه الجراحة".

وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، اتخذ جوزف ا. كاليفانو الاصغر، وزير الصحة والتربية والخدمات الاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية، قرارا بالاتفاق

على الجراحات النفسية من صندوق التأمين الصحي الحكومي لكبار السن (الذين يتجاوزون الـ٦٥ عاما) وصندوق الخدمات الطبية للفقراء والمعاقين. ولكنه قضى، موقتا على الاقل، بمنع الانفاق من اموال الحكومة الفديرالية على اجراء هذه الجراحات للسجناء والاطفال ومرضى العقول المحتجزين من دون ارادتهم والمرضى غير المتمتعين بالاهلية القانونية. وقال كاليفانو: "ان الجراحة النفسية ستظل ملجأ علاجيا اخيرا متاحا للمرضى الذين يحتاجون اليها". ودعا الاوساط الطبية الى تشكيل لجان تشرف على هذه الاجراءات.

تباشير الامل – ولئن تكن الجراحة النفسية قد خضعت لانعام النظر والتدقيق بدرجة ندر ان تعرضت لها اي تدابير جراحية اخرى في تاريخ الطب. الا ان علماء الاعصاب يسلمون بان هناك طائفة من الاسئلة لا تزال تفتقر الى اجابات شافية، وان لا بد من ايجاد هذه الاجابات. وهناك ايضا ادلة مهمة وقوية على ان الجراحة النفسية تساعد المرضى الذين يعانون بعض الاضطرابات العاطفية الحادة، ولا شك في ان تجاهل هذا التقدم والوقوف في وجه العلاج الوحيد الباقي، بعد ان فشلت الوسائل العلاجية الاخرى، هو في الحقيقة بمثابة الحكم على اولئك المرضى بان يقضوا بقية حياتهم في شقاء وعناء عقلي، او باحتمال دفعهم الى الانتحار. وليست معارضة اجراء المزيد من البحوث في هذا الصدد، بسبب الخلاف القائم في الاراء، سوى حرمان المرضى الآخرين الذين لا عداد لهم، من تباشير الامل في غد أصفى يتطلعون اليه.

■ اوجين هـ. ميثفين بمعاونة الباحثة كاثرين باول



بيروقراطية

قبل فترة قصيرة احترقت خمسة مصابيح كهربائية خاصة في احد المعامل في زغرب (يوغوسلافيا). وكان ممكنا الحصول على بدائل لها من المانيا الغربية بكلفة لا تزيد على دولارين غير ان الامر استلزم تقديم طلب من المؤسسة للحصول على اجازة استيراد من المصرف اليوغوسلافي (ثلاث نسخ)، وتوجيه طلب آخر الى المصرف ذاته لكي يوافق على الاستيراد (ثلاث نسخ)، وتقديم تقرير عن الصفقة كاملة الى المصرف القومي (١٢ نسخة)، وطلب موافقة دفع بالمارك الالماني (ثماني نسخ)، وتحديد ما يدفعه المصرف بالدينار اليوغوسلافي (اربع نسخ). واقتضت كل من هذه النسخ الثلاثين المطبوعة على الآلة الكاتبة توقيعين وختمين على الاقل.

وهكذا بلغت الكلفة النهائية المخمنة للمصابيح مئة دولار.

(صحيفة ذي انسايدر نيوزلتر)

اذا أجزنا لغيرنا ما نجيزه لانفسنا، اصبحت الحياة لا تُطاق.

جورج كورتلين

"خطة مارشال" لا تزال حية

"خطة مارشال" التي انعشت الاقتصاد الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية تطرح فكرتها في العالم العربي كما طرح موضوع السلام سواء في لبنان (لتعمير ما خربته الحرب) او في الشرق الاوسط ككل (بعد انهاء النزاع العربي - الاسرائيلي) . هنا نظرة على الخطة التي لا تزال حية بعد مرور ٣٢ سنة على انطلاقها .

قال لي تشارلز فريك (٤٩ عاما) صاحب النزل الذي كنت اقيم فيه بينما كان يقدم الي وجبة الطعام، كمن يفكر بصوت عال: "خطة مارشال؟ نعم، لقد تعلمنا عنها بعض الشيء في المدرسة ولكنها كانت قد انتهت آنذاك" .

وبدت عليه امارات التشكك عندما اخبرته ان مطعمه في باد كيسنغن قد بني في اوائل السبعينات بمساعدة اموال خطة مارشال . ولم يقتنع بذلك الا عندما اكد له مالك البناء ان معظم المنازل والحوانيت التي تشغلها المكاتب والاعمال الخاصة بمشروعاته، قد انشئت بفضل اموال خطة مارشال .

ومعظم الاوروبيين، شأنهم في ذلك شأن تشارلز فريك، لا يدركون ان خطة مارشال لا تزال على قيد الحياة، وفي حال جيدة . نعم، انها لا تزال

في الواقع حية نشطة، فقد مولت خلال عام ١٩٧٧ عددا من المشروعات في المانيا الغربية والنمسا والدنمارك، فمدّت الاقتصاد في المانيا وحدها بثلاثة مليارات وستة وثلاثين مليون مارك، وهو مبلغ يتجاوز اي مبلغ حصل عليه الاقتصاد الالماني في اي عام سابق. ويعود الفضل في وضع هذه الخطة عام ١٩٤٧ الى الجنرال جورج مارشال وزير الخارجية الامريكية آنذاك الذي اطلق عليها رسميا اسم "برنامج الانعاش الاوروبي". وكان الهدف منها استسراع ابلال اوروبا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودتها الى وضعها السوي، فغذت الاقتصاد الاوروبي المتهاوي ببضائع تبلغ قيمتها ١٢ مليار دولار في الفترة المراوحة بين ١٩٤٨ و١٩٥٢. وقد بلغت قيمة البضائع التي وزعها "برنامج الانعاش الاوروبي" في المانيا وحدها خلال عام ١٩٥٠ فقط مليارا ونصف مليار مارك الماني. وكانت الشركات التي تتلقى هذه البضائع تدفع ثمنها بالماركات، وكانت هذه الاموال تودع صندوقا خاصا تابعا لهذا البرنامج. وفي عام (١٩٦١، عندما تم سداد ٦٠٪ من ثمن البضائع للولايات المتحدة من الموازنة السنوية العادية الالمانية، تنازلت امريكا عن المبلغ الباقي. ومنذ ذلك الحين، شرع الصندوق الخاص التابع لبرنامج الانعاش الاوروبي في اعادة استثمار امواله في المجال الاقتصادي عن طريق تقديم القروض الى رجال الاعمال، فتزايدت ارصدته على نحو مطرد بفضل فوائد هذه القروض. ويمكن القول عموما، ان هذا "البرنامج" قد قدم، منذ بداية الخطة، قروضا تعادل ستة اضعاف ارصدته الاصلية التي كانت تبلغ ستة مليارات وثمانمئة مليون مارك الماني، اي قرابة ٤٠ مليار مارك الماني. وقد ادى الصندوق هذه المهمات من خلال ثلاثة مصارف رئيسية هي:

- مصرف التسليف للانعاش الاقتصادي في فرنكفورت، ومصرف مساواة الاعباء في بون - باد غودس، ومصرف برلين الصناعي. ولكن قلما كان المقترض العادي يتعامل مع اي من هذه المصارف الثلاثة مباشرة، بل كان مصرفه المحلي او "المنزلي" هو الذي يتولى دفع الاموال واجراء المعاملات.

الصناعة الثقيلة الهدف الاول -

وفي السنوات الاولى من الخطة خصت المصارف بعطفها الصناعة الثقيلة تمكينا لالمانيا من انعاش اقتصادها الذي قوضته الحرب. وفي الستينات، ازدهرت مشروعات الاعمال الكبرى، واخذ الاهتمام يتحول تدريجا الى المشروعات الصغرى. واصبحت غالبية الاعتمادات توزع الآن على المشروعات الصغيرة التي تواجه مشكلات خاصة ويتعذر عليها الحصول على اموال من المصارف التجارية. ومثال ذلك، ان احد الحرفيين الذي كان يصنع السلال من لحاء الاشجار في غابة بافاريا قد اصطدم بكساد صناعة الاشياء التذكارية فتمكن من الحصول على مبلغ من المال بمقتضى خطة مارشال لكي يتحول الى العمل في مجال آخر وهو صناعة الشموع الكهربائية من مادة البلاستيك. ومنح قرض ايضا في اطار برنامج الانعاش الاقتصادي لاحد الصناعيين الذي كان

ينتج صهاريج لتسخين الزيت، وذلك تمكينا لشركته من التحول الى انتاج تجهيزات الطاقة الشمسية المنزلية.
واذا كان هناك اي شك في نشاطات برنامج الانعاش الاوروبي فان المشاهدة على الطبيعة تكون خير دليل على الحقيقة. وهذا ما حملني على القيام بجولة في المانيا لكي اطلع على هذه النشاطات، فقابلت عددا كبيرا من المستفيدين وكان لكل منهم روايته الخاصة به، لكن الرسالة كانت واحدة في كل الحالات، اي انه لولا خطة مارشال لما استطاع جميع هؤلاء ان يكونوا حيث هم الآن.

جولة في الخطة – واول زيارة قمت بها كانت لاحد المشروعات في شارع تحف به الاشجار في ضاحية كيم في جوار مدينة ميونيخ. فقابلت هناك هولغر نيسين، الشاب ذا الشاربين من مواليد ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ الذي يتولى ادارة مشروع لبيع آلات الاستنساخ وصيانتها، ويعاونه ثمانية اشخاص يعملون في الجزء الاسفل من احدى البنايات وفي دارة مقابلة له جددت حديثا.

وقد نمت هذه الشركة بسرعة فائقة. فقبل عامين ونصف عام فقط كان نيسين باشعا عاديا لآلات الاستنساخ لحساب احدى الشركات في ميونيخ. وذات يوم كان يجلس في احدى الحانات مع رجلين يتقدمانه في السن، واخذ الثلاثة يتبادلون الحديث حول ما يمكنهم تحقيقه من اعمال لو كانوا يشتغلون لحسابهم الخاص. وقال احدهم: "لماذا لا ننشىء مشروعا خاصا بنا؟" فالفوا شركة في ما بينهم ولكن عندما حانت ساعة تقديم الاستقالة، تراجع الرجلان الآخران وانسحبا من الشركة فبقي نيسين بمفرده ومضى قدما في مشروعه.

وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥، اشترى هو وزوجته تينا، التي كانت تدرس الهندسة المعمارية آنذاك، بعض التجهيزات عن طريق الائتمان وحولا دورهما السفلي الى مكتب.

ثم تقدم نيسين بطلب للحصول على قرض مصرفي ليلة عيد الميلاد، الا ان طلبه رفض لسوء الحظ. ومع ذلك، فقد بلغ مسامعه، في اثناء معاملاته الفاشلة مع المصرف، ان هناك امكانا للحصول على سلفة من برنامج الانعاش الاوروبي. فرغب الى مصرفه في ان يمكنه من الاتصال اللازم بالمسؤولين عن هذا البرنامج. وتبين ان رجل خطة مارشال هو نفسه مدير المصرف المحلي الذي كان يعمل ايضا وكيلا للبرنامج. فقابله نيسين واطلعه على مشروعه الخاص بالاستنساخ وعلى تجهيزاته الجديدة وكراريسه، واستخدم مهارته كبائع لبق في اعطاء صورة شائقة جذابة عن المشروع.

وبعد بضعة اسابيع، حصل نيسين من برنامج الانعاش الاوروبي على قرض بمبلغ ٣٠٠٠٠ مارك الماني، لمدة عشر سنين وبفائدة تقل ٣٪ عن اسعار قروض المصارف التجارية. وقد ازدهر المشروع اليوم. وقال نيسين: "لقد حالفنا النجاح لاننا درجنا على ارضاء زبائننا. ولكن لولا توافر رأس المال لما امكننا تحقيق ذلك. ومعظم رجال الاعمال الناشئين يفتقرون الى رؤوس الاموال".

وثمة مثال آخر، وهو قصة جوزف كلين المشجعة والزاخرة بالجرأة

والاقدام. كان جوزف كلين يدير مصنعا في المانيا الشرقية، فهرب في عام ١٩٥٩(الى الغرب مع زوجته واطفاله الثلاثة وخلف وراءه ممتلكات تبلغ قيمتها مليون مارك الماني. واستهل كلين حياته الجديدة في ظل الحرية ببطالة اليمة استغرقت عاما كاملا. وذهب ذات يوم الى طبيب الاسنان لحشو احد اضراسه، وبينما كان فمه محشوا بالقطن، اشار الطبيب في معرض حديثه الى وجود مصنع خال في مدينة ورن. وما ان غادر كلين عيادة الطبيب حتى توجه على الفور الى ورن يحدوه الامل في ان يستأجر المصنع ويبدأ فيه مشروعا جديدا له.

الالومينيوم بدلا من الحديد – ولاحظ كلين ان ادوات تحميص الوفل (★) كانت تصنع من سبائك حديد رمادية. فقال في نفسه: "لماذا لا تكون اقل ثقلا، وتصنع من مادة الالومينيوم غير القابلة للتآكل، وكان يحتاج الى رأس المال اللازم لتنفيذ هذا المشروع. واقترح عليه احد اصدقائه من العاملين في احد المصارف، ان يتقدم بطلب للحصول على قرض من برنامج الانعاش الاوروبي. واخيرا تمكن من الحصول على قرض بمبلغ ٣٠٠٠٠ مارك الماني.ويقول كلين متذكرا: "لم يكن المبلغ كبيرا، ولكنني كنت لا املك شروى نقير آنذاك.

وكانت النتيجة ان توصل مشروع كلين الى تلبية قرابة ١٠٠٠٠٠(طلب في السنة للحصول على ادوات تحميص "الوفل". وبعد ذلك اتسع نطاق نشاطاته حتى شمل عضادات الابواب والارجل المعدنية للكراسي وغيرها من الاثاث ومحركات المراوح واغلفة حارقات الزيت وجزازات العشب حتى... اللوحات التذكارية. واصبح كلين الآن في طليعة المعترفين "بانه لولا ادوات تحميص "الوفل" وخطة مارشال، لما وجد مصنع جوزف كلين لصهر المعادن الخفيفة".

وثمة برنامج آخر في اطار خطة مارشال يديره الآن بنك مساواة الاعباء ويتمثل هذا البرنامج في عمليات النقل واعادة الاسكان في مكان جديد. وتتسم هذه العمليات باهمية متزايدة في عصر اصبح المسكن بضاعة رائجة، وتنشط فيه المدن لصون احيائها الاساسية من التلف الناشىء عن التصنيع. وتقدم المعونة في اطار هذا البرنامج الى الشركات التي تضطر الى الانتقال بسبب اعادة تقسيم المناطق او ضيق المكان.

وفي ما يتعلق بهذه العمليات الخاصة بالنقل، منح برنامج الانعاش الاوروبي خلال عام ١٩٧٨(فقط، ١٦٠٠(قرض يبلغ مجموعها ٢٣٥ مليون مارك الماني. وبالاضافة الى ذلك، فهناك فئة كاملة من الخدمات الاجتماعية وبرامج تحسين البيئة، كذلك برنامج لضمان القروض الممنوحة لاصحاب المهن الحرة ومعظمهم من الاطباء. وقد كفل مصرف مساواة الاعباء قروضا تبلغ ٢٧٥٠٠٠ مارك الماني لانشاء عيادة لامراض الاذن والانف والحنجرة في قرية بافارية يبلغ عدد سكانها ٩٠٠٠ نسمة وتبعد ٣٠ كيلومترا عن الحدود التشيكوسلوفاكية. وقد افتتحت هذه

(★) الوفل: كعكة تحمص في اداة تحميص خاصة.

العيادة خلال عام ١٩٧٥، وكان من شأنها، اضافة الى عنبر في المستشفى المحلي يشتمل على ٢٥ سريرا، انها اغرت طبيبا شابا على الاقامة والعمل في تلك المنطقة النائية الموحشة. وقبل قدومه في مايو (ايار) ١٩٧٥ كانت المنطقة خالية من اختصاصي في امراض الاذن والانف والحنجرة طوال ثماني سنوات. وقد زرته ذات صباح فوجدت ما لا يقل عن ٤٠ مريضا في غرفتي الانتظار في عيادته. كما لاحظت ان لديه اربعة معاونين هم: طبيب تخرج في الولايات المتحدة، وثلاثة فنيين يعاونونه في اختبارات السمع والحساسية. وقال لي الطبيب الشاب: "اجري صباح كل يوم العمليات في المستشفى، ثم انتقل الى عيادتي حيث افحص ما بين ٨٠ مريضا و١٠٠ مريض يوميا. واذا لم تحدث طوارىء يومي السبت والاحد فانني اعكف على اجراء البحوث وانجاز الاعمال المكتبية". واضاف مبتسما: "وانني، على الاقل، لا اواجه اي صعوبة في سداد اقساط القرض الذي حصلت عليه من برنامج الانعاش الاوروبي".

تجاوز الآمال – نعم لقد حققت خطة مارشال في المانيا نجاحا يتجاوز الاهداف التي حددها جورج مارشال نفسه في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٤٧ والتي تتلخص في انعاش اوروبا عن طريق تشجيع ومساندة المشروعات الحرة التي كانت تعد في ذاتها وسيلة ايجابية لكبح جماح الشيوعية. وعندما يتحدث جوزف كلين عن انتاج ادوات قليلة الثقل لتحميص الوفل، ويروي هولغر نيسين قصة انشاء مشروع آلات الاستنساخ في مكتبه، لا بد للمرء من ابداء الاعجاب الشديد بالمعجزة الاقتصادية التي حققها هذا المشروع.

ثم انني اتذكر هنا قول هولغر نيسين لي: "لولا خطة مارشال لتزايد عدد الشبان المتبرمين الذين يملأون الحانات ويشتكون من النظام الثقيل الوطأة الذي يعيشون في ظله. وبدلا من ذلك، فاننا نشحذ عزيمتنا على شق طريقنا بانفسنا. ولعل هذا هو الباعث على استمرار الخطة وبقاء فكرتها الرائعة اليوم كما كانت منذ البداية".

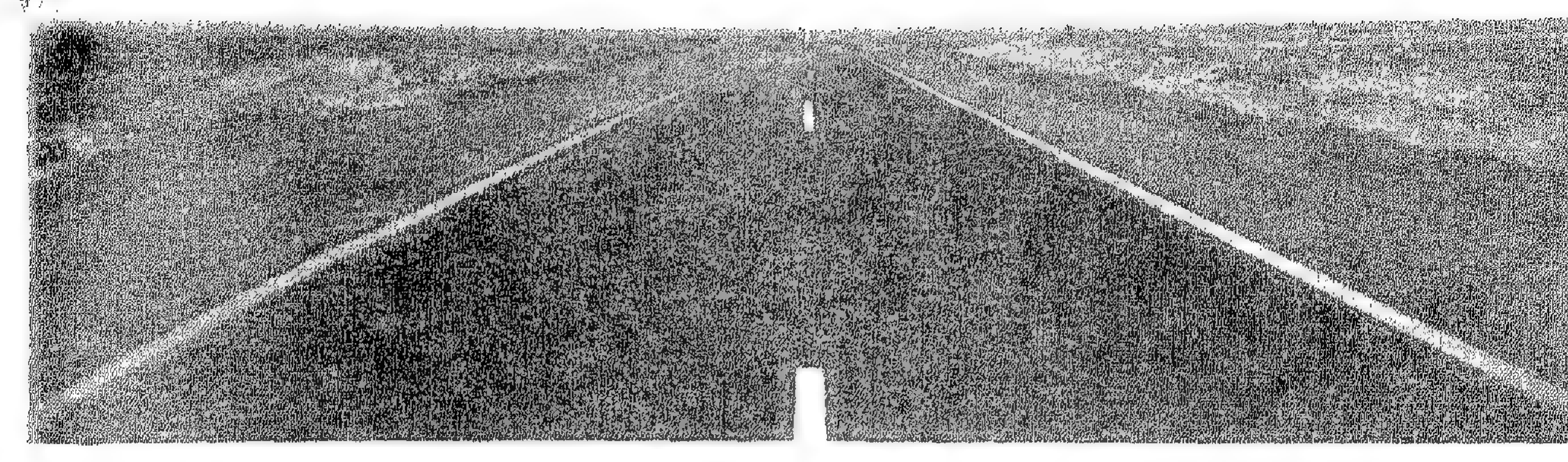
■ آلان ليفي



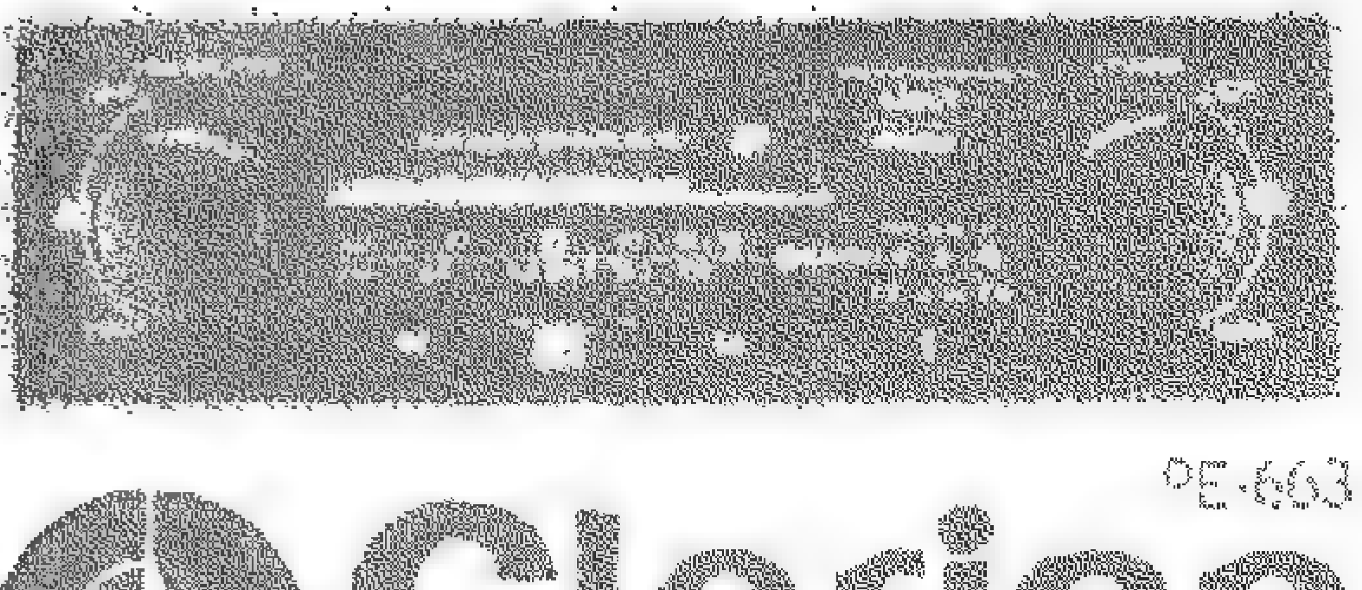
في عين امه...

حين حصل طفلنا على الجائزة الاولى في استعراض الاطفال المحلي، اخذنا نتباهى بذلك امام جميع اصدقائنا. وحين مازحنا بعضهم قائلا ان نتائج مثل هذه المسابقات تكون مهيأة سلفا في العادة، احتجت زوجتي قائلة: "كلا، كلا. من المؤكد ان احدا لم يتلاعب بنتائج هذا العرض، فقد كنت احدى المحكمين".

ر.ي.ب.



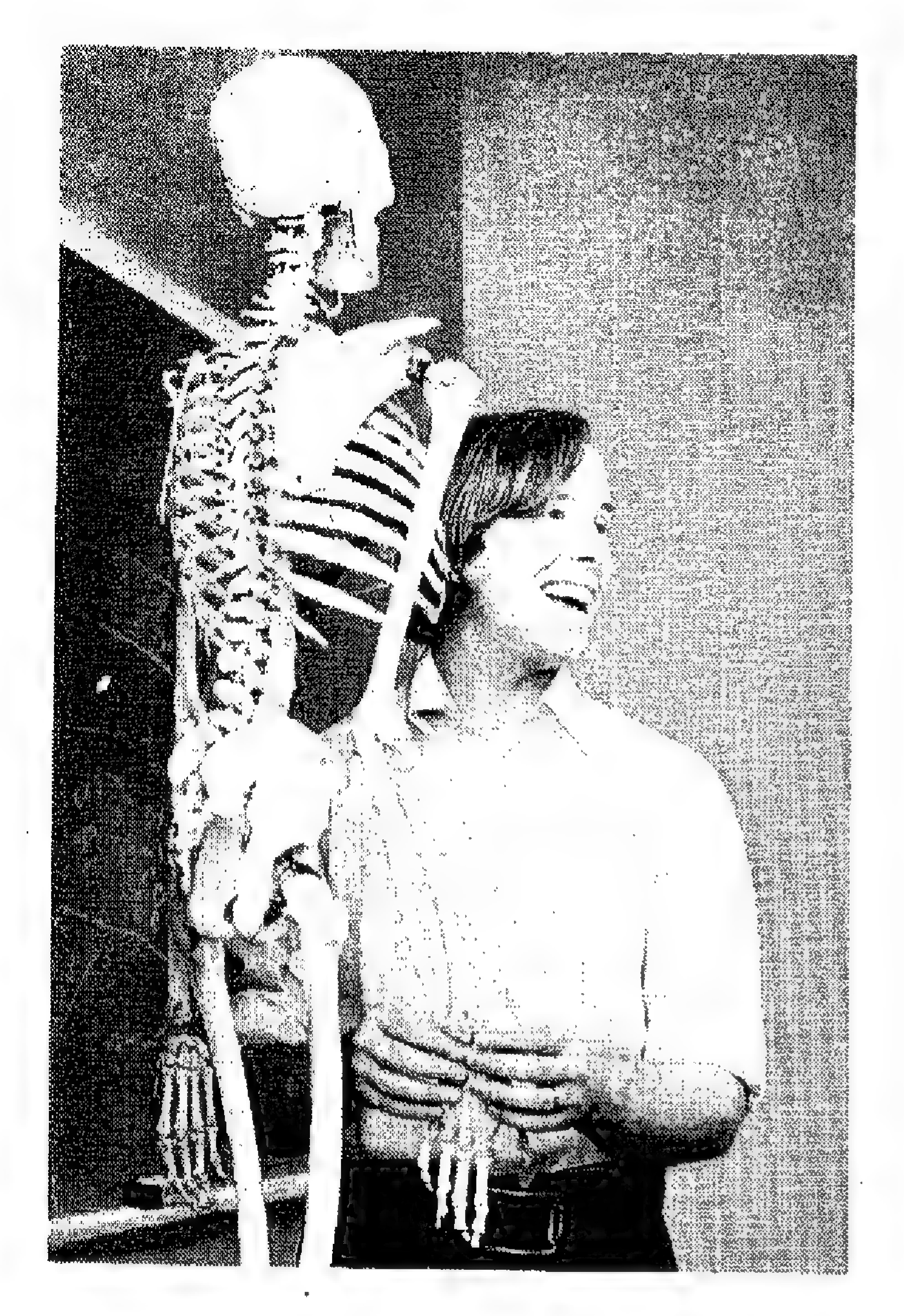
كلاريون
رفيقك المفضل على الطرق



PE-663



اثبت جهاز كلاريون انه جدير بثقتك على الطرق
الاشد وعورة وفي الطقس الاشد حرارة· وهو مصمم
ليكون سهل التشغيل فيساهم بالتالي في راحتك واما
سيرك· وكلاريون التي اشتهرت بجودة منتجاتها
ومتانة ادائها تزودك بمجموعة كبيرة من
ستيريوهات السيارات؛ وكلها سهلة التركيب:
فاختر منها الجهاز الذي يروقك·
كلاريون — يجعل القيادة اكثر متعة·



هذه قصة شاب اعمى كافح بما يشبه المعجزة ليصبح طبيبا، وقد تحقق له ما اراد وتجدد معه الامل في امكانات الانسان غير المحدودة.

الضرير الذي أصبح طبيبًا

كان الذين يعرفون ديفيد هارتمان يعتقدون جميعا انه يبحث عن حتفه بظلفه. وحتى اسرته هو ادركت عشية ذلك اليوم من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ قبل توجه ديفيد للمرة الاولى الى الكلية ان الوقت قد حان لوضع حد لمشاريعه المستحيلة. واذ تريث افراد اسرة هارتمان الاربعة وهم جلوس الى مائدة العشاء في بيتهم القائم في هافرتاون في ولاية بنسلفانيا الامريكية، بادر الابن ديفيد وهو اعمى الى طرق موضوع قديم بحدة جديدة قائلا: "يا والدي كن صريحا معي. هل تعتقد ان في استطاعتي ان اصبح ذات يوم طبيبا؟"

وتوقف فرد هارتمان، وهو موظف في احد المصارف ورجل عملي للغاية، فترة قبل الاجابة. ان عدم تدليل ديف

شيء والسماح له بالمضي في بناء الآمال التي ستفضي به الى خيبة مؤلمة شيء آخر. اي كلية طب ستقبل طالبا كفيفا؟ لقد حان الآوان لتقويم ديفيد وتصحيح تفكيره. ولكن الاب تساءل كيف يقدر على ان يرد بالرفض القاطع على صبي مثل ديف! كيف يمكنه ان يفرض حدا أعلى لاحلامه؟ ولهذا قال فرد هارتمان أخيرا: "طبيبا يا ولدي؟ لن تعرف ما تستطيعه ما لم تجرّب اولا. أليس كذلك؟"

وارتسمت على كلا وجهيهما ابتسامة عريضة، ذلك لان هذا هو الرد نفسه الذي ظل الاب يجيب به عن اسئلة ديفيد: "هل اقدر على...؟" منذ فقد الصبي، الذي ولد بعينين عدستاهما غير سليمتين، كامل بصره وهو في الثامنة من عمره. "ابي هل استطيع ان العب البيسبول؟" هذا ما سأله ديف وهو في العاشرة من عمره فأجابه والده: "فلنجرب اولا وسنرى". ثم عكفا على وضع اسلوب للعب ودحرج السيد هارتمان الكرة على الارض في اتجاه ديف الذي تعلم استخدام المضرب والتقاط الكرة بالانصات الى حفيفها وهي تمر بين الاعشاب.

نطاق الممكن؟ — من هذا المنطلق استهلت الاسرة جهودها الهادفة الى مساعدة ديفيد على الاستقلال قدر الامكان. وكان الطفل يصيح في بعض الاحيان وقد أفزعته الظلمة: "أماه اني لا اقوى على احتمالها!" وعندئذ تضمه ايداما هارتمان، أرق افراد الاسرة قلبا، بين ذراعيها وتهزه برفق وتدندن بصوت خفيض: "انا اعلم. انا اعلم" الى ان تعلم ان في امكانه الاحتمال فعلا. غير ان أمه انضمت الى الآخرين في جعل ديفيد يقاسم الاسرة اشغال البيت. وكانت على رغم شعورها بالتعب لدى عودتها من العمل كمحاسبة على صندوق الدفع تقرأ الكتب لطفلها تقريبا ليليا لتوسيع افقه.

ولكن باربرا، شقيقة ديفيد، هي التي قررت ان تكون اقسى افراد الاسرة في ما يتعلق بمهمات ديفيد، فذات مرة قالت لاخيها الذي نسي ساعته التي صممت على طريقة بريل للمكفوفين في الطابق العلوي من البيت فطلب منها ان تحضرها اليه: "ليقم صاحب الحاجة الى حاجته. او تظن انه سيكون حواليك على الدوام شخص لتلبية حاجاتك؟"

وهكذا شب ديفيد على اعتبار العمى ليس مأساة وانما مضايقة لعينة فقط، كما شب على الشعور بانه يستطيع ان يفعل ما يريد اذا هو صمم على ذلك. وفي الثالثة عشرة من عمره أعلن انه سيصبح طبيباً. وبما انه عجز عن رؤية الرؤوس التي اهتزت باكتئاب لدى سماع الاعلان الطفولي، أخذ ديفيد يهيىء نفسه لهذه المهنة. وأصر على ترك مدرسة اوفربروك للمكفوفين وسجل اسمه في مدرسة هافرتون الثانوية العامة. وحصل على علامات جيدة وحاز مكانا في فريق المنتخب المدرسي للمصارعة، وانتخب في سنته الرابعة والاخيرة نائبا لرئيس مجلس الطلبة.

ولكن على رغم منجزاته المثيرة فانها جميعها ظلت باستمرار في نطاق الممكن واما طموح ديفيد في نيل الدكتوراه في الطب وفي ان يصبح طبيبا نفسيا فهذا أمر لا يدخل في ذلك النطاق في رأي الاسرة. ولذلك احس اعضاء اسرة هارتمان،

وهم يودعونه على ابواب كلية غيتيسبورغ، بانهم لم يكونوا صريحين معه بما فيه الكفاية وخشوا من انه سيحصد الخيبة والحزن.

حاول الاساتذة المستشارون في الدائرة التي انضم اليها ديفيد مناقشته بالحجة والمنطق. واقترح عليه الاستاذ كافالبير: "لم لا تقبل بما هو اقرب الى قدراتك كالتاريخ او علم النفس؟"

واذ احس ديفيد بان هذا المدرس الرئيسي في الدائرة على وشك رفض انضمامه الى صفه جند كل قدراته الاقناعية قائلا: "مهلا يا سيدي. انا لا أختلف في شيء عن سائر الطلبة! صحيح انني عاجز عن الرؤية ولكن لكل انسان عجز ما. بل انا اعتقد ان اشد المعاقين عجزا هم اولئك الذين لا يطلبون التحدي ولا يقبلون على عمل خاص، وأنا أريد ان اكون طبيبا نفسيا لاعتقادي بانني سأكون طبيبا ناجحا في مساعدة الاشخاص الذين يعانون مشكلات شبيهة بمشكلتي على تأهيل انفسهم. لهذا السبب اريد الالتحاق بكلية الطب وانا اعقد الامل على غيتيسبورغ في اعدادي". ومنذ تلك الساعة اصبح كافالبير أشد حليف لديفيد.

من سار على الدرب... — أخذ ذاك الشاب الكفيف ذو الطلعة الوسيمة والبنية القوية يتجول في انحاء كلية غيتيسبورغ بخطى حثيثة ولا يتحسس طريقه بعصاه المعدنية البيضاء الا أحيانا. وفي عامه الدراسي الثاني ظل ديف يلتقي مصادفة شيريل ووكر الفتاة الرشيقة اللامعة ذات العينين الخضراوين. وعجب ديف طوال أشهر من حسن حظه، لكن شيري اعترفت له بعدما قويت أواصر العلاقة بينهما:

"كنت حين اراك أعدو مسرعة لاعترض دربك وكلي أمل في الا تفضح انفاسي سر عدوي اذ أقول لك "يا للمصادفة. تصور انني التقيك مرة أخرى".

وفي ربيع ١٩٧٢ اوشك ديفيد على انهاء اربع سنوات في غيتيسبورغ حائزا معدل علامات كاد ان يبلغ حد الكمال اذ هو حصل على ٣،٨ (ثلاث نقاط وثمانية اعشار) من اصل اربع نقاط. اذا فان كل شيء يسير على افضل ما يرام حتى الآن. وكان ديفيد قد تقدم بطلب الانتساب الى عشر كليات طبية استعدادا للتجربة الكبرى.

وفي مطلع ابريل (نيسان) تسلم رفضا من ثماني كليات منها ثم وصل الرفض التاسع في ٢٧ ابريل من كلية كان عقد عليها اكبر آماله. فانسحق قلب ديف وانهار وانهارت معه شيري واستغرقا معا في البكاء لان كل شيء قد انتهى في رأيهما.

ولكن في احد المعاهد التي لم يتلق ديف جوابا منها بعد، وهو كلية الطب في جامعة تمبل في فيلادلفيا، كان الدكتور م. برنس بريغهام مساعد العميد المسؤول عن قبول الطلبة وشؤونهم يرافع بأقصى ما أوتي من سلطة وقوة امام سائر اعضاء مجلس قبول الطلبة قائلا: "لو كنا اعضاء في لجنة الالعاب الاولمبية وجاءنا رجل بساق واحدة وهو يقطع مسافة المئة ياردة (٩١،٤٤ مترا) في تسع ثوان لسمحنا له في اعتقادي بالعدو مع الآخرين. وعلى هذا المنوال، لقد فعل ديفيد هارتمان اشياء مستحيلة واعتقد اننا يجب ان نرى الى اي مدى يمكنه ان يصل". ووافقه سائر اعضاء المجلس وبعد

مكانس فيليبس ذات السطح الدوار –
أربعة لا يمكن تجاهلها

عندي كلَّ المزايا التي تحبين أن تتوفر لك في مكنستك الكهربائية. وأضيفي اليها المتانة الكاملة التي تستطيعين الاعتماد عليها كليه. والشكل الأنيق. وخدمات الصيانة السريعة التي يوفرها لك وكيل الشركة. لتجذبن طلبك مجسما في هذه الصورة إنها مكنسة من طراز ، ايتش آر ٦٢٤٨ . إحدى مكانس فيليبس الأربع الجديدة ذات السطح الدوّار. وتعمل كل مكنسة منها بمحرك قوي إلا أنه هادىء الى حد مذهل تبلغ قوته ٨٥٠ واط . وتمتاز بخرطوم ذي سطح يدور بزاوية ٣٦٠° (إنه يدور عندما تدورين). ويد متداخلة مطلية بالألمنيوم يمكن تعديلها بالشكل الذي يناسبك. وشريط كهربائي يلتف تلقائيا. ومقبض سهل. وعجلة أمامية محوره بنابض. وعجلتين خلفيتين كبيرتين تسهلان حركة المكنسة على السجاد. وسهولة تبديل كيس الغبار ومع المكنسة مجموعة كاملة من القطع الاضافية المثبتة ذات الأغراض العملية. والتي تجعل أعمال التنظيف كلها سهلة ميسرة زوري وكيل فيليبس قريبا لتشاهدي مكانس فيليبس الاربعة. والأفضل من هذا أن تطلبي من وكيل فيليبس ان يريك المكانس وعملها. وستدركين عندها السبب الذي جعل منتجات فيليبس تكتسب سمعة وشهرة عالمية بالجودة والمتانة حصدها الكثيرون عليها



فيليبس الأفضل لكم دومًا

وقت قصير تلقى ديف مكالمة من أمه: "هناك رسالة اعتقد انه يهمك سماعها"، لكن صوتها خانها كلياً فلم تقوَ على مواصلة الكلام، وفي حينه سمع صوت شقيقته باربرا تشهق قائلة: "لقد فعلتها يا ديف! لقد جاءك القبول من جامعة تمبل!" وتوّج هذا النبأ حفلة تخرجه بشرف وامتياز من الدرجة الاولى، وحين سار بخطى ثابتة الى المنصة لتسلم الدبلوم هبّ جميع الطلبة وهيئة الاساتذة وقوفا تحية له، لقد بدأ الآن فعلا يسير على دربه،

الصراع من أجل الآخرين – اصبح ديفيد، على رغم ما سبق، شديد التوتر لدى تسجيله في جامعة تمبل في الخريف التالي، لقد ولّت مرحلة الكلام وبما انه طلب دخول المعركة والضغوط فقد تم له ذلك فوراً،

وحتى دروس التشريح التمهيدية انطوت على مشكلات خاصة بالنسبة اليه ، فهو وان استطاع ان يغوص بيديه المحميتين بقفازين من المطاط داخل الجثث لتلمس مواضع الاعضاء الكبيرة والتعرّف على هيئتها ، الا أن التعرف على الاعضاء الاصغر حجما والاكثر تسترا مثل الضفائر العصبية استوجب استخدام يديه العاريتين، وهذا ما أقحم ديفيد في سباق لتعلم الاشياء الضرورية قبل ان تفقد اصابعه حاستها بسبب ملامسة محلول فورملديهيد الذي يستخدم لوقاية نماذج المختبر من الفساد،

اما صعوبة علم الانسجة، وهو الدراسة المجهرية لتكوين الانسجة، فلا تقارن بشيء، ولذلك تعين على ديفيد ان يعتمد في هذه الدراسات على اساتذته وزملائه في وصف ما يرونه بالمجهر، وعلى تلمس رسوم حفرت باسلوب شبيه بطريقة بريل اعدها له استاذه،

وراح ديفيد في هذه الاثناء ينظم شؤون المكتبة الضخمة التي يحتاج اليها في بيته لمراجعة عشرات المواضيع المرعبة الاخرى، وكان على غرار ٥٠٠٠ طالب كفيف آخر في الكليات الامريكية، كذلك نصف الطلبة المكفوفين في المدارس الثانوية يعتمد رئيسيا على جمعية التسجيل للمكفوفين لتزويده مجانا بأشرطة سجلت عليها الكتب المقررة، وتولى المتطوعون في الجمعية تسجيل قرابة ثلاثين مجلدا طبيا لديفيد،

شكوك عميقة – تزوج ديفيد من شيري في ربيع سنته الاولى في كلية الطب، واتسم شهر العسل في صيف ذلك العام بالهدوء والاسترخاء نسبيا، ولكنه ما كاد يباشر سنته الطبية الثانية حتى وجد ديفيد نفسه غارقا في حال ميؤوس منها، فقد عمد ديفيد، من أجل متابعة ست محاضرات في اليوم الواحد، الى تسجيل المحاضرات كلها على آلة واحدة ثم نقل الاشرطة الى بيته لتسجيل ملخصات لها على آلة ثانية، لكن هذا الاسلوب كان يتطلب قرابة ساعتين لتسجيل ملخص محاضرة من ساعة واحدة اي انه كان في حاجة الى اثنتي عشرة ساعة يوميا لاتمام واجباته الدراسية المنزلية،

ولم يمضِ وقت طويل حتى توجه ديفيد هارتمان الطالب الشديد العصبية والمرهف من قلة النوم الى مكتب العميد بريغهام، وتوصل معه الى حل للمشكلة: فمن ذلك الوقت سيكتفي ديفيد كغيره من طلاب صفه بتدوين الملاحظات، لكن ملاحظات ديفيد ستدون همسا في آلة التسجيل،

وحين دخل ديفيد سنته الطبية الثالثة والحاسمة بدأ العمل في مستشفى جامعة تمبل وباشر التعامل مع المرضى الحقيقيين والحياة الواقعية. وكان لا يزال هناك بعض المرتابين الذين احتفظوا بشكوك عميقة تجاه احتمال اتمام ديفيد دراساته الطبية، لانه مثلا لا يستطيع "قراءة" الصور المأخوذة باشعة اكس ولا يقدر على فحص الأذن او العين او الفم من دون مساعدة احد زملائه وتتعذر عليه رؤية الطفح الجلدي بل هو يعتمد على اوصاف الممرضة او المرضى انفسهم.

لكن هارتمان كان يتمتع بقدرات عوّضت تلك النواقص. فهو بحاسة سمعه الحادة كان حاذقا الى أبعد الحدود في استخدام النصّاتة. وكان بحاسة اللمس التي تطورت لديه الى درجة عالية جدا يستطيع الاحساس بوجود تباينات شاذة في الصدر والبطن. لكن الاهم من هذا وذاك هو انه كان مستمعا ممتازا.

وللدكتور جون هـ. مارتن الاستاذ المسؤول عن تدريس التشخيص البدني ملاحظة في هذا المضمار: "اذا اعطي المرضى فرصة للتحدث عن انفسهم فانهم في احيان كثيرة حكام ممتازون في معرفة عللهم. لذلك فان ديفيد هارتمان الذي يعوض عجز بصره بالاستماع الى المزيد من كل مريض، انما يثبت على نحو مثير قيمة هذه الحقيقة القديمة". (ويبدو ان ديفيد قد برهن على صدق ذلك بالحصول على أعلى علامة في صفه في الامتحان النهائي في موضوع التشخيص البدني).

"فوق البشر" — في ٢٧ مايو (ايار) ١٩٧٦ تسلم ديفيد شهادة الدكتوراه في الطب. فأثبت في نظر نفسه انه لا يختلف عن اي شخص آخر.

على ان هناك من تحدى هذا الرأي. فقد بدأ عدد كبير من الاساتذة في جامعة تمبل يميلون الى الاتفاق مع الدكتور مارتن في ان "هارتمان ليس شخصا عاديا وانما هو سوبرمان".

وبعد مرور بضعة اسابيع على تخرجه احتفلت جمعية التسجيل للمكفوفين ذات مساء بمناسبتين مهمتين: مرور ٢٥ سنة على تأسيس الجمعية ووقوع حدث عظيم في تاريخها اذ اقتحم اشد رعاياها طموحا ميدان الطب. واشاد رئيس الجمعية جون و. كاسل (الثالث) بديفيد وهو يقدّم اليه جائزة مؤسس الجمعية لأن ديفيد "أظهر انتصار الروح البشرية". وختم اشادته بقوله: "اننا نشعر بهذا المثل الذي ضربه لنا ديفيد هارتمان بأن ايماننا بالامكانات غير المحدودة لجميع الناس قد تجدد".

واسفرت هذه الكلمات عن وقوف الجمهور تحية لديفيد الذي رد على الكلمة باختصار مستخدما كلمات بسيطة من ماضيه، موجهة الى جميع الذين يكافحون ضد العقبات في كل مكان: "لقد كان والدي على حق... لن تعرف ما تستطيع اذا لم تجرّب اولا".

لقد انهى الدكتور ديفيد هارتمان الان سنته الاولى في طب التأهيل في جامعة تمبل. وقد انتسب الى جامعة بنسلفانيا لمتابعة برنامج خاص يدوم ثلاث سنوات لدراسة الطب النفسي الذي سيؤهله للعمل في ميدان الطب النفسي. ويركز البرنامج على المشكلات العاطفية التي "تلم" بالمعاقين.

■ ألن رانكين

كانت سوزان وابنتها بيت وحدهما في المنزل المنعزل. وفجأة انطفأت الانوار وسمعتا صوت تحطم زجاج...واذا بمسلحين يقيدان الوالدة ويخطفان الابنة.

الليل الطويل

في عطلة نهاية الاسبوع التالية لعيد الشكر من عام ١٩٧٦، الذي صادف رابع يوم خميس من نوفمبر (تشرين الثاني)، كانت اليزابيت (بيت) فيرينغر، البالغة من العمر ٢٣ عاما، تزور والديها، سوزان ودون ماير، في منزلهما المنعزل بالقرب من كلية ولاية بنسلفانيا. وكان مايكل زوج بيت قد عاد في ساعة مبكرة، بسبب عمله، الى بروكفيل الواقعة على بعد ١٣٠ كيلومترا، ولذا لم يكن حاضرا عندما بدأت معضلة بيت القاسية مساء الاحد.

ولم يكن والدها ايضا في البيت. ذلك ان دون ماير كان قد نهض ذلك المساء، بعد عشاء عائلي لطيف، وقبل زوجته وابنته متمنيا لهما ليلة سعيدة، وتوجه الى "اوتوبورت"، وهو نزل ومطعم يملكه في البلدة. وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة كانت سوزان ماير تتكلم على الهاتف، وفجأة انقطع الخط وانطفأت الانوار.

واخذت المرأتان تتلمسان طريقهما نحو غرفة النوم الرئيسية بحثا عن قنديل الكاز (الكيروسين). وبينما هما في ذلك، سمعتا صوت تحطم زجاج ثم وقع اقدام. ومن فرط خوفهما، دفعت بيت وامها بكرسي وراء باب غرفة النوم. ولكن الباب ركل بفظاظة الى الداخل، ووقف في المدخل المحطم رجل مفتول العضلات وعلى وجهه قناع وحشي وفي يده مسدس. ولاح من ورائه في الظلام شبح رجل آخر مسلح ومقنع.

تحرك الرجلان بسرعة وارغما سوزان ماير على الانبطاح ارضا ووجهها الى اسفل، ثم قيدا يديها

وراء ظهرها بحبل من النايلون. وخاطباها محذرين وهما يقودان بيت بعيدا: "اياك ان تخابري الشرطة، والا فلن تشاهدي ابنتك حية مرة اخرى".

واسدل الخاطفان كيس وسادة على رأس بيت، ثم دفعاها الى المقعد الخلفي لسيارة والدتها الاولدزموبيل وانطلقا بالسيارة.

وسرعان ما تمكنت سوزان ماير، بعد سماعها اصوات الخاطفين وهم يغادران من التملص من وثاقها. وقفزت الى داخل سيارة بيت واتجهت بسرعة جنونية الى منزل اقرب جيرانها الذي يبعد قرابة ثلاثة ارباع الكيلومتر. وفي الساعة الثانية عشرة والربع ابلغ ماير بان مكالمة هاتفية من زوجته تنتظره.

وصرخت سوزان بصوت متهدج يملأه البكاء: لقد اختطفت بيت. وقال الخطفان انهما سيقتلانها اذا اتصلت بالشرطة. ذهل ماير، واخذ يزرع المكان جيئة وذهابا وهو يقلب اوجه المسألة. ثم قررا ان هناك امرا يمكن عمله.



المنزل المهجور الذي أحتجزت فيه بيت.

كان مفتش المباحث توم دولان، رئيس مكتب التحقيقات الفيديرالي القائم في منطقة كلية الولاية، نائما عندما رن جرس الهاتف بعد منتصف الليل بنصف ساعة. غير ان صوت صديقه دون ماير الشديد الهياج اطار النوم من عينيه. وفكر دولان: "يا الهي! لقد خطفت ابنة دون! كنت أحسب ان مثل هذه الامور لا تحدث الا للغرباء".

مصيدة المباحث - وكانت الخطوة الاولى التي اتخذها رجل المباحث ان طلب من شركة الهاتف نصب مصيدة يمكن بواسطتها تقصي مصدر المكالمة خلال ثوان بالدماغ الالكتروني على هاتف ماير في نزل ومطعم "أوتوبورت". ثم اطلع المقر الاقليمي لمكتب التحقيقات الفيديرالي في ولاية فيلادلفيا على المسألة. واصدر نيل ويلش، العميل الخاص المسؤول، امرا الى خمسين رجلا من افضل عملائه بالتوجه الى مسرح الحادث. وخلال ثلاثين دقيقة كان هو نفسه متوجها بالسيارة نحو منطقة كلية الولاية، على رغم الجليد والثلوج، علما بأن مسافة ٣١٥ كيلومترا كانت تفصله عنها.

في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين رن جرس الهاتف في مكتب ماير. وتحدث رجل بصوت

مزيف قائلا: "افعل بالضبط ما اقوله لك، والا لن ترى ابنتك حية مرة اخرى".

وسأله ماير: "ماذا تريد؟"

واعلن المتحدث عن طلبه: "اريد ١٥٠ الف دولار".

ورجاه ماير: "دعني اتحدث الى بيت".

"مستحيل"، قال المتكلم على الطرف الاخر، وانهى المحادثة.

وقد تم تقصي المحادثة، فتبين ان مصدرها كشك هاتف يقع على مشارف البلدة. وذهب فريق مسلح لمراقبة الكشك، ولكن بدا ان الشخص الوحيد الذي استعمله كان رجل شرطة من المدينة لاجراء محادثة روتينية مع المقر التابع له. وفي تلك الاثناء كان العملاء الاخرون من مكتب التحقيقات الفيديرالي يتدفقون على كلية الولاية من مكاتب اخرى في بنسلفانيا.

اثر رحلة بدت كأنها لن تنتهي، توقفت سيارة الاولدزموبيل. واقتيدت بيت الى بناية قديمة متداعية وانزلت على بضع درجات. وطوق خصرها بسلسلة معدنية ثقيلة وربطت السلسلة بانبوب تدفئة فوقها ربطا محكما بحيث لم تستطع التحرك من غير الم. وكان بالقرب من قدميها بكرة ورق مرحاض وعلبة زبدة فستق ورغيف خبز متعفن ووعاء ماء.

وقال احد الرجلين: "اذا سارت الامور وفقا لما نريد، فسنعود هذه الليلة".

مراقبة جوية ــ وصل ويلس الى منطقة كلية الولاية في ساعة مبكرة من صباح الاثنين، وبدأ توزيع المهام على رجاله. فعين عملاء لمراقبة كل مفترق طريق رئيسي، ثم امر ايد كريزي، وهو طيار في مكتب التحقيقات الفيديرالي عمره ٣٣ سنة، بالتوجه الى مطار البلدة واستئجار



بيت فيرينغر.

طائرة ملائمة للمراقبة والتعقب. وحصل كريزي على طائرة ذات محرك واحد من طراز سيسنا – ١٥٠.

وجاءت المكالمة الثانية من الخاطفين في الساعة ٨،٤٠ صباحا. وقال صاحب الصوت المزيف لماير: "اكتب عندك: نريد ٢٥ الف دولار باوراق من فئة العشرة دولارات، و٥٠ الف دولار باوراق من فئة العشرين دولارا، و٢٥ الف دولار باوراق من فئة الخمسين دولارا، و٥٠ الف دولار باوراق من فئة المئة دولار. ضع النقود في حقيبة مكتبية، واحرص على ان تكون اوراقا نقدية مستعملة غير متسلسلة الارقام". وامر المتحدث دون بان يركب في سيارته جهاز راديو ذا موجة "سي. بي".

بعد ذلك بدقائق اتصلت شركة الهاتف مرة اخرى. لقد افلحت المصيدة في تقصي المكالمة الى هاتف عمومي في بناية "هيتزيل يونيون" في حرم كلية ولاية بنسلفانيا. وقد برهن الخاطفان عن ذكاء في اختيار تلك البناية، اذ انهما يستطيعان الدخول الى مركز

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسّمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»
أروج جهاز تنظيف في العالم.

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هــوفــر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



الطلاب هذا والخروج منه بسهولة ومن دون لفت الانتباه.

مع تسلل ضوء النهار عبر ظلمة القبو، تمكنت بيت من نزع كيس الوسادة عن رأسها، ورأت موقدا غير مستعمل ووعاء فحم فارغا جزئيا. وتمكنت ايضا من تعيين مصدر اصوات العدو السريع التي سمعتها طوال الليل، اذ رأت فئرانا صغيرة تعدو قرب قدميها. واصطكت اسنانها من شدة البرد، وشعرت بالم في قدميها. وتناهى الى سمعها خوار ابقار في مكان ما خارج البناية، ولكنها لم تسمع اصواتا انسانية.

وفي الساعة ١٢:٤٥ بعد الظهر سأل الصوت عبر الهاتف: "هل المبلغ جاهز لديك"؟ فاجاب دون ماير:

- لقد استغرق الحصول على راديو بموجة "سي بي" مدة طويلة. وفور انتهائنا من هذه المحادثة ساتوجه الى المصرف. دعني اتحدث الى بيت.

وجاءه الجواب: "كلا. ساتصل بك في الرابعة بعد الظهر".

وردت المصيدة تلك المكالمة الى هاتف عمومي آخر في بناية "هيتزيل يونيون". واقدم ويلش عندئذ على واحد من اخطر القرارات في القضية، اذ راهن على ان الخاطفين سيجريان محادثتهما التالية من بناية "هيتزيل يونيون" ايضا. ورسم خططه وفقا لذلك.

وبينما توجه ماير بالسيارة الى مصرف "بيبولز ناشونال" ليرهن منزله وتجارته مقابل الحصول على قرض بمبلغ ١٥٠ الف دولار، اختار ويلش عشرة اشخاص من عملائه يمكن ان يحسبهم المرء طلابا او مدرسين شبانا. وعين العميل الخاص ديف ريشتر مسؤولا عنهم. وقد بدا هذا - بطوله وشقرة لونه - اصغر من سنه الحقيقية (٣٣ سنة) بعشر سنوات.

"لقد عرفت الرجل" - وسار رجال مكتب التحقيق الفيديرالي فرادي وازواجا سيرا عفويا الى بناية "هيتزيل يونيون" حيث توجد ثمانية اكشاك هاتف عمومية قرب المدخل الامامي. وارسل ريشتر عملاء الى الاكشاك الاول والثالث والسادس والسابع. وذلك ليكون احد العملاء في الكشك التالي لاي كشك يمكن ان يختاره الخاطف.

وبعيد الساعة الرابعة بعد الظهر دخل رجل مكتنز بخطى سريعة الى بناية "هيتزيل يونيون" واتجه مباشرة الى كشك الهاتف الخالي المجاور للكشك الذي كان فيه ريشتر. وتظاهر العميل بانه يجري محادثة هاتفية وقفز قلبه.

كان الرجل الواقف في الشكك المجاور يتحدث بصوت مزيف:

- اذهب الى مرآب السيارات المجاور لمطعم "بولد ايغل" في مايلزبيرغ. (مايلزبيرغ هذه تقع على بعد ٢١ كيلومترا من منطقة كلية الولاية). اشعل ضوء السيارة الذي فوق رأسك وافتح راديو "سي بي" على القناة ٧.

واتصل ريشتر فورا، وبانفعال شديد، بمكتب قيادة العملية، وقال: "لقد عرفت الرجل. انه يتحدث الى دون ماير الآن. وسارصد تحركاته".

وبعدما انهى الرجل مكالمته، سار بتؤدة وعفوية الى سيارة بونتياك قديمة الطراز، بنية اللون، متوقفة في مرآب بناية "هيتزيل يونيون". وعن طريق المصادفة المحضة كانت مصطفة بجوار سيارة ريشتر مباشرة!

كانت سيارة البونتياك مسجلة باسم محل لبيع الدراجات الهوائية



في منطقة كلية الولاية. وقال ارنست نيل، احد رجال مكتب التحقيقات الفيديرالي المحليين، وكأنما اكتشف امرا مهما: "مهلا. هذا المحل يخص غاري يونغ". ولم يكن غاري يونغ، صاحب محل بيع الدراجات الهوائية البالغ ٣٣ سنة من العمر، واخوه كنت البالغ ٢٣ سنة والذي يعمل لحسابه في المحل، مجهولين لدى الشرطة. فهما كانا في انتظار صدور حكم عليهما لما اتهما به اخيرا من اعتدائهما اعتداء خطرا على احد الاشخاص.

وكان اسلم السبل امام ويلش اعتقال غاري يونغ املا في حمله على الاعتراف. لكن حياة بيت فيرينغر كانت في خطر. وقرر ويلش المضي قدما في دفع الفدية آملا في ان يقودهم غاري الى اسيرته.

اخذ ضوء النهار يخبو، ولا بد من ان يكون موعد عودة الخاطفين اقترب. وفجأة سمعت بيت صوت تحطم عالي الضوضاء. وقالت لنفسها: "لقد عادا". غير ان مصدر تلك الضوضاء كان الرياح التي عصفت بالواح خشبية تغطي نافذة مكسورة. وانخفضت درجة الحرارة الداخلية وتخدر جسم بيت من شدة البرد، لكنها رفضت ان تفقد الامل.

وقاد دون ماير سيارته الى مايلزبيرغ ووضعها في مرآب "بولد ايغل"، مشعلا الضوء الداخلي فيها. وفجأة سمع صوتا عبر جهاز "السي بي": "ضوء القبة الداخلي - هل تسمعني؟" واجاب دون بالايجاب. ثم تلقى امرا بالتوجه الى منطقة حافلة بالحوانيت والمحلات التجارية. وبينما كان يقود سيارته اطفأ الضوء الداخلي، فانبعث صوت من جهاز الراديو يصرخ فيه: "اشعل ذلك الضوء مرة اخرى". وادرك دون بفزع ان سيارة الخاطفين تسير وراءه مباشرة. فالضوء الداخلي سيحرمه رؤية وجه اي شخص في السيارة الاخرى.

وما ان دخل دون منطقة المتاجر حتى سمع امرا عبر جهاز الراديو: "عد نحو منطقة كلية الولاية". ثم

توالت الاوامر سريعة كطلقات مدفع رشاش: "در الى اليمين. اتجه الى اليسار. سر نحو طريق المطار". وكان الخاطفان يغيران اتجاه السير محاولين التملص من اي اشخاص يطاردونهما. غير انهما لم يفلحا، اذ ظل فريق المراقبة، المكون من ست سيارات مدنية لا تحمل علامات خاصة بالشرطة، يتناوب عملية الملاحقة.

"اترك الحقيبة" - وانعطف ماير، وفقا للتعليمات، الى طريق ضيقة عبر الاحراج، وانتهت المسافة المعبدة من تلك الطريق، وبدأ السير على طريق ترابية افضت الى حقل ذرة مهجور مغطى بالثلج. ولم يظهر اي اثر لسيارة الخاطفين، لكن الصوت جاء عبر جهاز الراديو: "اترك حقيبة النقود".

ففتح ماير الباب ووضع الحقيبة في وسط الطريق، ثم كر عائدا نحو منطقة كلية الولاية.

ان اخطر وقت في اي عملية اختطاف هو ذاك الذي يتلو وضع الفدية في المكان المطلوب. ذلك انه يمكن، اذا شك الخاطفون في اقتراب الشرطة منهم، ان يتخلوا عن المغنم ويقتلوا الشخص المخطوف. وغامر ويلش مرة اخرى اذ استدعى فريق المراقبة والتتبع واوكل الى ايد كريزي مهمة متابعة السيارة من اعلى بالطائرة.

في تلك الاثناء صدر الامر الى العميلين جوزيف ماكيلان واوستن هاملتون، اللذين كانا على بعد ٦٠٠ متر فقط من مسرح الاحداث، بان يتجها عبر طريق مختصرة في الاحراج الى نقطة يتسطيعان منها مشاهدة التقاط الخاطفين للفدية. ذلك ان شهادة العيان التي سيقدمانها ستكون مهمة في اي ادعاء قانوني ضد الخاطفين. وانقضت قرابة نصف ساعة قبل ان تتوقف سيارة البونتياك قرب حقيبة النقود. ومد غاري يونغ يده والتقط الحقيبة، ثم انطلق.

في السادسة والنصف مساء عاد دون ماير الى نزل ومطعم "اوتوبورت". وفجأة بدا له ان كل شيء اخذ ينهار. فقد اتصل به غاري يونغ ساخطا وغاضبا بعدما اكتشف امر الطائرة: "لقد نسفت اتفاقنا. لقد ارسلت طائرة لمراقبتنا".

وصرخ ماير: "بحق السماء، عم تتحدث؟ ليس هناك اي طائرة. لقد اخذت النقود، فارجوك ان تقول لي اين بيت".

وانحسرت نبرة غاري الغاضبة وقال: "ساتصل بك خلال ساعة".

غير ان الخاطفين لم يتصلا خلال ساعة ولا خلال ساعتين. وتضرع ماير: "يا الهي، ارجوك.. دعهما يتصلان بي".

وعاد الاخوان الشابان بسيارتهما الى محل الدراجات الهوائية. ولبثا هناك برهة قصيرة، ثم انطلقا مرة اخرى بالسيارة. وبحلول التاسعة مساء كانت طائرة مكتب التحقيقات الفيديرالي قد صرفت اربع ساعات في الجو. وفي التاسعة والربع هبطت على ارض المطار ولم يكن في خزان وقودها سوى ٧٥٠ سنتيمترا مكعبا من البنزين.

وقبل هبوط الطائرة، ارسل كريزي اشارة الى فريق سيارات المراقبة والمتابعة لاشعال اضواء طائرته، واطفائها بضع مرات. لكن غاري يونغ لاحظ لمعان الاضواء. ولشدة ذعره اتصل بالمطار هاتفيا. ومن حسن الحظ والمصادفة، كان كريزي

هو الذي رد على الهاتف. وعندما طلب يونغ ان يعرف ما اذا كان ثمة رجال شرطة يحلقون في طائرة، اجابه كريزي: "ابدا... ليس هناك سوى طيار متدرب برفقة مدربه".

والح يونغ في سؤاله: "لكن هذه الطائرة ظلت تشعل انوارها وتطفئها". ورد عليه كريزي بهدوء: "ربما كان الطيار المتدرب لمس ازرار الضوء خطأ في الظلام. هذا امر يحصل دائما".

وصدق يونغ ما قيل له. وفي العاشرة مساء اتصل هاتفيا بنزل ومطعم "اوتوبورت" وابلغ دون بمكان وجود بيت، وقال له: "خذ معك منشارا حادا".

نهاية سعيدة — وبينما اصدر ويلش امرا الى فريق المراقبة والمتابعة بالانقضاض على الخاطفين، "ولكن من دون اعتقالهما"، كان والدا بيت وزوجها مايك ووالده يتجهون بسرعة بالغة لتحريرها من الاسر. وسارت قافلة سيارات مكتب التحقيقات الفيديرالي وراءهم بسرعة كبيرة. وتوقفت السيارات كلها وقفة مفاجئة قرب منزل مهجور على بعد ٣٧ كيلومترا من منطقة كلية الولاية.

وعمد ارنست نيل بمساعدة رجل شرطة من الولاية الى كسر باب القبو، ووجدا بيت ترتعش على الارضية الترابية. وكان الماء الذي تركه الخاطفان لها متجمدا يابسا، والحرارة تقرب من ١٧ درجة مئوية تحت الصفر. وعبر ويلش عن تقديره انها كانت ستتجمد حتى الموت لو بقيت هناك بضع ساعات اخرى.

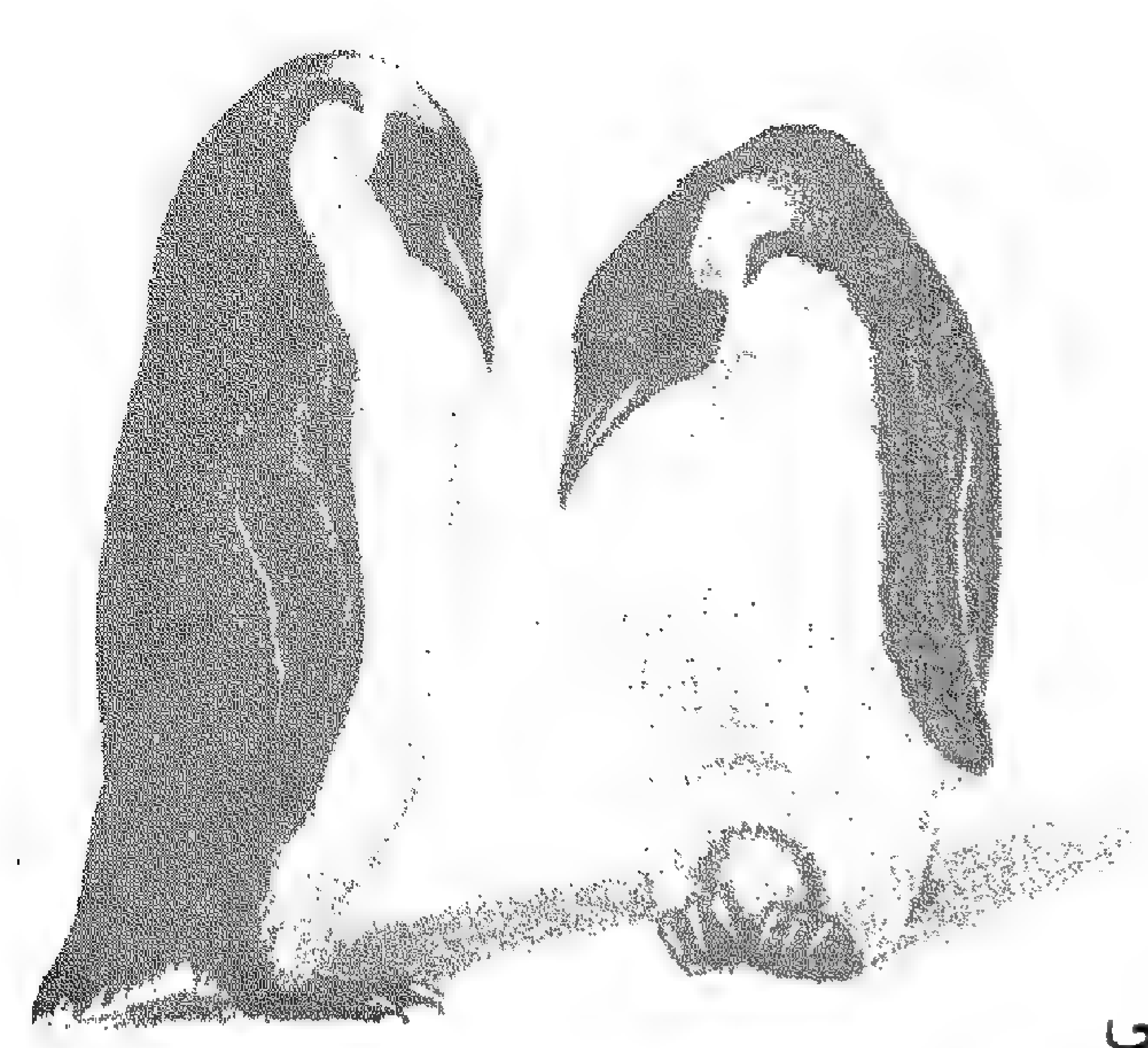
عانقت بيت زوجها مايك ودموعها تنهمر على وجهها، ثم عانقها ابوها ووالد زوجها. وكانت والدة بيت تنتظر خارجا في البرد وهي في غاية القلق والترقب. فقد رفض ويلش السماح لها بالدخول لانه لم يكن يعرف ماذا سيجدون في الداخل.

ونشر احد عملاء مكتب التحقيقات الفيديرالي السلسلة الحديدية التي قيدت بيت بها. وكانت ساقاها مخدرتين لا احساس فيهما، وكانت تمشي بصعوبة فائقة. وادخلها دون ومايك بسرعة الى السيارة الدافئة. وما هو الا وقت قصير حتى عادت بيت بامان الى منزل والديها، وانتهت تلك المحنة القاسية.

كان غاري يونغ يقود سيارته بمفرده عندما ارغمه عملاء مكتب التحقيقات الفيديرالي على الخروج عن جادة الطريق، وشهروا مسدساتهم واعتقلوه. وفاجأ خمسة عملاء آخرين كنت في شقته وقبضوا عليه في غرفة نومه. وفي صباح اليوم التالي عثر رجال مكتب التحقيقات الفيديرالي على مبلغ الفدية في كيس غسيل قماشي تحت مادة عازلة سمكها ١٥ سنتيمترا في المخزن العلوي في منزل غاري يونغ.

ولشد ما كان اسف مكتب التحقيقات لعدم امكان اقامة دعوى على الخاطفين بمقتضى القانون الفيديرالي الذي ينص على السجن مدى الحياة، نظرا الى ان ايا من الاخوين لم يجتز حدود الولاية خلال ارتكاب الجريمة. وحكم على الاخوين يونغ كليهما بالسجن في مؤسسة ولاية بنسلفانيا الاصلاحية. فتلقى غاري حكما بالسجن مدة تراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة، بينما حكم على كنت بالسجن مدة تراوح بين ثماني سنوات وعشرين سنة.

■ دونالد روبنسون



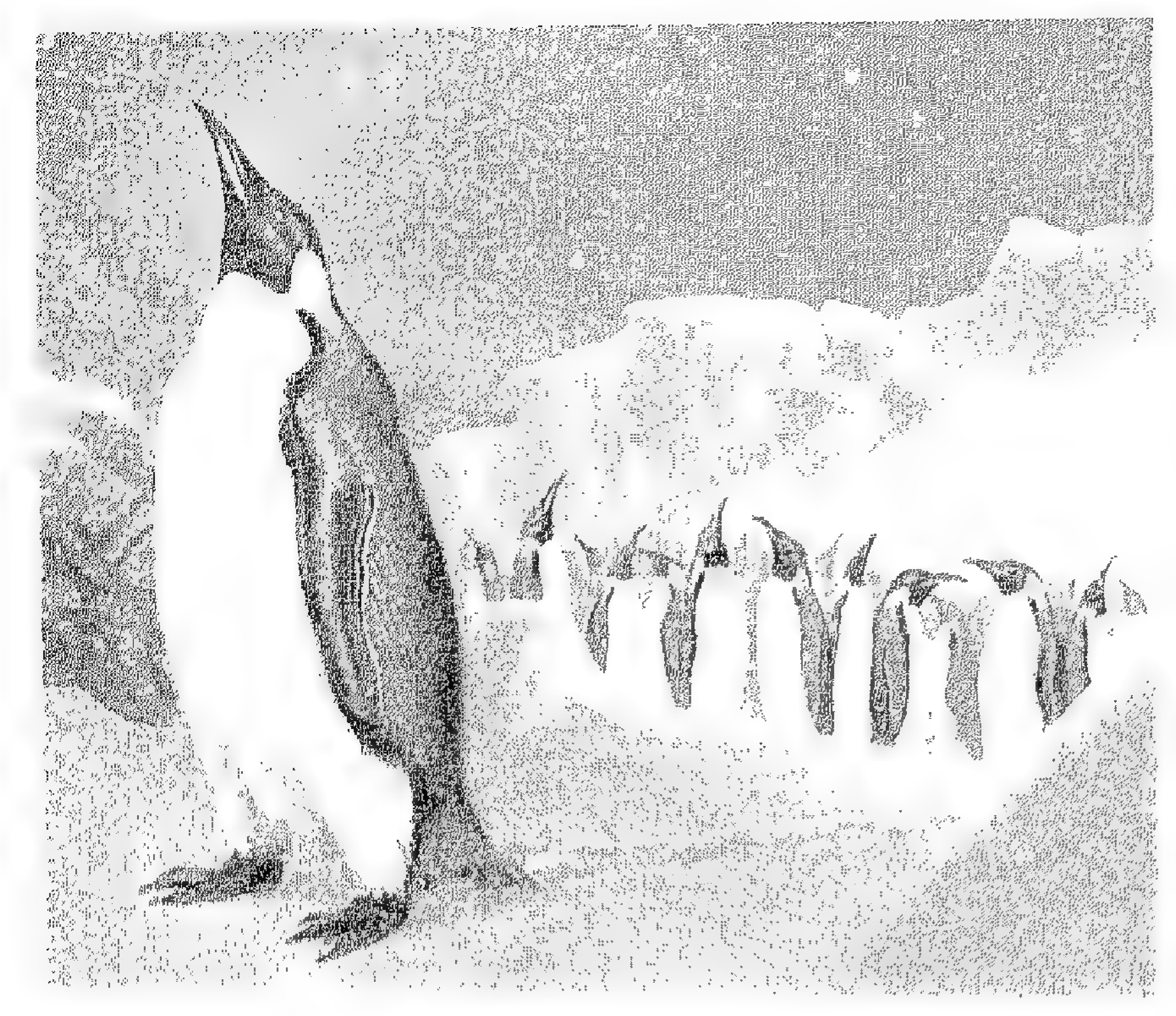
هل تعرف هذه الحقيقة
عن طائر البطريق: ان الانثى
تضع البيضة، لكن الذكر يحتضنها ؟
هنا قصة احد أغرب مخلوقات الارض ·

بيضة الأمبراطور

وقف طائر البطريق، الامبراطور الكبير، على طوف جليدي مواجها شمس منتصف الليل الحمراء وهي تغرق في افق القطب الجنوبي· وانحدرت شمس يناير (كانون الثاني) ولامست الجليد بضوئها الاصفر· وخلال ثلاثين دقيقة كانت قد صعدت ثانية، ناصعة البياض هذه المرة· ووازن الامبراطور جسمه، الذي يبلغ طوله مترا، على قدميه المبرثنتين القويتين وغطس·

وحين اصبح تحت الماء تحول الى شبه سمكة وغاص في اعماق البحر·

والبطريق اسرع من الاسماك، وكثيرا ما يستمر في الصيد تحت الماء لمدة عشرين دقيقة· اما الانسان فيموت خلال ثوان معدودة في هذه المياه القارسة البرودة· لكن البطريق معزول حراريا بطبقة هوائية محصورة تحت ريشه الزيتي المرصوص· وفي الظلام الدامس، على عمق يزيد على ٣٠٠ متر، احس الطائر الكبير بذبذبات مخلوقات اخرى تتحرك في العتمة· وفجأة انطلق وسط مجموعة



الزائد وتبقي نفسها على قيد الحياة لمدة اسابيع، او حتى اشهر، من دون ان تأكل شيئا. وهي، اذا ما احتشدت وتراصت ليدفىء بعضها بعضًا مستخدمة ريشها الكثيف، امكنها ان تصمد امام الاعاصير، وهو انجاز لا تقوى عليه الا مخلوقات قليلة في هذا العالم.

من اسماك البحار واعمل منقاره الحاد في اجسادها. ثم اتجه نحو السطح.

وومض الماء عندما رفع نفسه مترا في الهواء ثم هوى جاعلا بطنه الى اسفل، على الجليد. وتركت الماء معه مئات من الاباطرة الاخرى، ووقفت منتصبة كأنما هي حشد من خدام المقاهي المرتدين قمصانا ناصعة البياض ومعاطف سوداء طويلة. وكان الامبراطور الكبير، بوزنه البالغ ٤٥ كيلوغراما، اكبر طائر بينها جميعا.

طائر لا يطير - هنا كان واحد من اغرب مخلوقات الارض: طائر لا يطير، انما يعيش في اصقاع القطب الجنوبي النائية، ويستطيع ان يقطع آلاف الكيلومترات في البحر المفتوح خلال رحلات صيده. وهو مخلوق لا يخشى اعتى الرياح ولا اشد الاجواء بردا. وقد تطورت لدى جنسه قدرات فائقة لرد غوائل الشتاء. ففي امكان هذه الطيور ان تستهلك من دهنها

ها قد غطس الامبراطور الكبير مرة اخرى. وتناهت الى اسماعه اصوات الصفير والنخير والزفير الصادرة عن حيتان وفقمات تصطاد في المياه نفسها. لقد كانت حياته مرتبطة بحياة مخلوقات اخرى لا تحصى في هذا العالم الجليدي البارد المعادي. فالاسماك الصغيرة، التي لا يتجاوز طول الواحدة منها سنتيمترا ونصف سنتيمتر، تلتهم نبات الدياتوم البحري المجهري. لكن هذه الاسماك لا تلبث ان تصبح طعاما لملايين المخلوقات المفترسة، من حيتان وفقمات وطيور بحرية واسماك حبار وغيرها. لقد كان شهرا يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط، وهما شهرا الصيف في تلك المنطقة)، افضل وقت صيد بالنسبة الى الامبراطور. واستمر يتغذى بنهم على سمك الحبار والاسماك الصغيرة، وازداد سمنة.

وفي نهاية فبراير (شباط) ومع اقبال الخريف واشتداد العواصف

القوية التي اجتاحت البحر والجليد، كف الامبراطور عن الطعام وبدأ يمشي جنوبا، متقدما آلافا من رفقائه. لقد بدأ موسم الهجرة الى منطقة التناسل المعهودة. ففي ذلك الوقت من كل عام، تقود الغريزة تلك الطيور الى منخفض جليدي بالقرب من الشاطىء القاري.

لقد قام بهذه الرحلة ست مرات خلال اعوامه الثمانية. وفي احدى السنوات كان موضع التوالد يبعد كيلومترا ونصف كيلومتر عن المياه المفتوحة. وفي سنة اخرى مشى مسافة اربعين كيلومترا على الجليد ليبلغ تلك البقعة. وهذه السنة تكسر الجليد في اوائل فبراير (شباط)، ثم تجمد من جديد في هيئة كتل ضخمة مشرئبة شكلت سلسلة من الحواجز. ووقف عند كتلة جليد ضخمة، فتعثرت الطيور وراءه احدها بالاخر، وتدافعت زاعقة بغضب الى ان توقفت كلها عن الحركة.

الزوج المخلص – واثر تأخير لمدة نصف يوم، تسلق الامبراطور الكبير آخر حاجز متعرج واسرع متزحلقا على بطنه عبر الجليد المنبسط، دافعا نفسه الى الامام بضربات من ساقيه القويتين. وخلال ساعة واحدة، بلغ موضع التوالد. وهناك نادى مرارا وتكرارا، مصدرا صرخات مدوية كصوت النفير استدعاء لشريكته في السنة الماضية. وهو سيعرفها عن طريق غنائها. وكانت بضع اناث تغني امامه كل يوم، ويقاتل بعضها بعضا من اجل انتباهه. لكنه تجاهلهن جميعا وظل ينتظر ويتمشى بين جوقة البطاريق المغنية الودودة. وهبطت درجة الحرارة منذرة بان الشمس لن تعلو كثيرا فوق الافق الشمالي، وان النهار الشاحب سيدوم سبع ساعات ويمتد الليل ١٧ ساعة. واخذت رقعة التجمد في البحر تتسع الى ان اصبحت المياه المفتوحة على بعد ٦٥ كيلومترا الى الشمال.

وفي امسية اشتدت ريحها، عثر الامبراطور الكبير على انثى وحيدة واقفة في ملاذ كتلة من الجليد. فغنى، ثم غنت هي. وانحنى ونفخ رقبته، وغنى مرة اخرى. ووقف هو وشريكته القديمة متلاصقي الصدرين. وتناهى الى سمعهما هدير جبل جليدي متداع.

في تلك الليلة انحدرت الحرارة الى اربعين درجة تحت الصفر. وارتصت البطاريق في كتلة طويلة بيضوية، وكان الامبراطور الكبير وشريكته بينها. وظلت الريح تعصف طوال الليل، لكن الطيور كانت دافئة بعضها مع بعض.

استمرت صحبة البطاريق وتزاوجها خلال ابريل (نيسان) ومطلع مايو (ايار) عبر اسوأ عواصف بداية الشتاء. وران الصمت على المستوطنة وازداد النهار قصرا. وبحلول منتصف مايو (ايار) ظهرت حافة الشمس الملتهبة فوق الافق لدقائق معدودة، وطالت الليالي ٢٣ ساعة. وفي احد الايام قبيل الفجر، وضعت الانثى بيضتها. وانضم الامبراطور الكبير اليها في غناء ثنائي مليء بالفرح، فيما راحت ازواج اخرى تغني حولهما احتفالا بالبيض الموضوع حديثا.

غير ان النصر الذي حققه ظهور البيضة كان نهاية موقتة لعلاقة الامبراطور الكبير وشريكته. فبعد وضع البيضة بوقت قصير، انحنت

وكشفتها له بسحبها جلد حضانتها الفضفاض. وغنى الامبراطور ثم انحنى لامسا البيضة بمنقاره. وخطت شريكته الى الوراء فيما ظلت البيضة مكشوفة على الجليد.

وتحرك الامبراطور وجر البيضة بمنقاره الى الوراء بحيث استقرت على قدمه المسطحة المكففة. وثنى مخالبه القوية تحت قدميه فارتفعت البيضة عن الجليد، ثم اغلق كيس حضانته. وغنت الانثى وانحنت، واتجهت بعيدا حيث انضمت الى اناث اخريات متجهات شمالا نحو المياه المفتوحة.

وخلال الشهر التالي قاسى الامبراطور الكبير، الذي كان يحرس البيضة، اسوأ احوال الشتاء القطبي. وفقد بعض ذكور البطاريق القدرة على الصمود، حتى اذا عصفت به رياح الشتاء اماتته ودحرجته على الجليد. وهجرت ذكور اخرى بيضها وسط الظلام المهيمن، واتجهت شمالا نحو المحيط. وكثيرا ما صادر البيض المهمل ذكور عازبون.

تحت بطن ابيه – ثم كان في احد الايام ان ظهرت الشمس قليلا فوق الجليد، لامست الافق الشمالي برهة قصيرة والقت بعضا من دفئها الخافت على منطقة التناسل. عندئذ بدأت الفراخ تخرج من البيض وتصرخ جوعا، ولكن من دون جدوى. فالاناث التي تحمل الطعام كانت لما تزل تكافح في ذلك الاتجاه عبر اكثر من ١١٠ كيلومترات من الجليد.

وفي منتصف يوليو (تموز) احس الامبراطور الكبير بحركة في بيضته. فانحنى وفتح كيس حضانته، وكشف عن بيضة مشروخة اخذت تهتز بعنف. واغلق الكيس، واحتكت البيضة بالجلد العاري في الداخل. وعند فجر اليوم التالي كسرت البيضة، وصرخ المخلوق الصغير وقفز من تحت بطن الامبراطور. وانحنى الامبراطور وغذى الفرخ بمقدار ضئيل من افراز حليبي كان آخر مدخراته خلال اشهر الصيد السابقة. وكان بقاء الفرخ على قيد الحياة يعتمد على الدفء وكمية الطعام القليلة من ابيه وبقية مح في معدته هو. وسوى الامبراطور ريش الفرخ ودفعه الى كيس حضانته. وما عليه الان الا ان ينتظر ويجوع نفسه الى ان تأتيه شريكته بالغوث.

وبدأت الاناث تظهر في نهاية عاصفة ثلجية بعد اسبوع. ومشت سمينة انيقة الى الامام بينما عمت قوقأة هادرة انحاء موضع التكاثر. ودفعت البطاريق نفسها في مزالق منحدرة عبر الثلوج. وسمع الامبراطور الكبير، الذي كان يحتضن فرخه منذ ٦٥ يوما والذي فقد اكثر من ١٨ كيلوغراما من وزنه، اغنية مألوفة آخر الامر. ورد على الغناء واجابت شريكته.

لكنه لم يستطع التخلي عن الفرخ بسهولة، حتى لشريكته. وفي اليوم الثاني هاجمته بضربات قوية من منقارها. وصرخ الفرخ، وسقط من كيس الحضانة متدحرجا على الجليد. فتسابق الاثنان عليه، ثم حاول ذكر اعزب سرقته. ولما انتهت حالة الاضطراب اخذت الانثى الفرخ في كيسها. وغذته بسمك حبار نصف ممضوغ. وتردد الامبراطور لمدة ٢٤ ساعة، ثم غادر الموضع متجها الى البحر.

■ فرانكلين رصل



علاج مثير
يشفي الوهن العضلي

يتسم مرض "ماياستينيا غرافيس" بالوهن التدريجي للعضلات الارادية الذي يؤدي بالمريض في النهاية الى حال العجز عن التنفس بانتظام، بل انه قد يصبح عرضة للموت بداء ذات الرئة على رغم الاستعانة بجهاز تنفس اصطناعي. ففي حال الاصحاء هناك مادة تدعى "اسيتيل كولين" وظيفتها تحفيز اجهزة الاستقبال في خلايا العضلات مما يؤدي الى تقلص الاخيرة. ويبدو ان ضحايا هذا المرض يفتقدون العدد الكافي من اجهزة الاستقبال هذه مما يعوقها عن الاستجابة المناسبة لتأثير المادة الكيميائية. وربما كان سبب ذلك ان النظام المسؤول عن توفير المناعة في الجسم انتج كميات غير عادية من الاجسام التي تهاجم اجهزة الاستقبال. ولما كانت اشكال العلاج المتبعة، بما فيها العقاقير، تعجز احيانا عن انقاذ المريض فقد قرر الدكتور بيتر داو الذي يعمل في مستشفى سان فرنسيسكو للاطفال تجربة "البلاسما فيريسيس" وهو الاسلوب التقليدي المتبع في بنوك الدم لتصفية مصل الدم، وكانت النتائج مثيرة.

يضع داو انبوبة تفريغ في وريد ذراع المريض فيتدفق الدم نحو جهاز نابذ يعزل خلايا الدم عن المصل (البلاسما) الذي يحتوي على الاجسام المضادة غير المرغوب فيها، ومن ثم تمزج خلايا الدم ببلاسما بديلة ليعاد ضخها الى جسم المريض. ويحتاج معظم المرضى الى قرابة عشر جلسات معالجة تستغرق كل منها بين ثلاث وخمس ساعات.

وقد طرأ تحسن كبير على حال معظم المرضى الخمسة والعشرين الذين عالجهم داو، وكان اثنا عشر منهم يستعينون بجهاز تنفس اصطناعي ولا تظهر اي دلائل على وجود المرض الآن بين ثلاثة ممن كانوا في حال أشد خطرا من حال الآخرين، وهم استعادوا الآن انشطتهم العادية. كما ان احد عشر مريضا من بين اثني عشر كانوا يعتمدون على جهاز تنفس اصطناعي يستطيعون التنفس من دونه. ويقول الدكتور آلان بيسترونك من جامعة جونز هوبكنز، وهو اختصاصي آخر يتبع هذه الطريقة التجريبية، ان تحسنا يطرأ على صحة معظم المرضى بعد اسبوع او اسبوعين فقط، كما ان كثيرين سيستغنون عن جهاز التنفس الاصطناعي قبل ان يستغني عنه المرضى الذين يعالجون بواسطة العقاقير باشهر.

م. كلارك ("نيوزويك")

بدأ الامر كحلم مستحيل، ومع هذا فقد ظلت الفتاة الصغيرة تتوق الى تحقيقه

الحلم الذي تحقق

لكل انسان حلم يساوره في حداثة سنه ويتوق الى تحقيقه، كأنما هذا الحلم ضرب من الولاء للمستقبل المنشود ونوع من الايمان بامكانات الحياة وينبغي لهذا الحلم ان يكون حلما ذا شأن، حلما تخاله مستحيل التحقيق، كأن تصبح مثلاً نجما متألقا في معهدك الدراسي او ان تستأثر بمفردك على "كعكة" عيد ميلادك لتأكلها برمتها. اما انا فقد كان حلمي ان امتطي فيلا ذات يوم.

وقد حدث ابان الازمة الاقتصادية الشهيرة في مستهل الثلاثينات أن قدمت الى مدينتنا الصغيرة بعض مجموعات "السيرك" في شتى المناسبات من دون ان تكون مصحوبة بفيل في معظم الاحيان. وكانت ضواحي المدينة خالية من حديقة للحيوانات. فكان، والحال هذه، مجرد رؤية الفيل فرصة نادرة، واما ركوبه فكان امرا مستحيلا، لا يتصوره العقل.

ولكنني كنت شغوفة بالافيال، فكانت تبدو لي انها اضخم المخلوقات والطفها. وكانت في نظري بمثابة رسالة من الطبيعة تؤكد ان افضل الاشياء لا تأتي دوما بحجم صغير. ولكم كان يعوزني الايمان

بهذه الرسالة، انا التي كان ينطبق عليّ كل شيء ما عدا قصر القامة. واصبحت رغبتي في اعتلاء ظهر الفيل فكرة اخاذة ساحرة، لاعتقادي بأنني سوف ارى جمال العالم يشرق من فوق هذا المجثم الشامخ، فازهو جمالا بدوري ولا ريب.

لقد كانت لدي حاجة وانا في التاسعة من عمري الى الايمان بشيء، كركوب الفيل. فلم يمض زمن طويل على وفاة امي، وكان ابي قد انتقل الى مدينة اخرى سعيا وراء الرزق، فاقمت مع جدتي وكنت احبها وتحسن هي معاملتي، ولكن العالم كان يبدو غريبا في نظري. وكثيرا ما يحملني بصري الى قافلة الفيلة العاجية الصغرى على رف المستوقد في غرفة الجلوس، فابدأ افكر في فيلة حقيقية، ولو انني اعلم انها بعيدة ابداً عن متناولي.

وكانت هذه الفكرة تراودني في تلك الامسية الخريفية، حين رأيت ملصقات السيرك وانا في طريق عودتي من المدرسة الى البيت. وكنا دوما نذهب الى السيرك انا وامي وابي، عندما يأتي الى المدينة. اما ذاك العام فلم اكن واثقة من الامر. لم يدر في تصوري ان في استطاعة جدتي ان تجلس الى جانبي تحت الخيمة الضخمة التي ابلتها الاسفار. فوقفت في ضوء العصر انظر الى وجوه المهرجين المطلية بالاحمر والازرق، والى فتيات السيرك بثياب راقصات الباليه القصيرة، والى الفيل رافعا خرطومه.

الخيمة السحرية – كان من المتوقع حسبما كان مقرراً في سياق البرنامج ان يقدم السيرك حفلتين يوم السبت. وفي ذلك اليوم، جلست في الارجوحة المتدلية من شجرة الجوز ورحت اقرأ كتابا واحاول عدم التفكير في نشارة الخشب المنثورة على ارضية الحلبة، او في الفيل، او في زمن تولى حيث كان ابي وامي يصحبانني معهما الى الخيمة السحرية.

وفي الساعة الخامسة وقفت سيارة والدي عند باب البيت، فقال وانا اركض لاستقباله: "مرحى يا حبيبتي! سمعت ان في المدينة سيركا وتصورت ان في امكاني اقناعك بحضور حفلته".

وكان قد استأذن للتغيب بعد ظهر ذاك اليوم من عمله، وقطع مسافة ١٠٠ كيلومتر في السيارة ليزورني، ولكني كنت اجهل هذا حينذاك.

لم تكن الخيمة التي أقامها السيرك في جوار المدينة ملأى الا بنصف مقاعدها. وقد تجمع المتفرجون، بسبب الريح الملحاح الباردة، في الوسط على المقاعد المدرجة العارية وايديهم في جيوبهم، لكن احدا منا لم يبال بالامر. وقد تضمن البرنامج العاب المهرجين، ثم فارسا على جواد بغير صهوة، وتليه ارجوحة البهلوان.

وكانت هناك مجموعات من الكلاب والخيول، ومشعوذ يتلاعب بكرات زاهية الالوان. فها نحن نعيش، لبرهة وجيزة، في ليلة قاتمة، وفي مدينة مظلمة، وفي زمن عبوس – اعجوبة الانسان البارع الطليق الحركات، اللولبي الخاطف السرعة، المتألق في أوج المهارة. ولقد كان المهرّج موضع ثقتنا وتقديرنا وابهاجنا والترويح عن انفسنا. ولم

تلبث الفيلة ان برزت وسط الحلبة.
وكانت الفيلة متقدمة في السن، مهرها الزمن بمجموعة ضخمة من الاخاديد والتجاعيد التي وسمتها بحلة الجمال والرهبة في آن، فتقدمت وتوقفت ثم تراجعت تتقبل التصفيق والاطراء منا كأنه دين مستحق لها او مظهر ألفته من مظاهر الحياة.
وتمنيت في اعماق نفسي لو يتسنى لي ركوبها. وهمست: "حبذا لو تحقق لي ذلك ذات يوم".
فسألني والدي: "ماذا تقولين؟" فاجبته: "لا شيء. فما اكبرها وما اجملها".

اركبوا سوزي ـ ثم اعلن مدير الحلبة: "اقدم اليكم الان سوزي، وهي تحب الناس". وتوقف برهة مثقلة بالاحتمالات. ثم قال: "نحن نعلم ان هناك بين الحضور اناسا كم تمنوا في حياتهم ان يمتطوا الفيل..."

فحبست انفاسي.
ثم اردف الصوت: "اذا كان ثمة صبي يشاء ركوب الفيل، فليتقدم الى هنا". فتدافع اربعة صبيان على المدرج بسرعة صاخبة، وشد المروض اذن الفيلة فركعت فيما اخذ مدير الحلبة يساعدهم على اعتلاء ظهرها.
واحسست بالدمع في عيني، غير انني صررت اسناني. وقلت في قرارة نفسي ان الفرصة مقصورة بالطبع على الصبيان، فانهم يتاح لهم دائما ان يفعلوا كل شيء. ودارت بهم سوزي حول الحلبة وهم يتطايرون ضحكا متشبثين بها. وتتبعت المشهد، يمتلكني الاذعان بان "ما كل ما يتمنى المرء يدركه".

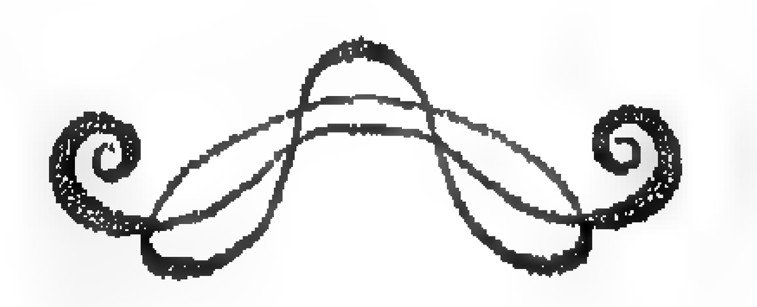
ثم انطلق صوت مدير الحلبة مرة ثانية، لكنني لم استمع اليه.
فقال والدي: "لقد اتت الان فرصتك!"
ـ ماذا؟
"انه يدعو الفتيات اللواتي يشأن ركوب الفيلة. وهذا يعنيك ولا شك. اليس كذلك؟"
فحملقت في ابي ثم في سوزي، وشعرت بانني لا اقوى على الركوب، فذلك مستحيل!
فألح والدي: هيا! قبل ان يفوت الاوان.
فأجبت: "لا استطيع". والحق انه كان يتعذر علي النهوض ثم نزول الدرجات والتربع الظافر على ظهر سوزي. وكدت ان ابقى قابعة في مكاني فتفوتني لحظة القرار، وتعقبها لحظة الندم الذي لا مرد له بأنه كان في امكاني يوما ان اعتلي ظهر الفيلة ولم افعل. وهكذا كان دأبي. بيد ان والدي عاد الى الالحاح: "انهضي يا حبيبتي، وسيراك مدير الحلبة". ثم دفعني برفق من قدمي.
فقال مدير الحلبة: "تعالي! كنت اعلم ان هناك فتاة واحدة على الاقل ترغب في ركوب الفيلة".
نزلت الدرجات مخدرة القدمين وتخطيت حافة الحلبة، فلحقت بي ثلاث بنات اخريات. ووقفت وسط الحلبة استشم رائحة نشارة الخشب ورائحة سوزي، خائفة، لا من الفيلة او المشاهدين او الركبة المنتظرة، بل من جسامة تحقيق حلمي.
علونا ظهر سوزي، فكان خشناً يخز ساقي العاريتين. تمسكت بالرحل امامي، وكانت فتاة ورائي

تطوق خصري بذراعيها. ثم نهضت سوزي فاذا بي هاهنا، عالية فوق العالم على ظهر الفيلة.

وكانت هذه المرة الاخيرة التي اصطحبني والدي الى السيرك، وبات الان في مكنتي ان اعيش من غير سيرك، بعدان تم لي ان امتطي فيلا.

ومن بعد، فلم تبرح تلك اللحظة خاطري كلما واجهتني صعوبة: اضواء السيرك الباهرة والشتاء القارس تحت الخيمة والتفكير المرير في كل من عجزي ومن فوات الفرصة علي. ولا يلبث ان يعاودني صوت أبي، ودفعته الرقيقة، ونداء مدير الحلبة: "كنت اعلم ان هناك فتاة واحدة على الاقل ترغب في ركوب الفيلة". وعندما برزت مشكلة الزواج من دون الاعتماد على عمل، ومشكلة المغامرة بمستقبل طويل، لم تغب عن بالي صورة الفتاة التي كانت تشاء ركوب الفيل، فتحقق لها ذلك وادركت انها تستطيع.

■ بابس هـ. ديل



استعدادا للعشاء الرسمي

يدهش الرئيس جيمي كارتر وزوجته بتواضعهما الجم في السلوك واسلوب الحياة. فخلال عشاء في البيت الابيض لاعضاء المحكمة العليا وزوجاتهم نهض الرئيس وزوجته عن المائدة بعد الثامنة والنصف، وقد عجب الضيوف لرؤيتهم المضيفين يغادران المائدة مبكرين، الا ان الرئيس كارتر بادر ضيوفه وهو يودعهم قائلا: "ربما ستهتمون لما نحن ذاهبان لعمله. ان رئيس المكسيك سيكون بعد ايام ضيفنا على عشاء رسمي وبما انني وروزالين لم يسبق ان كنا في عشاء رسمي لذلك فنحن ذاهبان لمشاهدة اشرطة عن مناسبات مماثلة استعدادا لهذه الحفلة.

("شيكاغو تريبيون")

وحي السجن

كان المبعوثون الرسميون من بريطانيا العظمى وامريكا في طريقهم الى كوستاريكا عام ١٨٥٣، حين اكتشف رجال الجيش الذين قاموا بالثورة العسكرية آنذاك ان كوستاريكا ليس لها نشيد وطني. فاستدعى رئيس الجمهورية اشهر موسيقي في البلاد في ذلك الحين، واسمه مانويل ماريا غونييريز، واطرى مواهبه الفذة واخبره ان الاختيار وقع عليه لوضع نشيد للبلاد في مدة خمسة ايام. ولما رد الموسيقي طلب الرئيس بدعوى انه يؤلف الموسيقى سماعيا من دون كتابة، بلغ غيظ الرئيس حدا حداه على القاء غونييريز في السجن.

وبعد اربعة ايام قضاها في السجن، نجح الموسيقي في وضع لحن عسكري مفعم بالحماسة ليعزف في حضور المبعوثين. وهو لا يزال نشيد كوستاريكا الرسمي حتى اليوم.

("الاحسن والاسوأ والاغرب")



منقذة أطفال العالم

ان الامم المتحدة، باعلانها السنة الحالية ١٩٧٩ سنة عالمية للطفل، انما تحيي تلك المرأة الانكليزية الفذة اغلانتين جيب التي كانت اول من صاغ وثيقة حول حقوق الاطفال.

اثارت المرأة ذات الجمال الاخاذ، التي كانت تحاكم في محكمة "مانشن هاوس" في لندن بتهمة تعريض الامن القومي للخطر، دهشة اصدقائها. ففي اليوم الخامس عشر من شهر مايو (أيار) عام ١٩١٩، شاهدوا اغلانتين جيب وهي تخطو نحو المدعي العام المتجهم الوجه لتبدأ معه حديثا جديا. كانت اغلانتين جيب نحيفة طويلة في الثانية والاربعين من عمرها، تتوج مقدم رأسها خصلة من الشعر الذهبي الاحمر.

كانت المحكمة قد استمعت الى المدعي العام وهو يدرج المخالفات التي ادت عقب الحرب العالمية الاولى الى استدعاء اغلانتين للمثول امام المحكمة. فهي نشرت ووزعت، من دون اذن مراقب المطبوعات، بيانا يدويا يظهر صورة طفل نمسوي هزيل

كان واحدا من بين اكثر من اربعة ملايين طفل يعانون الجوع في اوروبا نتيجة الحصار الذي كان الحلفاء يواصلون فرضه على الدول المهزومة.

واكتشفت اغلانتين، بما اتسمت به من النشاط والذكاء، آثار الحصار بمتابعة انباء الصليب الاحمر والصحف الاوروبية. ووجدت لروعها ان الامهات المنتحبات في فيينا كن يقتلن اطفالهن الذين لم يكن في مقدورهن اطعامهم. ونظرا الى شفقتها الشديدة، صممت على تحقيق المستحيل، الا وهو انقاذ الاطفال. وهكذا بدأت بالجنيهات العشرة التي كانت لديها صندوق اغاثة للطوارئ بالاشتراك مع شقيقتها الاصغر منها دوروثي، ونشرت البيان اليدوي الذي ادى الى محاكمتها.

وعندما كانت في المحكمة اخذ اصدقاؤها يتساءلون عما يمكن ان تكون وجدته لتقوله لذلك الرجل الذي قدم الدعوى ضدها بقسوة وبلا شفقة. وتحولت اغلانتين نحوهم وقالت مبتهجة: "يقول انه سيتبرع لصندوقي لانقاذ الاطفال، ولكن بعد انتهاء المحاكمة!"

العقيدة والحياة ــ وانتهت المحاكمة بادانة اغلانتين وحملها على دفع خمسة جنيهات غرامة، وبذيوع شهرتها. فبعد اربعة ايام من انتهاء المحاكمة، عقد اول اجتماع عام لصندوق انقاذ الاطفال في قاعة "البرت هول" الضخمة في لندن التي ضاقت، على سعتها، عن استيعاب الناس مما أدى الى استدعاء الشرطة لتفريق الجمهور. واعتلت دوروثي المنبر تحمل علبة من الحليب المكثف، ورفعتها للحضور وقالت وسط تصفيقهم الحاد: "ان علبة الحليب هذه فيها من الفضيلة العملية اكثر مما في جميع العقائد!".

ولكن حتى اصدقاء اغلانتين كانوا يعتقدون ان صندوق انقاذ الاطفال مصيره الاخفاق. وحذروها بقولهم: "ستكونين محظوظة اذا جمعت مئة جنيه". لكنهم اغفلوا حماستها الشديدة وقدرتها البالغة على الاقناع. ولم تكد تمضي تسعة ايام على اجتماع البرت هول حتى كانت الدفعة الاولى من الاعانة في طريقها الى فيينا. واخيرا وصل الحليب الى الرضع الجياع.

وعلى رغم ان اغلانتين كانت تكره التحدث في الاجتماعات العامة، الا انها سافرت في مختلف انحاء بريطانيا تناشد الناس ببلاغة وقوة حجة على جمع الاموال. وتفاوتت التبرعات من عشرة آلاف جنيه قدمها اتحاد عمال المناجم الى ما يعادل ثمن جنيه تبرع به صبي في التاسعة من عمره، كتب يقول: "لقد تمكنت من اقتطاع شلنين ونصف شلن من صندوق نقودي، واملي ان تتمكني الان من انقاذ جميع الاطفال الجياع". وخلال سنتين، تمكنت اغلانتين، مع دوروثي وبعض المساعدين، من جمع ما يقارب المليون جنيه.

ونفذ نداؤهم كالسهم الى اقصى ارجاء العالم. وعندما وصلت انباء الصندوق الى سكان جزيرة "بيتكيرن"، وهم من نسل البحارة الذين تمردوا على سفينة "باونتي" الملكية البريطانية، هبوا الى تعبئة

خمسة براميل وصندوقين بالملابس، ثم اشاروا الى احدى السفن العابرة ان تتوقف وتحملها على متنها. وسلمت الملابس الى مقر الصندوق الرئيسي في لندن، وهو المقر الذي كانت اغلانتين، بحلول العام ١٩٢١، ترسل منه فرق عمال الاغاثة الى روسيا لتأمين ١٥٧ مليون وجبة طعام لضحايا المجاعة نتيجة اخفاق الموسم الزراعي في حوض نهر الفولغا.

لا أعداء تحت السابعة ـ وفي الفترة المريرة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى، كثيرا ما كانت اغلانتين وزملاؤها من العاملين معها يوصفون بانهم غير وطنيين ومحبون للالمان وبلشفيون. لكن احد مؤيديها الاوائل، وهو الروائي الشهير جورج برنارد شو، رد على ذلك ردا مفحما. فعندما انتقد لانه يساند صندوقا يهدف الى افادة "العدو"، علق قائلا: "لا اعداء لي تحت السن السابعة!"

واصبح صندوق انقاذ الاطفال في بريطانيا اليوم اكبر مؤسسة خيرية دولية للاطفال. وهو ينفق ستة ملايين جنيه كل سنة على مساعدة الاطفال في اكثر من خمسين بلدا. ويدير عماله الميدانيون عيادات للامهات والاطفال في مناطق مثل افغانستان وبنغلادس. وفي افريقيا الجنوبية وحدها يتولون اطعام قرابة ٢٥٠ ألف طفل يوميا. اما في بريطانيا فالصندوق يشرف على ما يزيد على ١٥٠ مشروعا بما فيها الدراسات التي تجري على التخريب المتعمد للممتلكات، وتعليم الغجر (البدو الرحل)، وجمعيات الحضانة المحلية، واندية الشباب في ايرلندا الشمالية.

وقد حافظ الصندوق منذ تأسيسه على مبدأ تقديم المساعدة المحايدة الى كلا الطرفين في أي نزاع، سواء أكان ذلك في ايرلندا الشمالية او بيافرا (نيجيريا) او فيتنام (شمالها وجنوبها) او لبنان. ذلك لان الحرب، كما كتبت اغلانتين، "سواء اكانت عادلة او غير عادلة، هي حرب ضد الطفل".

ان اغلانتين جيب مصلحة اجتماعية، غالبا ما تقارن بفلورانس نايتنغيل واليزابيث فراي. ويقول عنها الدكتور كورت فالدهايم، الامين العام للامم المتحدة: "لقد كان لها اثر عميق على قيم جيل كامل وآرائه". اجل فالعالم كله بالنسبة اليها كان ابرشية واحدة، يتحمل كل من يقيم فيها مسؤولية صحة الاطفال وسعادتهم، من كل بلد او عقيدة او لون.

ان اهتمام اغلانتين الشديد الملتهب حماسة كان جزءا من حركة عالمية النطاق. فقد انشأت دول اخرى، وفي طليعتها سويسرا واسوج وفرنسا، صناديق اغاثة للاطفال خاصة بها. وسعيا الى توحيد جميع هذه المؤسسات، بادرت اغلانتين عام ١٩٢٠ الى تأسيس الاتحاد الدولي لانقاذ الاطفال الذي اتخذ مقره الرئيسي في مدينة جنيف. واعيدت تسميته بحيث اصبح يوم "الاتحاد الدولي للعناية بالطفل". وهو ينسق جهود ١٧٠ منظمة من منظمات انعاش الطفل في ٧٤ بلدا، كما يشن حملات طارئة لمساعدة ملايين الاطفال في الكوارث والازمات المختلفة، كالقحط في اثيوبيا والحرب في لبنان.

حقوق الطفل ـ وسرعان ما تحققت اغلانتين من ان هذه الحركة العالمية الجديدة تحتاج الى نوع من العقيدة التي توحدها. وفي احد ايام الآحاد من صيف ١٩٢٢، بينما كانت على قمة جبل ساليف المطل على بحيرة جنيف، وضعت مسودة اعلان حقوق الطفل. وجاءت المسودة كأنها نسخة مصغرة من "الماغنا كارتا" (الوثيقة الانكليزية المتعلقة بالحريات والتي تعود الى العام ١٢١٥). ولخصت وثيقة اغلانتين الواجبات التي تقع على عاتق الدول في رعاية النمو الجسدي والخلقي والروحي لاطفالها. وانتهت الوثيقة برأي عاطفي يمثل ما اختصت به اغلانتين: "يجب ان ننشىء الطفل على وعي ان مواهبه ينبغي تكريسها لخدمة اخوته في الانسانية". وتبنت عصبة الامم "اعلان جنيف" عام ١٩٢٤، كما تضمنه الاعلان الخاص بالامم المتحدة عام ١٩٥٩، مما خلد اسم اغلانتين في التاريخ الاجتماعي الدولي.

ربما كانت طفولة اغلانتين الخاصة هي التي الهمتها بحلم نشر السعادة على الاطفال في كل مكان. فعندما ولدت في ٢٥ اغسطس (آب) عام ١٨٧٦، كانت الطفل الرابع من بين ستة اطفال لابويها. واسم "اغلانتين" غريب، لكنه تقليدي، ومعناه "الوردة البرية". وقضت السنوات الاولى من حياتها في لايث، وهي مزرعة العائلة بالقرب من اليسمير في مقاطعة شروبشير الانكليزية. وكان والدها على درجة من الوعي الاجتماعي تفوق كثيرا ما كان عليه معظم افراد طبقة مالكي الاراضي في تلك الفترة. وانشأت والدتها "رابطة الفنون والصناعات المنزلية" التي اتاحت اوجه نشاط خلاقة للناس العاملين. ونشأت اغلانتين وترعرعت في العائلة، في ظل افكار والدتها الانسانية التي انتشرت ونمت حتى اصبحت حركة وطنية.

درست اغلانتين التاريخ في كلية "ليدي مارغريت هول" في جامعة اوكسفورد. وتدربت لتصبح مدرسة في المدارس الابتدائية، وهي مهنة لم تكن تعد لائقة بسيدة من الطبقة الراقية في ذلك الوقت. واحبها تلاميذها نظرا الى حيويتها وخفة ظلها، وهي يضا احبتهم. غير ان كبر الصفوف والنظام الصارم والمنهاج القائم على التعلم الكئيب بالاستظهار من غير فهم، جعل من ايامها كمعلمة في مدرسة دينية في مقاطعة مارلبورو اياما غير سعيدة.

سنوات الالم والدأب ـ وادى التوتر الى انهيار في صحتها كان بمثابة مقدمة لسنوات طويلة من المعاناة من مرض التهاب الغدة الدرقية الذي جعلها في النهاية شبه مقعدة. واضطرت الى التخلي عن وظيفتها في المدرسة، وحولت مواهبها الخلاقة الى تعليم ولدي عمها، جيم واغلانتين جيب الصغرى. وقد ابدع كل منهما في حياته العملية في ما بعد، اذ اصبح جيم رئيسا لكلية بدفورد في جامعة لندن، بينما اصبحت اغلانتين جيب الصغرى رئيسة لمعهد فروبيل التعليمي في روهامبتون. وتقول اغلانتين الصغرى عنها: "انها حولت حياتنا واعطتنا احساسا عظيما


شعار السنة العالمية للطفل.

بالمسؤولية الاجتماعية".

عندما استقرت اغلانتين، وهي في العشرينات من عمرها، مع والدتها الارملة في كيمبريدج، كانت فتاة جميلة وذكية وشديدة الجاذبية. وقد رفضت عددا من طلاب يدها للزواج لانها كانت تحب احد الشباب العاملين في الجامعة حبا جما. لكن هذا خطب فتاة أخرى، فاصيبت اغلانتين بحزن قوي جعلها ترمي نفسها في ميدان العمل الاجتماعي التطوعي من اجل الفقراء في كيمبريدج.

وفي اوائل العام ١٩١٣، طلب اليها، عن طريق شقيقتها دوروثي وصهرها السياسي تشارلز باكستون، ان تسافر الى مجاهل البلاد المكدونية لادارة صندوق لاغاثة ضحايا حرب البلقان. ووصلت الى موناستير (وهي اليوم في يوغوسلافيا وتعرف باسم بيتولا) فوجدت ١١ الف لاجىء مسلم يعانون المجاعة. ووضعت تقريرا وصفت فيه الاطفال بانهم خائفون وجياع ومرضى ومهجورون، لان اباءهم وامهاتهم ماتوا او فقدوا. وكانوا ينتظرون، على نحو مثير للرثاء الاحسان اليهم بكسرة خبز. وظلت صورة اجسامهم المرتجفة ووجوههم الشاحبة تلازمها بقية ايام حياتها.

ولدى رجوعها الى انكلترا، قضت اغلانتين اسابيع تلقي المحاضرات من اجل جمع المزيد من المعونة، ثم عادت الى كيمبريدج. ومع اقتراب الحرب العالمية الاولى من نهايتها، اكتشفت هي ودوروثي المعاناة البشعة التي سببها حصار الحلفاء، ومن هنا انبثق الوحي بتأسيس صندوق انقاذ الاطفال.

شخصية آسرة - كانت اغلانتين عاطفية وجسورة وذكية. ووظفت جميع قواها المدهشة في الاقناع الشخصي في خدمة منظمتها الجديدة. وسرعان ما تبين لعدد كبير من الرجال والنساء المنهمكين في اعمالهم ان اتجاه حياتهم تغير كليا بعد اجتماع وجيز معها. ففي زيارة واحدة قصيرة الى عيادة الدكتور هكتور مونرو في شارع سيمور، اقنعته بان يتخلى عن عيادته الراقية في لندن وان يسافر في الحال لكي يعمل مديرا طبيا للصندوق في فيينا. وهو كتب حول ذلك: "عندما تكلمت، بدا لي ان كل شيء آخر يفقد اهميته. ووافقت على فعل اي امر تريده مني".

وبالاضافة الى قدرتها على الهام الآخرين، تميزت اغلانتين بعقل بارع في التحليل وجرأة تليق بملوك المال. وكالعديد من المقاولين والملتزمين، كانت تعي اهمية الاعلان البالغة. ولهذا استثمر الصندوق مبالغ ضخمة واستخدم اساليب حيوية وجذابة بعدما كانت اساليبه تقتصر على الدعاية للعقاقير الطبية. ونشر الصندوق اعلانات كبيرة مثيرة في الصحف الوطنية. واحتل مكانة في

التاريخ الاعلاني اذ كان المؤسسة الخيرية الاولى في التاريخ التي تنشر اعلانا على صفحة كاملة من صحيفة التايمس اللندنية.

وسرعان ما اخذت الرسائل تنهال على مكتب اغلانتين المتداعي القائم في احدى البنايات التي لم تكن تصلح للاستعمال، في الميدان الذهبي في حي سوهو. وقد بلغ عدد هذه الرسائل في احد الايام ١٧ الف رسالة. وكانت فرق المتطوعين الذين جرى توظيفهم بسرعة تتولى فرز الرسائل وترتيبها في صناديق الاحذية. وكانت اغلانتين مصممة، الى اقصى حد، على عدم تبديد اي فلس. ويذكر زملاؤها كيف كانت تلتقط الدبابيس من الواح الارضية العارية ثم تضعها بعناية على اقرب مكتب بال استحضر من مخلفات الجيش. وكان اعضاء اللجنة يجتمعون حول طاولتين من طاولات غرف الثكنات التي يمكن طيها. وقد بقيت هاتان الطاولتان تستخدمان حتى العام ١٩٧٤ حين اصبحتا قطعا غير صالحة للاستعمال. ولا تزال روح اغلانتين في الاقتصاد تلازم صندوق انقاذ الاطفال حتى الان. ويفخر الصندوق اليوم بان نسبة مصروفاته ونفقاته الاساسية العامة ضيئلة جدا.

وعندما اصبح صندوق انقاذ الاطفال منظمة راسخة ومستمرة وعالمية النطاق، اتضح له ان ارسال المعونة في الاحوال الطارئة لم يعد كافيا، وانه لا بد من برامج طويلة الامد كاقامة مراكز العناية بالرضع ومستشفيات الاطفال ومؤسسات الحضانة واندية الشباب. وقد وضع و.أ. ماكنزي، الذي كان امينا لصندوق الاتحاد الدولي لانقاذ الاطفال في جنيف عندئذ، برنامجا يقضي بان يكون التبرع ذا طابع شخصي اوثق، بحيث يتولى مشرف او ضامن مفرد تقديم المساهمات المنتظمة الى طفل واحد او عائلة واحدة، ويحافظ على اتصاله بها عن طريق الرسائل والصور. وادركت اغلانتين على الفور هذه الفكرة، فطبقتها عمليا. ومنذ ذلك الحين اصبحت فكرة الضمان او الرعاية (وهي فكرة نقلتها بضع جمعيات خيرية اخرى) شكلا يثلج الصدر من اشكال المعونة الدولية.

وخلال سنوات قليلة من تأسيس الصندوق، بدأت علائم السن تظهر بوضوح على اغلانتين، فتحول شعرها الذهبي الاحمر الى فضي اشيب. واصبحت، نتيجة لمرض الغدة الدرقية الذي كان يزداد سوءا، شاحبة اللون وكأنها شبح او طيف. كما ان مرض القلب ادى الى ارهاقها بسهولة. وبقيت اغلانتين من دون زواج، وعاشت حياتها الخاصة في تقشف، معتادة ارتداء زي بني كلباس راهبة، وحمل حقيبة على ظهرها انى توجهت.

اللهب الابيض - وعلى رغم ما كانت عليه من ضعف جسدي، الا ان روحها ظلت تخفق متوهجة كسابق عهدها، حتى ان العاملين معها خلعوا عليها كنية "اللهب الابيض". وعندما كان الصندوق يبني قرية للاجئين في بلغاريا، ذهبت اغلانتين لزيارتها وهي ترتدي زيها الشبيه بزي الراهبات، ووصلت فرحة على قطار بخاري يقوده عاهل بلغاريا آنذاك الملك لويس. وبلغ نجاح تلك القرية

حدا ادى الى بناء قريتين اخريين في البانيا، سميت احداهما "جيب".

وحين بلغت اغلانتين الخمسينات من عمرها، اخذت صحتها تتدهور بسرعة. وكثيرا ما كانت تواصل اسفارها من اجل الصندوق وتعاني الآلام المبرحة، بل انها استمرت في رحلاتها حتى عندما اقتضى الامر حملها على نقالة من القطار. وعلى رغم علمها بانها كانت تزهق روحها بالعمل فوق طاقتها، الا ان قلقها على بقاء الصندوق واستمراره اجبرها على مواصلة عملها. لكنها، قبل فترة قصيرة من وفاتها في السن الثانية والخمسين، كتبت الى شقيقتها دوروثي عن اقتناعها المتزايد بان كل شيء سيكون على خير ما يرام: "اني اضع ثقتي في الله في ما يتعلق بمستقبل صندوق انقاذ الاطفال، ولولا هذه الثقة لكانت المسألة برمتها تافهة وغير طبيعية".

لقد تمكنت اغلانتين، خلال تسع سنوات فقط، من ان تحول صندوق انقاذ الاطفال من صندوق موقت للطوارىء الى منظمة دائمة عظيمة لتقديم المساعدة والمعونة، فانقذت ملايين الاطفال من المرض والموت، وساعدت ملايين اخرى على الاتجاه نحو حياة مجدية سعيدة. وهي كانت على الدوام تؤمن بالمستحيل. وقد حققته فعلا. وكما كتب الفيكونت سيسيل اوف تشيلوود: "ان اغلانتين جيب تنتمي الى تلك الجماعة الصغيرة من الرجال والنساء الذين يمكن ان نسميهم بحق قديسين".

■ جانيت غراهام



فلسفة النعامة

كان طفلي ذو السنتين يشعر بمتعة بالغة وهو يدفع قطعة الخشب على الارض ويرافقها بصخب مصطنع يشبه دوران محرك. فعلقت محاولة ان أدخل جو لعبته: "يا للسيارة الجميلة". عندئذ توقف عن صخبه، ورمقني بنظرة شفقة ثم قال": "هذه ليست سيارة يا أمي. انها قطعة خشب".

ب.و.

من الصدق ما يضحك

تسلمت معلمة الاعتذار الآتي عن غياب احد تلاميذها: "ارجوك ان تغفري غياب بيلي هذا اليوم. فقد كان اطفالي الباقون مرضى. وحين فرغت من اعطائهم الدواء والعناية بهم كانت الساعة بلغت الحادية عشرة، وعند ذاك اكتشفت الطفل السليم الوحيد الذي كان عليه الذهاب الى المدرسة".

ر.ك.

كتاب الشهر

ملخص من كتاب
بقلم ريتشارد كولير


جسر عبر الشتاء

جسر عبر السماء



طائرات لبدت موقتًافي أرض مطار تمبلهولف في قلب برلين بسبب

"ملحمة جسر برلين الجوي" تعتبر احدى ابرز المآثر الانسانية لانقاذ مدينة محاصرة من الجوع والاحتلال٠

كانت برلين التي هزمت عام ١٩٤٥ جاثمة في انقاضها، اهلوها يرتدون الاسمال ويتضورون جوعا، وقد امسى الآن، في يونيو (حزيران) ١٩٤٨، مليونان ونصف مليون من سكانها بيادق في لعبة الصراع على القوة، عندما شرع الروس المحتلون في تنفيذ خطة استهدفت أمرين: تجويع الأهالي بغية اخضاعهم، وتضييق الخناق على الحلفاء بقصد اخراجهم من المدينة٠ لكن البريطانيين والفرنسيين والامريكيين عقدوا العزم على مواجهة الاجراء الروسي باطعام المدينة وتموينها جواً، وبدأوا ذلك فعلا على نطاق ضئيل ومحدود٠ على ان جهودهم الأولية سرعان ما تصاعدت وتضافرت حتى غدت مأثرة من اعظم المآثر الانسانية والسياسية اعجازا وتصميما٠٠

بقلم ريتشارد كولير



الثلوج، وهي تنتظر صدور الأوامر لاستئناف حركة التموين الجوية.

وقد تحدّث مؤلف الكتاب ريتشارد كولير الى مئات الاشخاص الذين خبروا تجارب المدينة المحاصرة، وبينهم جنرالات وطيارون وسكان مدنيون لا تزال اذهانهم تنبض بذكريات تلك الأيام البطولية التي كادت ان تكون أياماً مفجعة ومأسوية.

كانت عقارب الساعة في غرفة الاخبار في صحيفة دير تاغ الالمانية تشير الى الحادية عشرة ليلا، والاعدادات لاصدار النسخة الصباحية ليوم ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ توشك على الانتهاء، حين وقفت مارغو ديريغز تدقق في آخر تجارب لوحة الطباعة. وفي تلك اللحظة بالذات دبت الحياة من جديد في جهاز المبرقة الكاتبة (التليبرنتر).

وللتو هجر المراسلون مقاعدهم قبالة الآلات الكاتبة وأخذوا ينادون بعضهم بعضا ويتجمعون حول الجهاز. وانضمت اليهم مارغو، في حين راحت حروف المبرقة تطقطق الكلمات على الورق الابيض واحدة تلو الأخرى:

"برلين، ٢٣ يونيو (حزيران). قسم النقل التابع للادارة العسكرية السوفييتية مرغم على وقف حركة النقل والركاب من برلين واليها

اعتبارا من الساعة السادسة صباحا يوم غد نظرا الى وجود مصاعب فنية، حركة المرور المائي ستعلق أيضاً".

واستمرت المبرقة تطقطق مزيداً من التفاصيل. وما ان جاء صباح اليوم التالي حتى كانت الأنباء المروعة قد بلغت معظم المليونين ونصف المليون نسمة من سكان برلين الغربية الذين علموا ايضا ان شحنات الفحم من الغرب عبر المسالك المائية قد حظرت ومنع عليهم استيراد الحليب، وان جميع الودائع في دار المحاسبة (شتادكونتور) قد جمدت. وهكذا اصبحت برلين الغربية معزولة عن العالم الخارجي براً وماء وسكة حديد، وتوجب عليها الآن مواجهة احد امرين: إما الاعتراف بالحكم الروسي وإما الجوع.

لقد مضت ثلاث سنوات منذ أن أسرّ الجنرال لوسيوس كلاي، حاكم المانيا الامريكي وقائد القوات المسلحة الامريكية في اوروبا، لأحد المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية بتأكيده على ان "مفتاح التعامل مع السوفييت انما يتأتى عن طريق منحهم الثقة لكسب الثقة من جانبهم". بيد أن ذلك المسؤول في الخارجية تنبأ في حينه بان كلاي سيصبح، في مدى عام واحد، من أعنف المناوئين للروس. وهذا ما حصل فعلا.

وكانت قصته مع السوفييت، التي استعاد كلاي ذكرياتها عام ١٩٤٨، قصة مؤسفة حبكت فصولها النيات الخبيثة ونكث العهود، وشابتها باستمرار تأكيدات على استعراض العضلات السوفييتية لاختبار مدى تصميم الحلفاء على البقاء في برلين. وتعود جذور هذه الحكاية الى تلك النشوة المتفائلة التي لعبت بالرؤوس في مؤتمري طهران ويالطا قبل خمسة اعوام حين شجع الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت وهما خادعا ومهلكاً، وهو ان الولايات المتحدة، في تعاملها مع الروس الشيوعيين، انما تتعامل مع اصدقاء.

وفي ذلك الوقت اتخذ قرار تقسيم المانيا فور انتهاء الحرب الى أربع مناطق: فرنسية وبريطانية وامريكية وروسية، وكذلك تقسيم الحكم في برلين على نحو مماثل. واذا كان لذلك القرار اي حسنة لمصلحة الغرب، فهي ابعاد الروس عن منطقة الروهر، قلب الحركة الصناعية الالمانية. لكن القرار حوّل برلين، في الوقت ذاته، الى قنبلة موقوتة تنذر دقاتها ابدا بوشوك الانفجار. فقد غدت المدينة جزيرة ذات ادارة بلدية يتشارك السوفييت والعالم الغربي معا في حكمها، إلا انها جزيرة تقع في خضم النفوذ السوفييتي داخل المانيا.

ولم تكن برلين، حتى قبل الحرب، قادرة على الاكتفاء الذاتي. فكيف تكون حالها الآن وقد دعت الحاجة الى تزويدها بآلاف الاطنان من الحمولات اسبوعيا؟ وكان ذلك التزويد يجري عبر خط حديدي "دولي" منفرد يبدأ من مارينبورن على الحدود الغربية للمنطقة السوفييتية وينتهي في القطاع الغربي من برلين، مخترقاً مسافة ١٧٥ كيلومترا داخل المنطقة السوفييتية ذاتها. كما كانت كل مادة يستهلكها اي من سكان برلين الغربية، فضلا عن ٦٥٠٠ جندي من

قوات الحلفاء، يقسم استيرادها عبر طريق برّية هي بمثابة حبل الحياة الذي يمكن الروس ان يقطعوه.

ومن اجل اعطاء صورة اوضح عن الوضع، تجدر الاشارة الى ما وقع في شتاء ١٩٤٦ الذي يعد اقسى فصل شتاء عرفته المانيا منذ قرن خلا، اذ انخفضت الحراة الى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، فتجمدت انابيب الماء وارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال ارتفاعا مروعا وعثر على عشرات الاشخاص الذين ماتوا تجمدا حتى في احياء راقية مثل ضاحية غرونفالد. وقد دفع الجوع بذئاب الغابات حينذاك الى اقتحام "برلينر رينغ"، وهي شبكة الطرق الواقعة على اطراف برلين. وعمد بعض الاهالي الى انتهاك حرمة المقابر وسرقة ٢٠٠ صندوق كانت تضم رفات الضباط البروسيين، واستخدموها وقودا للتدفئة. وهكذا يتضح انه لو ابتليت البلاد بفصل شتاء مماثل في قسوته وشاء الروس ان يغلقوا الطريق في وجه شحنات الفحم، لتعذر على الحلفاء الصمود في مواقعهم.

اما الآن وقد أغلقت الطرق فعلا، فقد حق السؤال الآتي: هل سيبقى الحلفاء في برلين ام انهم سينسحبون تاركين الاهالي وشأنهم امام السيطرة السوفييتية؟ ولئن يكن الجنرال كلاي صرّح علنا بأنه "لن يتمكن الروس من طردنا الا غلبة في الحرب"، غير انه كان في الواقع متحيراً ومرتكبا. وقد علق احد مستشاريه على الوضع ناصحا: "اذا كانت يدك في النار، فلم لا تسحبها؟".

لكن كلاي فضل، بادىء الامر، الزحف بقافلة مسلحة قوامها ٢٠٠ سيارة شحن على الطريق الرئيسية الى وسط برلين، لأن السوفييت لن يستطيعوا ردعها الا باستخدام القوة، مما يعني المجازفة باندلاع الحرب، وهو أمر لا يريده الروس حسب اقتناع كلاي الشخصي. ووافقت رئاسة الاركان المشتركة، خلال الاجتماع الذي عقدته في واشنطن، على المشروع، شرط ان يؤمر الجنود الامريكيون الذين سيرافقون القافلة بعدم محاولة شق طريقهم عنوة بفتح النيران اذا ما تصدت لهم قوات الحصار الروسية بعناد. بيد ان كلاي رفض الانصياع لهذه الشروط.

عندئذ اقترح الحاكم العسكري البريطاني، السير بريان روبرتسون، خطة بديلة لتموين برلين بطريق الجو. والواقع انه صدر امر مسبق باقلاع الطائرات من انكلترا الى المانيا في اليوم التالي، فضلا عن ان كلاي نفسه كان قد جرب هذا البديل الباهظ التكاليف عندما تولى، خلال شهري ابريل (نيسيان) ومايو (أيار)، عملية امداد جوي محدودة النطاق الى افراد القوات الامريكية في برلين. على انه، وان كان يسلم بان هذا النوع من عمليات الامداد اقل عرضة للاخطار من غيره وانه يمكن استخدامه لسد حاجات العسكريين المرابطين في برلين، الا انه استبعد كليا امكان امداد المدينة بأسرها جوا، ولذلك رفض الاقتراح رفضا باتا، مؤكدا انه "يستحيل ذلك قطعا".

وانقضى النهار من دون ان تبرز خطة بديلة. وعاد الجنرال روبرتسون

يحث من جديد على تبني مقترحاته، فسايره كلاي بشرط ان يكون رأي رجل واحد آخر - هو ارنست رويتر - حاسما في الموضوع. والمعروف عن رويتر انه مناهض عنيد للشيوعية عمل مستشارا لخدمات المرور والمرافق العامة وانتخب رئيسا لبلدية برلين قبل عام، ولكن السوفييت نجحوا في الحيلولة دون تسلمه مهام منصبه.

واستدعي رويتر الى مقر كلاي، حيث بادره الجنرال الامريكي قائلا: "سأحاول اطعام المدينة جوا". ثم تواترت الاسئلة على رئيس البلدية المحظور: هل يستطيع البرلينيون الصمود على رغم ضآلة الامدادات التي يمكن نقلها جوا؟ وهل يستطيعون الثبوت ايضا طوال فصل الشتاء اذا اقتضت الضرورة؟

يا لها من لحظة تاريخية وقف فيها الجنرال الانيق المظهر، الحاد الملامح، المضنى من شدة الارهاق، امام هذا الرجل الساخر الاشيب في سترته المهلهلة المقلمة تقليما دقيقا، والمعروف بميوله الديموقراطية الاشتراكية، وكلاهما يبحث عن وسائل كفيلة بتحقيق المعجزة!

ورد رويتر بكلمات هادئة ومتزنة: "برلين تضحي بكل ما لزم"، ولكنه اردف: "من الخطأ التوهم ان كل شيء سيكون على خير ما يرام ما دام البرلينيون يتزودون بالطعام والثياب والوقود. بل ينبغي ايضا، بقدرة قادر، ان تستمر صناعات برلين الغربية على مواصلة انتاجها على نحو اعتيادي قدر المستطاع، "لأن الناس، اذا فقدوا اعمالهم،فقدوا كذلك ثقتهم بالنفس واستسلموا صاغرين للشيوعية".

وحين خرج رويتر من مكتب كلاي، التفت الى جنرال امريكي آخر قائلا: "ان تصميم كلاي رائع، ولكن لا أظن شخصيا ان تحقيقه ممكن". وهز الجنرال رأسه وقال: "ولا أنا أيضاً".

وفي تلك اللحظة بالذات رفع كلاي سماعة الهاتف للاتصال بفرانكفورت حيث كان مقر الجنرال كورتيس لوماي، قائد سلاح الجو الامريكي في اوروبا: "قل لي، يا كورتيس، هل لديكم طائرات لنقل الفحم؟".

وتردد لوماي هنيهة، ثم اعتذر بقوله: "لا بد من ان يكون الخط مشوشا ايها الجنرال، فقد توهمت انك تستفسر عن طائرات لنقل "الفحم"!".

- نعم، هذا ما قلته بالضبط: الفحم.

وسادت المكالمة فترة اخرى من الصمت قبل ان يتعهد لوماي بأن في امكان سلاح الجو ان ينقل اي شيء.

تلك كانت اللحظة التي ولد فيها "جسر برلين الجوي"، وهو المواجهة الاولى التي درج العالم في ما بعد على تسميتها بـ"الحرب الباردة".

"استمتعوا بالحرب"

تفاقم الوجود الروسي خلال السنوات الثلاث التي اعقبت الحرب العالمية الثانية حتى لاح كنذير يهدد بهبوب عاصفة رعد في سماء اوروبا. وأمست كل دولة "حررها" الجيش الاحمر في زحفه غربا - وهي بولونيا والمجر ورومانيا وبلغاريا والمانيا الشرقية - تابعة للسوفييت ترابط فيها القوات الروسية ويحكمها صنائع

الروس، حتى اصبح ١٢٣ مليون فرد سيء الطالع سجينا ضمن حدود مليون كيلومتر مربع. وكان الشيوعيون قبل وقت قصير لا يتجاوز شهر فبراير (شباط) الماضي قد استولوا على الحكم في تشيكوسلوفاكيا، واعقب ذلك انتحار وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية جان مازاريك. وكان هدف الروس الابعد تعميم الشيوعية ونشرها في ارجاء اوروبا، مما بعث على تساؤل الجنرال كلاي: هل المقاطعات الالمانية الخاضعة للحلفاء الغربيين، ومدينة برلين المقسمة هي السلع التالية المدرجة في قائمة مشتريات موسكو؟

كانت برلين لا تزال مدينة من الهياكل الجوفاء بعدما قوضت باكثر من ٧٠ الف طن من القنابل. وبدت من الجو ركاما من الحجار تتصاعد منه رائحة الحرائق القديمة وزيت الديزل وغبار الاسمنت الرطب.

وفي زيغزاللي (شارع النصر) بدت تماثيل الحكام الذين رحلوا عن هذا العالم منذ زمن بعيد وكأنها تحدق بعقم عبر جذوع الاشجار. واما فندق ادلون الذي يقع في اونتردن ليندن، وهو من أرقى شوارع المدينة سابقا، فقد اصبح كالهيكل الاجوف، واقتصرت لائحة الطعام في قبوه على حساء الكرنب وصحن من اللفت. وانك لتسمع ايضا اصداء مكررة لخفقات اجنحة الغربان في فروع مبنى الرايخستاغ!

وانعكست مظاهر المدينة هذه على وجوه الناس وملامحهم. واندثرت روح الفكاهة الساخرة بعدما كانت تجود، حتى في اوج القصف، بكتابات على الجدران مثل: "استمتعوا بالحرب،



الجنرال لوسيوس كلاي وارنست رويتر.

لان السلام سيكون مخيفا". وصارت المواد الغذائية كالحليب والسكر والسمن والخضار، اندر من من السماء بالنسبة الى معظم الاسر، واقتصرت وجبات العديد من الناس على جذور النباتات واوراق القراص بعد غليها. واجمل احد العاملين في الحقل الاجتماعي الحال بقوله: "يبذل الناس طاقاتهم في الكدح والكد وراء رغيف من الخبز وزوج من الاحذية. اما الامل في الحياة فقد غاب كغراب نوح".

لكن الداهية الدهياء تمثلت في الوجود الروسي. وقبل ثلاث سنوات طفق الجنود السوفييت يعصفون في ارجاء المدينة بضراوة لا نظير لها. ويقدر عدد النساء اللائي اغتصبهن

السوفييت في اثناء ما يسميه الالمان "الزمن الروسي"، اي فترة الاربعة عشر يوما من ابريل (نيسان) ١٩٤٥ التي حددت معركة الاستيلاء على برلين، بما يراوح بين ٢٠ الف و١٠٠ الف امرأة. وفي خضم صيحات "فراو كوم"، اي "تعالي يا امرأة"، المحمومة ابتهاجا بالنصر، اقتاد الجنود السوفييت النساء والفتيات اللواتي لطخن وجوههن بالسخام اخفاء لمحاسنهن، الى المخابىء واقبية المنازل واغتصبوهن. حتى ان الدكتورة آن ماري نيتشه، التي تعمل في مستشفى فيلمرز دورف للاطفال، لاحظت بعد ثلاث سنوات ان الاحداث، في السن الثامنة ما زالوا يلعبون "لعبة الاغتصاب" اذ يثب الصبيان على البنات محاولين تمزيق ملابسهن.

وتبع ذلك النهب والسلب. ولم يسلم على المستوى الصناعي اي شيء، من عبث الروس - لا مولد الطاقة الضخم بقوة ٢٢٨ ألف كيلو واط في منشآت الطاقة في كرافت فيرك الغربية، ولا انواع المعدات في كبريات المصانع مثل سيمنز - شوكرت واوزرام وتليفونكن وديملر - بنز، التي جردت، جميعا من كل الآلات بغية نقلها الى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية. وقام الجيش الاحمر اثر ذلك بنهب كل ما وقعت عليه ايديهم من المنازل الآهلة بالسكان على نحو يصعب تصوره. الدراجات واجهزة التلفون والمغاسل حتى الازرار الكهربائية واقفال الابواب.

واخذ مجرى التفكير السوفييتي يتزايد وضوحا. وفي محاولة عنيفة لحمل الامة الالمانية على الافلاس، طبع السوفييت آلاف الملايين من عملة المارك الالماني مما ادى الى كابوس اقتصادي. وانهالت على الاسواق سلع من كل ما لذ وطاب: الكافيار والشمبانيا والحرير الناعم والبنزين والافلام الفوتوغرافية، في حين بلغ سعر الكيلوغرام الواحد من الزبدة ١٣٠ دولارا ووصل سعر رغيف الخبز الى ١٢ دولارا. كما كان على المرء ان يدفع ١٠٠ دولار وما فوق للحصول على زوج احذية رديئة.

وغدت حديقة الحيوان الصغيرة (تيرغارتن) فسحة من الاعشاب المحروقة والاشجار المجتثة، ممتدة خلف مبنى الرايخستاغ. واخذ الناس يتوافدون اليها يوميا، وظهورهم مثقلة بالاكياس وايديهم تجرجر على الارض حقائب اليد او العربات ذات الدواليب. وراح الاطفال، الذين سلبهم الحرمان نضرة وجوههم، يلوحون ببضائعهم من السجائر التي كانوا يستجدونها من جنود الحلفاء، بينما أخذ المحاربون القدامى، وقد استندوا الى عكازاتهم، يعرضون الميداليات للبيع. وكان بعض الرجال البدن يبيعون جوارب النايلون النسائية بـ٤٥ دولارا للزوج الواحد. غير ان اصعب ثلاث عملات في السوق كانت السجائر والقهوة والشوكولاته. وربما انتقلت ملكية علبة واحدة من السجائر من شخص الى آخر مئات المرات. وكانت تباع بسعر ٣٥ دولارا على الاقل.

في هذه الاثناء نجح الروس في اعاقة كل محاولة بذلها الحلفاء في سبيل اصلاح الوضع النقدي. وبعد يأس عزمت امريكا وبريطانيا وفرنسا

على ادارة المناطق التابعة لها في المانيا كوحدة اقتصادية مستقلة. وردا على هذا الاجراء انسحب الحاكم العسكري الروسي المارشال سوكولفسكي في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٤٨ من الاجتماع الدوري لمجلس قيادة الحلفاء- وهو الهيئة المشتركة التي تحكم برلين - بكبرياء وأنفة. ثم اوقف الروس في الاول من ابريل (نيسان) قطار الاكسبريس "برلينر" السريع عند نقطة الحدود في مارينبورن واعادوه الى فرانكفورت، كما اوقفوا قطارين آخرين في اليوم ذاته لمنع وصول مواد حيوية ضرورية، تزن ٦٠٠ طن، الى برلين. عندئذ امر الجنرال كلاي بنقل ٦٠ طنا من اكثر المواد ضرورة بالطائرة الى برلين.

وبعد بضعة ايام، في ٥ ابريل (نيسان)، شنت احدى الطائرات المقاتلة السوفييتية هجوما مصطنعا على طائرة بريطانية عندما اقتربت من برلين فوق احد الممرات الجوية الثلاثة المخصصة للطيران الدولي. واخترقت المقاتلة السوفييتية من طراز "ياك -٣" الاجواء بسرعة فائقة حتى تجاوزت الطائرة البريطانية التي كانت تحمل عشرة ركاب. ثم عكست المقاتلة اتجاهها مع صعود مفاجيء، سريع، وعلى ارتفاع الف قدم ارتطمت الطائرتان وجها لوجه وتحطمتا فوق الحقول وصرع جميع من فيهما.

وعلى رغم المضايقات المستمرة، مضى الحلفاء قدما في مخططاتهم الاقتصادية الخاصة بالمانيا الغربية. وكان رد الروس الاخير الحصار والامتناع عن اجراء المحادثات، والاصرار ببساطة على احتجاز برلين الغربية بكاملها، رجالا ونساء واطفالا، رهائن بين ايديهم.

عرض عضلات

شرع كلاي لتوه في تنفيذ عملية تعد من اكثر عمليات الانقاذ طيشا على الاطلاق. لقد كان في امكان البريطانيين حشد ما مجموعه خمسون طائرة. ولم يكن لدى الفرنسيين طائرات نقل متوافرة نظرا الى انهماك الاسطول البحري الفرنسي في الهند الصينية. اما ما يملكه سلاح الجو الامريكي في اوروبا - عدا طائرتين اثنتين من طراز "سكاي ماستر سي - ٥٤" ذات المحركات الاربعة - فلا يتجاوز عدده الـ ١٠٢ من طائرات "سي - ٤٧". ذات المحركين، التي تبلغ حمولة الواحدة منها اقل من ثلاثة اطنان. وكان بعض الطيارين يصفونها بانها "اشد الطائرات رأفة وتسامحا". لكنها قامت بدورها في ما مضى على وجه حسن.

كان الملازم جوزيف كيسر من الرعيل الاول الذي طار في ذلك اليوم وفي عشرات الرحلات الجوية في ما بعد، حيث قاد طائرات من طراز "سي - ٤٧" تعطل فيها جهاز حفظ التوازن الجيروسكوبي وانعدم الضوء في معظم اجهزتها، حتى توجب عليه حمل مصباح كهربائي من اجل قراءة قياساتها المختلفة. وصادف طيار آخر هو الكابتن فرانسيس كنيدي، عاصفة في احدى رحلاته، واكتشف ان حاجب الريح الزجاجي في قمرة القيادة في طائرته "سي - ٤٧" يرشح مطرا كالغربال. ولدى انتهاء رحلته افرغ الطيار الماء من حذائه.

اضف الى هذا ان مطاري برلين الغربية لا يصلحان في اي وجه من الوجوه لاستقبال عملية النقل الجوي. كما ان مطار سلاح الجو الملكي البريطاني في غاتو لا يتعدى كونه مطارا ريفيا على حافة المنطقة السوفييتية، ولا يبعد سوى دقائق قليلة عن قواعد المقاتلات السوفييتية. وسرعان ما اكتشف طيارو الجنرال ليميه ايضا اخطار المطار الامريكي في تمبلهولف، قلب مدينة برلين. ولا يمكن ان ينسى الرقيب فيرنون ايرلي، احد رجال الاتصال بالراديو، ما حدث له خلال رحلته الاولى عندما بدأت طائرة "سي - ٤٧" تهبط كعادتها في انحدار شديد. وما ان شقت حجب الغيوم حتى غدت في مستوى بناية سكن ذات سبعة طوابق. ويذكر الرقيب رؤية وجوه هلعة تحدق من وراء زجاج النوافذ.

لكن ثمة عاملا واحدا بعث على تشجيع الامل والتفاؤل. ويعود الفضل فيه الى بعد نظر الكولونيل فرانك هولي قائد الوحدة العسكرية الامريكية في مدينة برلين الذي عمد وفريق خبرائه، تحرزا من ضرب الحصار على المدينة، الى تكديس المؤن الغذائية بكميات تفي باحتياجات الاهالي طوال ٣٦ يوما. ولهذا لا يتوقع ان يسوء الوضع على نحو ميؤوس منه قبل مضي بضعة اسابيع.

واستهدف كلاي من الحركة الجوية النشطة التي نظمها ان يظهر بوضوح عدد الرحلات التي يمكن القيام بها الى برلين، مما سيثبت للمسؤولين في واشنطن ان في امكانه توفير الغذاء لبرلين الغربية بكاملها عن طريق الجو لو اتيح له ان يستخدم اسطولا من طائرات "سي - ٥٤" الاكثر حمولة. ولكن الى اي مدى ستدعمه حكومات الحلفاء بثبات وعزم؟

لم يستغرق الجواب طويلا! فقد اتخذ مجلس الوزراء البريطاني يوم الاثنين ٢٨ يونيو (حزيران) قرارا يقضي بالمكوث في برلين مهما ساءت الظروف. وعلق ارنست بيفن، وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة بريطانيا على موضوع النقل الجوي بقوله انه لن يجدي على المدى الطويل، اذ من المتعذر اطعام مليونين ونصف مليون نسمة من الجو. بيد انه اردف ان العملية جديرة بالمحاولة ومن شأنها تأمين متسع من الوقت لاجراء المفاوضات.

وفي اليوم ذاته اجتمع الرئيس هاري ترومان في واشنطن مع وزير الدفاع جيمس فورستال ووزير الحربية كينيث رويال ووكيل وزارة الخارجية روبرت لوفيت.

وتجدر الاشارة الى انه كان قد مضى على رئاسة ترومان حتى ذلك اليوم ثلاث سنوات، وكان من عادة النقاد السخرية منه لضآلة معرفته بالشؤون الخارجية والاستهزاء بنزعته الى مخاطبة زوجته بـ"الريس" على غرار ما يفعله اهالي المدن الصغيرة وبميله الى الافتخار الشديد بمقدرة ابنته مارغريت على الغناء. وقد جلس ترومان ذلك اليوم منصتا الى لوفيت وهو يسرد وقائع الجلسة التي عقدها رجالات الخارجية والدفاع في اليوم السابق حيث نوقشت ثلاث وسائل بديلة: اولا الانسحاب من برلين، ثانيا البقاء فيها تحت ضغط الازمات المستمرة والمستجدة، ثالثا تموين

المدينة جوا والمجازفة بالحرب. وقال لوفيت ان اجتماع وزارتي الخارجية والدفاع لم يتخذ قرارا حاسما في الموضوع، واجمل كلمته بالقول ان الغرض من الاجتماع اليه شخصيا الان هو دراسة هذه الامور الثلاثة.

وما ان فرغ لوفيت من كلامه حتى قاطعه الرئيس ترومان قائلا: "ليس في المسألة نقاش. اننا سنبقى في برلين. وانتهى الموضوع".

وأعترض رويال قائلا: "سيادة الرئيس، هل فكرّت ملياً في الأمر؟"

فأجابه ترومان:

- سنعالج الوضع في ضوء ما يطرأ عليه من تطوراته. ان وجودنا في برلين حسب شروط الاتفاق هو جوهر القضية، ولا يحق للروس اخراجنا سواء بالضغوط المباشرة او غيرها.

وتبع ذلك اتخاذ قرار رئيسي آخر. لقد أراد ترومان ان تتوسع عملية كلاي المرتجلة للنقل الجوي الى أقصى حدّ ممكن وأن ترتكز الى أسس تنظيمية سليمة. وبناء عليه امر بتعبئة جميع الطائرات الامريكية في القارة الاوروبية من اجل هذه الغاية، وأكد على ضرورة تموين برلين، "حتى وان اقتضى الامر تطويع كل شبل في كشافة الولايات المتحدة". وخوّل الرئيس الامريكي السلطات المسؤولة، اثر حصوله على موافقة البريطانيين الفورية، "استعراض قوتها"، وصادق على مخططات لنقل اسراب طائرات "ب - ٢٩" الى قواعد في انكلترا والمانيا مما عنى وضع هاتيك القلاع الجوية المنيعة، التي كان الروس يدركون حق الادراك انها حاملات القنابل الذرية، ضمن مدى يهدد الاهداف في موسكو نفسها.

عملية "سقط المتاع"

اتخذ الجنرال ليميه، توقعا لأوامر الرئيس ترومان، قرارا بتجميع الطائرات الامريكية من اماكنها القصية المتباعدة مثل فيينا وبريمن. وبذلك التزمت جميع الطائرات في الميدان الاوروبي التزاما تاما بعملية النقل الجوي. الا ان الحاجة دعت الى مزيد من الطائرات، خصوصا طائرات "سي - ٥٤" التي تبلغ طاقة حمولتها ثلاثة اضعاف طاقة "سي - ٤٧".

وتشكلت على الفور قوّة عسكرية جديدة أنيطت بها مهمة "الجسر الجوي"، وترأسها البريغادير جنرال جوزيف سميث قائد معسكر فيسبادن الذي يناهز السابعة والاربعين من عمره. وهو رجل عسكري فظّ الطباع، قَبِلَ القيام بمهمته الجديدة بعدما أُبلغَ ان العملية كلها ستدوم فترة اسبوعين. وعندما الح عليه احد رجال الاعلام المتحمسين - وكان هذا مشغوفا باضفاء لون مسرحي مثير على العملية - ان يستنبط لها اسماً رمزياً يأسر الالباب، اجابه سميث متأففاً:

- بئس الاسم وبئس المصير! كل ما أفهمه اننا سننقل حمولات الأكل ونسقطها على المدينة. واذا كان لا بدّ من اسم، فسمها "سقط المتاع".

وهكذا اصبحت العملية تعرف بسقط المتاع. وفي ٢٩ يونيو (حزيران)، اي حين بدأت الطائرات تتوجه الى مقر العمليات، عقدت هيئة النقل الجوي اجتماعا برئاسة سميث، اعلن فيه مدير الشحن الجديد الميجور ادوارد ويلرفورد عن ثقته قائلا: "أقدّر ان تبلغ الشحنات المرسلة الى برلين بحلول ٢٠ يوليو (تموز) معدّل ١٥٠٠ طن كل ٢٤ ساعة"، علما بأن المجموعتين ٦٠ و٦١ من ناقلات الجنود لم تستطيعا، على رغم جهودهما المتضافرة وحشد أقصى الطاقات في ذلك اليوم بالذات، من نقل أكثر من ٣٨٤ طنا. وبدا من الحماقة التنبوء بمضاعفة تلك الكمية في مدى ثلاثة اسابيع مقدار اربعة أضعاف.

غير ان الهدف المنشود تحقق في موعده المحدد. واستنفر ليميه، الذي وجد نفسه ملزماً باستخدام كل وسيلة ممكنة، جميع الطيارين غير العاملين آنذاك للعودة موقتا الى قيادة الطائرات. وعلى رغم حشد جميع الطاقات المتوافرة، كان الطيار يعد نفسه محظوظا جدا اذا ما اقتنص لنفسه سبع ساعات نوم كل ٣٦ ساعة.

وواصلت الطائرات رحلاتها ذهابا وايابا كالمكوك طوال الليل والنهار. وكانت تحلق في الممرات الجوية ١٠٤ طائرات امريكية و٥٠ طائرة بريطانية محملة بكل ما امكن تجهيزه للشحن. وكان الطيارون ينتهزون الغفوة انتهازا كلما سنحت الفرصة ويتناولون وجبات الطعام اختطافا، وكثيرا ما اقتصرت على فنجان قهوة وقرص كعك. والهب حماسة الجميع شعار كتبت كلماته في كل مكان، من هيكل الطائرة الداخلي الى أكياس الطحين: "شركة ليميه للفحم والطعام - خدمات مضمونة ليل نهار".

وفي هذه الاثناء أكبّ الكولونيل هاولي مع رجلين من بلدية برلين، هما كارل مونتر وبول فولساك، ساعات طويلة على العمل في محاولة لابتداع طرق جديدة من شأنها تخفيض وزن الحمولات الى ادنى حدّ ممكن

وقصرها على المواد الجوهرية. وتبين لهم ان في نقل الخبز جوا الى برلين تبذيرا هائلا لطاقات الشحن، خصوصا لأن ثلث وزن الرغيف هو وزن الماء الذي فيه. وبما ان برلين محاطة بالماء، يجب ابدال الخبز بالطحين. وتحققوا ايضا من ان تجفيف البطاطس منعصارتها يوفر وزنا يعادل ٧٨٠ طناً يومياً، وان سلخ اللحوم عن عظمها يخفف الوزن بمقدار الربع. وأدت هذه الحسابات االدقيقة الى خفض الحد الادنى لاحتياجات برلين اليومية في بحر ١٩ يوما من ٢٠٠٠ طن اغذية الى نصف هذا الوزن.

والواقع ان هذه العملية المشتركة بين الالمان والحلفاء من أجل نجدة برلين وانقاذها ساعدت على ظهور شعور قوي بالتضامن بحلول شهر يوليو (تموز) وعلى تلاشي الضغائن بين الاطراف. واخذ أهالي برلين يطوقون السياج الانيق المضروب حول ثكنات لوفتفافه سابقا حيث يقوم مطار غاتو البريطاني، ويصفقون ويهتفون استحسانا وتشجيعا كلما هبطت طائرة من طراز "يورك" ذات المحركات الاربعة على مدارجه. وكانت الجماهير تحتشد ايضا حول مطار تمبلهولف الامريكي بحيث بلغ عدد الرجال والنساء والاطفال في برلينر شتراسه (شارع برلين) المحاذي عشرة آلاف نسمة. وكان بعضهم يتسلق الاشجار فتعكس الشمس المشعة في وجوههم ظلالا لهم على جدران المنازل المهدمة خلفهم. وكان البعض الآخر يتسلق سطوح السيارات والحافلات والجميع يلوحون بأيديهم ومنهم من حمل الهدايا الى الطيارين، بما فيها اواني "ميسن" الشهيرة والرقيات وجراء كلب الدشهند الالماني ذات الاجسام الطويلة والقوائم القصيرة.

لقد نطق ارنست رويتر بالحق حين اقسم باسم اغلبية المواطنين: "لتصبحن برلين ستالينغراد الالمان التي سترد موجة الضغط الشيوعة الى النحر". وشك بعض المقربين اليه بثقته قائلين له: "سيرغمنا الروس على الركوع". غير ان ايمان رويتر لم يتزعزع: "ان ما يحدث سيهز ضمير العالم".

والحق انه عند الشدائد تذهب الاحقاد وتنمو عرى الصداقة وتتوثق بين الذين يتهددهم خطر مشترك. ولكن على رغم ذلك وعلى رغم هدير الطائرات المستمر فوق سماء برلين، ظلت هناك مشكلات عدة مستعصية اولها الفحم. وقد صرف وليم وست، ضابط العمليات في المقر العسكري في برلين، ساعات طويلة وهو يحوم بطائرته الاستطلاعية بحثا عن مناطق صالحة لانزال الفحم. وتم اخيرا اختيار موقعين، احدهما في ساحة التدرب على المرمى داخل المقر ذاته والآخر في المنطقة المحيطة بالستاد الاولمبي ضمن القطاع البريطاني.

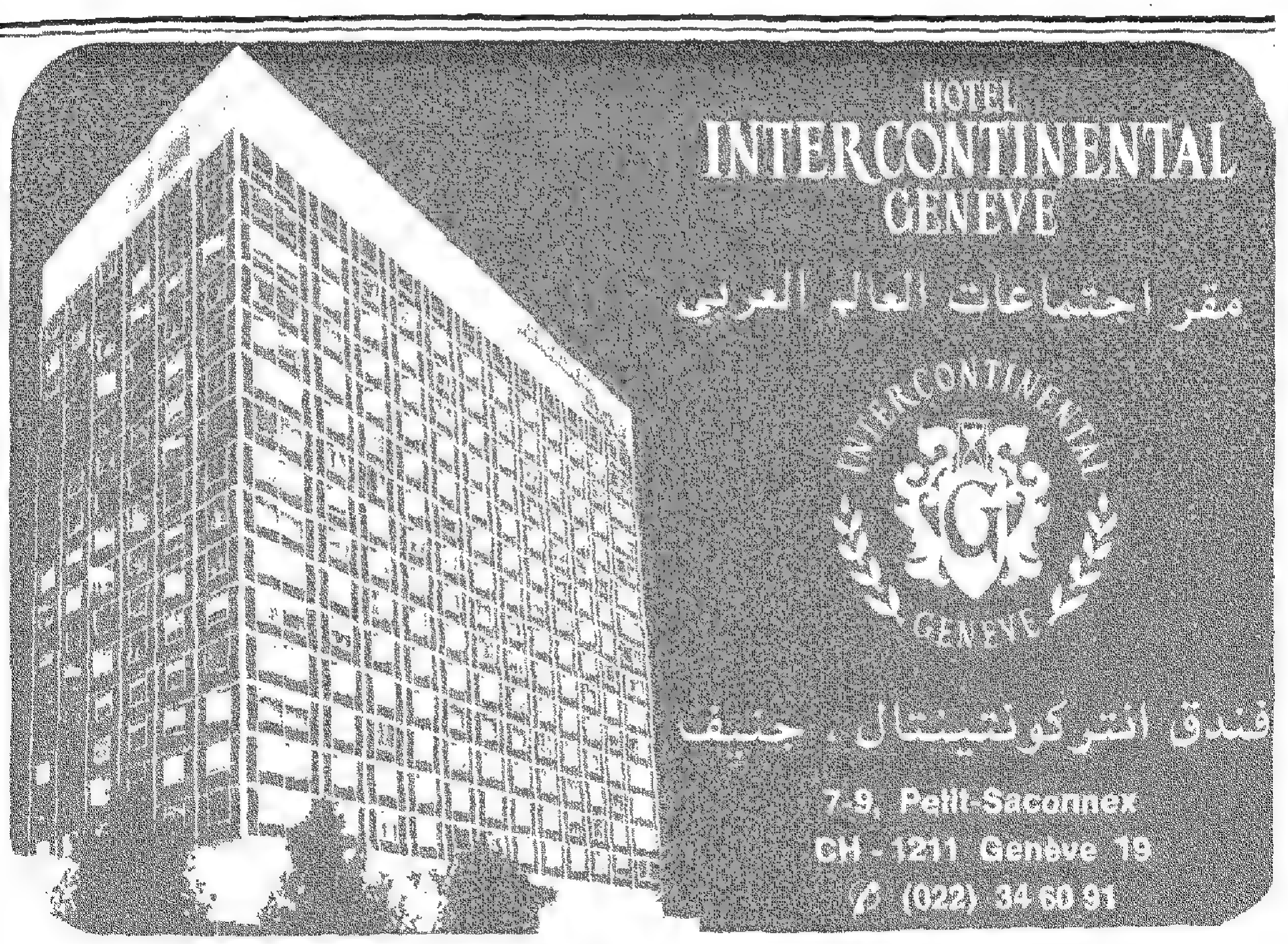
وتقرر في نهاية الامر انزال اكياس الفحم من عنابر القنابل بطائرات "ب - ٢٩"، على ان تتولى مجموعات من العمال نقلها ليليا الى المخازن تحت الانوار الكاشفة. وتبين بعد الانزال التجريبي الاول ان قوة الارتطام بالارض حولت قطع الفحم الى غبار فحمي. وهكذا، على رغم رد فعل ليميه التقليدي عندما سأله الجنرال كلاى عما اذا كان سلاح الجو

الامريكي قادرا على نقل الفحم، لم تصل الشحنة الاولى منه الى برلين الا ليلة ٧ يوليو (تموز)٠ وقد بلغ وزن الحمولة ١٦٠ طنا فقط، وكان الفحم محشوا داخل اكياس للجيش مصنوعة من نسيج صوفي غليظ٠

وتهكمت احدى الصحف الشيوعية آنذاك قائلة: "ان نقص الوقود حاليا يمكن احتماله، ولكن ما الذي سيحل بالناس في الخريف او الشتاء؟"٠

وتحسبا للمستقبل، اصدر هاولي ورفقاؤه في القيادة مرسوما بخفض استخدام الطاقة بنسبة ٧٥ في المئة حفاظا على الفحم، وبحظر حركة السيارات في الشوارع وقطارات النفق بعد الساعة السادسة مساء، وبتحديد استخدام الكهرباء للاغراض المنزلية باربع ساعات يوميا، فضلا عن قطع الكهرباء كليا عن عدد كبير من المصانع الصغيرة٠

ومع ذلك، بدأت نبوءة رويتر تثبت صدقها٠ وها ان بلدة ملسونغن ذات الاسوار القديمة، التي لا تبعد سوى ٣٥ كيلومترا عن حدود القطاع السوفييتي غربا، تدخر حمولة اربع سيارات شحن مملوءة قمحا وسمكا مجففا وخضرا طازجة لنقلها جوا الى برلين٠ وأصدرت كل من هامبورغ وبريمن وساكسوني المنخفضة قرارا بالتبرع بمؤن يوم كامل من جميع المواطنين بغية ارسالها الى برلين٠ وفي الروهر، حيث ارتفع شعار "الفحم لبرلين" فوق تكنات عمال المناجم، حول ١٠٠ ألف طن من الفحم



المخصص للاستهلاك المنزلي المحلي الى العاصمة برلين. وسرعان ما بدأ جسر برلين الجوي، الذي عرف باسم "دي لوفت بريكيه" بالالمانية و"برلين ايرليفت" بالانكليزية و"لو بون اييريان" بالفرنسية، يأسر الخيال ويهز ضمير العالم.

وعادت الى برلين روح الدعاية اللاذعة القديمة التي لا تراعي حرمة لشيء، وبدأت تقوى وتنتشر يوما بعد يوم. ومن طريف كلامهم الآتي: "اننا محظوظون: تصوروا فقط لو عكست الامور وكان الحلفاء هم الذين يحاصروننا والروس يتولون اغاثتنا من الجو".

سقط المتاع الصغير

شاءت المصادفات الغريبة ان يكسب رجل بعينه خلال هذه الاسابيع العصيبة قلوب عدد كبير من اهالي برلين اكثر من اي شخص آخر. وذلك الرجل هو الملازم غيل هالفرسون الذي يبلغ السابعة والعشرين من عمره. وهو حيي الطبع، قضى ايام خدمته الاولى في قاعدة "راين - ماين" الجوية خارج فرانكفورت بين الطيران وسرير النوم كغيره من الطيارين. ولهذا خشي ان تنتهي عملية النقل الجوية من دون أن يطأ بقدميه ارض برلين. وتصحيحا للوضع، اتخذ في ١٧ يوليو (تموز) خطوات معينة.

قضى هالفرسون الليلة السابقة في رحلات جوية. وما ان تناول وجبة الفطور في ساعة مبكرة حتى صعد الى متن طائرة رفيق له للتوجه معه الى مطار تمبلهولف. والحقيقة ان هالفرسون كان، في تحليقه سابقا الى ذلك المكان، يحار في امر الهبوط على زاوية حادة في محاذاة عمارة الشقق السكنية قرب المطار في برلين. وأراد هذه المرة ان يصور ذلك الهبوط فوتوغرافيا. ولما هبطت الطائرة ترجل هالفرسون حاملا معه معدات التصوير، ومشى عبر حقول المطار الذي يبلغ قطره اربعة كيلومترات فيما كانت عدسة الكاميرا مصوبة الى اعلى لتلتقط صور الطائرات وهي تنقض في انحدارها نحو الارض. وظل على حاله تلك حتى بلغ الحاجز المحيط بالمطار، حيث أبصر عددا من الاطفال - ربما اكثر من عشرة - يراقبونه بحذر واهتمام. وكانوا يرتدون ثيابا رثة مرقعة، ووجوههم الذابلة تنم عن عيشهم في اقبية المنازل تحت سطح الارض. وكادت تلك الثياب وهاتيك الوجوه ان تكون رمزا لاوروبا بعد الحرب.

وبدأ على الفور حوار متردد باللغة الانكليزية بينه وبين اكبر الاطفال سنا، وهؤلاء كانوا يتعلمون الانكليزية في مدارسهم. وسألهم هالفرسون عما اذا كانت مراقبة الطائرات تهز مشاعرهم، لكنهم لم يفهموا قصده، وأجابوا بابتسام وتردد: "اننا نراقب الطائرات طوال النهار".

ولما كان هالفرسون قد عمل مع الشباب الكشافة في امريكا، احس بصلة قوية تربطه بالصغار. لكنه لاحظ امرا غير طبيعي في تلك الساعة، وفجأة ادرك وجه الغرابة. لقد اعتاد طوال سنيّ الحرب رؤية الاطفال وهم يلاحقونه او يلازمونه ويلحون عليه بلجاجة وفرح وصخب في طلب العلكة والشوكولاته. اما هؤلاء الاطفال فلا يفعلون شيئا، ربما لانهم لا يعرفون اصلا بوجود هذه السلع لكي يطلبوها.

واذ لم يكن في جيب هالفرسون سوى قطعتين مستطيلتين من العلكة، اخرجهما وقسمهما اربعة اقسام بينما أتلع الاطفال اعناقهم، وملامحهم تدل على "عدم التصديق، كأنما دلفوا لساعتهم الى بلاد العجائب".

ومن لم يسعده الحظ بالعلكة تأسى بلعق الغلاف او بشمه. وظن هالفرسون ان في مستطاعه ان ينقل هؤلاء الاطفال الى قمة النعيم بثلاثين سنتا لا اكثر، ولهذا قال بصوت عال:

- تعالوا الى هنا يوم غد ،سأقذف اليكمالعلكة والشوكولاته من طائرتي، شرط ان تعاهدوني على تقاسمها بالتساوي!

وسأله احد الصبيان: "ولكن كيف سنعرف طائرتك بين الطائرات؟"

راقبوا الاجنحة لان طائرتي ستهز جناحيها. راقبوا رفرفة الجناحين.

وحين عاد ادراجه الى قاعدة راين ماين، احس هالفرسون بالندم على ما تعهد بفعله. ان من اليسر الحصول على الشوكولاته، ولكن أنى له ان يسقطها والمنفذ الوحيد الذي يمكن استخدامه لهذه الغاية في طائرة "سي - ٥٤" هو الانبوب ذو الفوهة الموسعة بطول ٢٥ سنتيمترا خلف مقعد الطيار؟ وكيف يمكنه انزال الحلوى الى الاطفال بلا مظلة؟ وما الذي يمكن ان يستعمله بديلا لمظلة الانزال؟ اضف الى ذلك ان مثل هذه العمليات محظورة قطعا في انظمة سلاح الجو.

ولمعت في ذهن هالفرسون فكرة جديدة. غير ان اول ما فعله كان جعل رفيقه في الطيران جون بيكرنغ يقسم على عدم افشاء السر. ثم دخل حجرته واخرج كيسا مملوءا بالمناديل التي اشتراها درءا لزكام اصابه.



الميجور جنرال وليم تانر.

وفي اليوم التالي، عندما اخترقت طائرته أكداس الغيوم المتفرقة فوق مطار تمبلهولف، شاهد هالفرسون زمرة من الاطفال متراصة على السياج، فحرك جناحي الطائرة حسب الاشارة المتفق عليها، وامر رفيقه بانزال ثلاثة مناديل ربط كلا منها على هيئة مظلة عبر الانبوب المتسع تدريجا، وكانت محملة بانواع من العلكة والحلوى تكفي لاسعاد ثلاثين طفلا. وهكذا حافظ الرجل على كلمته وانتهى الامر على خير وسلام.

ولكن مهلا ! ان العملية لم تنته، وانما هي بدأت لتوها. ومع مرور الايام لم يغادر الصبية المكان. وانما تزايدوا عددا وعنادا حتى فاق عددهم المئة. وكانوا يتدافعون الى السياج ويراقبون بلا طائل رفة الجناحين التي سترف لها افئدتهم فرحا. ومرة اخرى اخطأ هالفرسون الحكم على الامور

بقوله: "انزال آخر يكتفون به ويكفونني شرهم".

الا انهم لم يكتفوا. وفي محاولة يائسة لارضائهم، قام هالفرسون بعمليتين اخريين لانزال الحلويات، منزلا في كل منهما ستة مناديل. وفي عصر احد الايام، عندما هبط هالفرسون بطائرته وسط حجب الضباب التي اكتنفت مطار تمبلهولف، احس بارتياح عظيم وتنفس الصعداء لانه لم يستطع رؤية اطراف المطار من خلل الضباب، فاقنع نفسه بان الاطفال ليسوا هناك. لكنه، في وقت لاحق، دخل مكتب العمليات والقى نظرة عابرة على اكداس من الرسائل فوق المنضدة، ذات غلف بنيةومعصوبة بخيط قنب، وشل هالفرسون في مكانه وتجمد. يا للهول! انها كلها موجهة اليه!

كان بعض الرسائل مكتوبا باقلام من الشمع حمراء وخضراء فاقعة اللون، وقد رسمت على غلفه صور طفولية لطائرة "سي - ٥٤" وهي تسقط المظلات، وحملت كلها. اسماء اسطورية جديدة مثل. "اونكل فاكل فلوغل"، اي "العم ابو الجناحين الهزازين" و"در شوكولادن فليغر"، أي "طيار الشوكولاته". واحسرتاه! هذه هي الخاتمة التي تودي بالطيار الى المحاكمة العسركية!

ولم يطل ترقب المجابهة طويلا. وفي صباح احد الايام استدعي لمقابلة قائد الجناح.

- ما الذي فعلته، بحق السماء؟

وأجاب هالفرسون ببراءة:

- الذي فعلته هو الطيران كالمجنون ليل نهار ايها الكولونيل.

عندئذ استشاط رئيسه غيظا وصاح:

- اسمع انا لست ابله. الخبر ملأ الصفحات الاولى في صحف برلين. اتدري انك كدت تصيب احد رجال الصحافة في أم رأسه بتلك الشوكولاته؟

ثم اضاف بصوت اكثر عذوبة: "لحسن حظك، يأمرك الجنرال بمواصلة ما تفعله.

ومنذ تلك اللحظة اتسع نطاق انزال الشوكولاته، واطلق عليها اسم: "عملية سقط المتاع الصغيرة". وحين نفد رصيد هالفرسون من المناديل، ساهم سائر الطيارين بمناديلهم وبشراء العلكة والشوكولاته.

وبين عشية وضحاها اصبح هالفرسون نجما متألقا لا في سماء المانيا فحسب، وانما في ارجاء الولايات المتحدة ايضا حيث تبنت المحطات الاذاعية من لوس انجلس الى بوسطن قضيته في حملة "ارسلوا المناديل اليه". وفي غضون وقت قصير بات هالفرسون يتسلم خمسة اكياس بريدية في اليوم الواحد.

ويذكر هالفرسون ان سياج تمبلهولف اصبح بمثابة صفوف متراصة من الاطفال. ولذا توجب البحث عن مناطق انزال اكثر أمنا وسلامة. وبعد انتزاع الحواشي من فتحات النجاة في طائرات "سي - ٥٤" التابعة للوحدة التي ينتمي اليها هالفرسون، خصصت للطيارين مناطق محددة لانزال الحلوى من ارتفاع ٦٠٠ متر فوق حديقة الحيوان وباحات المدارس والمتنزهات حيث كانت تفرغ صناديق الكرتون من محتوياتها من الشوكولاته فتتناثر عبر الحدائق والبساتين تناثر العناقيد من زغب النباتات الشائكة.

وحين اشتكى الاطفال في برلين الشرقية من حرمانهم هذه الطيبات، وسع هالفرسون بصفاء طوية نطاق مظلات الشوكولاته لتشمل فيسنسي وبانكوف. ولكنه امر بعد ايام قليلة بالتوقف لان السوفييت بعثوا بمذكرة الى وزارة الخارجية الامريكية تندد بالعملية وتصفها بانها "خدعة رأسمالية مفضوحة".

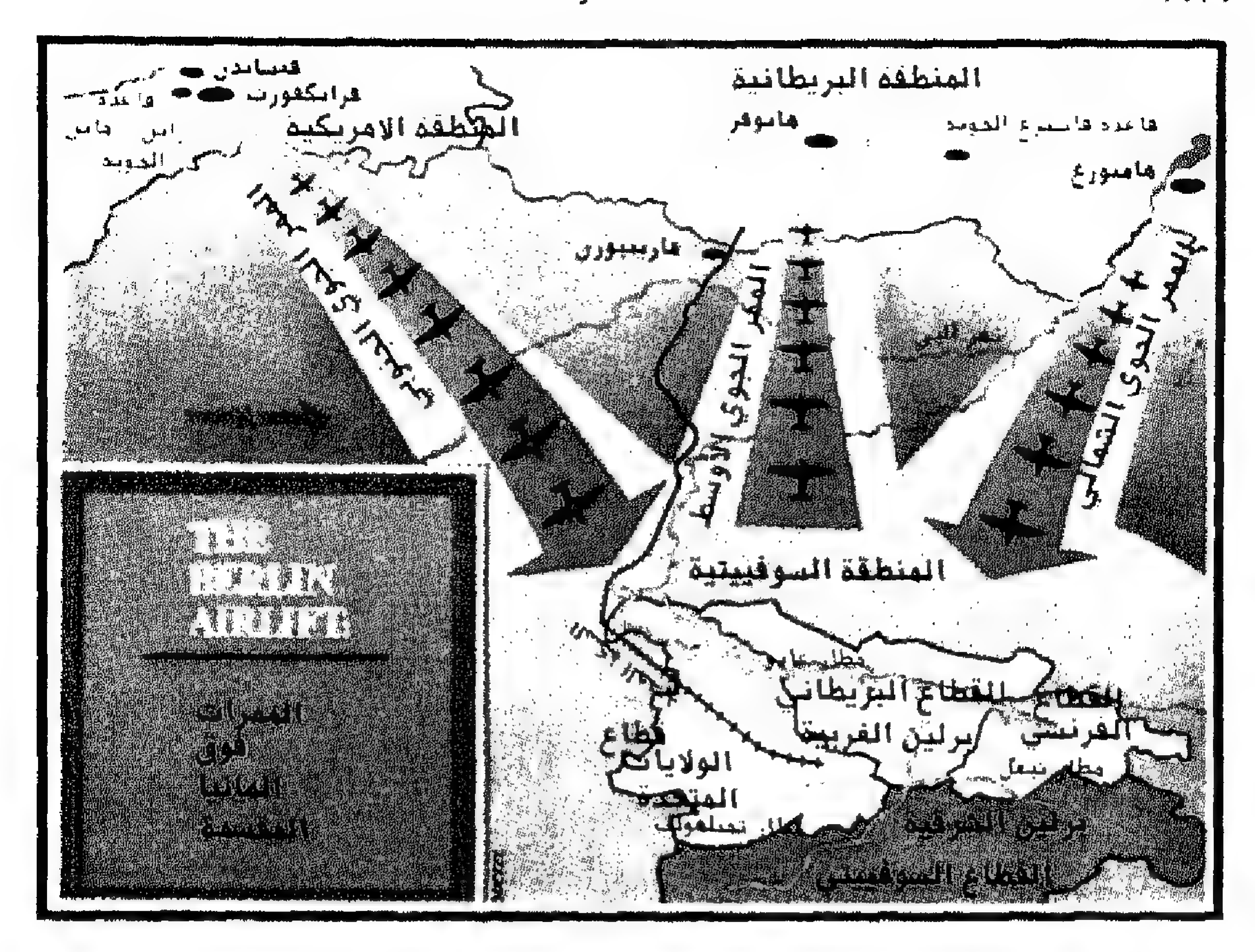
انذار

ومهما يكن الامر فقد بقيت الاخطار تهدد وضع التموين. ولئن كانت كميات المواد الغذائية المشحونة جوا تتناسب واحتياجات الاهالي، الا ان المشكلة الكبرى كانت تأمين الفحم. وثمة حاجة ماسة الى عدد اكبر من الطائرات لنقله. لكن واشنطن، على ما يبدو، مترددة في الاستجابة لمطالب الجنرال كلاي الملحة. وفي آخر الامر استدعي الجنرال الى العاصمة الامريكية في اليوم السابع عشر من يوليو (تموز). ولدى اجتماعه الى الرئيس ترومان في اليوم الثاني والعشرين من الشهر ذاته، ابلغ كلاي الرئيس الامريكي وكبار مستشاريه ان برلين لن تقوى على الصمود اذا اقتصرت طائرات التموين على ٥٢٠ طائرة "سي - ٥٤" و ٨٠ طائرة "سي - ٤٧"، وانه اذا اريد لها الثبات الاكيد فلا بد من الحصول على اسطول جوي قوامه لا اقل من ١٦٠ طائرة "سي - ٥٤" واستطاع كلاي، على رغم وجود بعض المستشارين الذين ما زالوا يفضلون الانسحاب الكامل من برلين، ان يربح الجولة ويفوز بتعهد من ترومان لتلبية مطالبه.

واتضح، بناء على هذا الالتزام ضرورة تحويل الامداد الجوي من عمل ارتجالي، جريء، كعهده في بداياته، الى عملية منظمة لا تقل عن مقياس الايقاع الموسيقي (المترونوم) دقة وانتظاما. ولهذا جاء الى المانيا في ٢٩ يوليو (تموز) الميجور جنرال وليم تانر (٤٢ سنة) الذي ترأس ايام الحرب عملية مد جسر جوي فوق الجبال الواقعة بين بورما والصين. وكان تانر رجلا شديد البأس، كفؤا، مشهورا بصلابته، الى حد ان احد اعوانه حذر ذات مرة موظفا جديدا بقوله: "أؤكد لك يا بني انه لو لعب الجنرال تانر دور ترويض الاسد في سيرك الاخوان "رينغ لينغ"، لانعكست الآيةووضع الاسد رأسه بين فكي الجنرال".

وسرعان ما اكتسبت حجرات مكاتب الجنرال تانر صبغة فنية سوريالية، اذ امتدت من النوافذ الى الابواب، وبالعكس، حبال ارتكزت فوقها تشكيلة من علاقات الملابس المرقمة ترقيما يمثل طراز الطائرات المتوافرة لعملية النقل الجوي. واسفرت مناورات المعاونين في ترتيب العلاقات على الحبال عن ظهور انماط جديدة للجسر الجوي.

وتمخضت المشروعات المحدثة عن قرار جوهري يلزم الطائرات بالسلوك في اتجاه واحد عبر الممر الجوي الجنوبي الى برلين وبالعودة بعد تفريغ حمولتها عبر الممر الجوي الاوسط. وأمكن بذلك تفادي احتمال وقوع اصطدام في الجو بين الطائرات في كلا الاتجاهين، خصوصا لأن الطائرات كانت في ما مضى تستخدم الممرين الجويين من دون تمييز في الاتجاه. وبالاضافة الى ذلك، توجّب



على كل طيار الآن ان يحرص على اجتياز نقاط المراقبة في الوقت المحدد له، واصبح ملزما بالتحليق فوق مركزي المرشد الاشعاعي لهداية الطائرات في فولدا بالقرب من فرانكفورت وفي فروهناو في ضواحي برلين، مستخدما كلا المرشدين للحفاظ على مسافة محددة بينه وبين الطائرة السابقة ولضبط مدى ارتفاعه عن سطح الارض وسرعة طيرانه ضبطا دقيقا للغاية.

ورتبت الامور بحيث لا تكاد عجلات الطائرة تستقر في سكون بعد الهبوط في مدارجها في برلين حتى ينطلق فريق النقل الخاص لتفريغ حمولتها في الوقت نفسه اذ تتقدم عربات الوقود والصيانة. والزم الطيار ايضا بالبقاء على مقربة من طائرته حيث يسارع اليه فريق آليات خاص لتزويده بتقارير الاحوال الجوية وبأكواب القهوة والسندويشات، "لأن الطائرة الجاثمة بلا حراك انما تضيع سدى" في رأي الجنرال تانر.

وما من شك في ان التعاون الانكلو - امريكي كان عاملا حاسما. وفي (٢ اغسطس (آب) حصل تانر على موافقة بريطانيا في ما يتعلق بجعل قاعدة سلاح الجو الملكي في فاسبرغ قرب هانوفر التي تقع داخل المنطقة البريطانية من المانيا محطة لثلاثة أسراب من طائرات " سي - ٥٤". والجدير بالذكر ان الممر الجوي الجنوبي الذي يفضي الى القطاع البريطاني من برلين كان أقصر بمعدل النصف من الممر الجوي الشمالي (الامريكي) الى تمبلهولف، مما عنى

ان الطائرات انطلاقا من قاعدتها الجديدة في فاسبورغ، ستتمكن من انجاز خمس رحلات كاملة يوميا الى برلين ومنها بدلا من ثلاث رحلات ونصف رحلة فقط، وهو معدلها الحالي انطلاقا من قاعدة راين ماين.

ولكن، على رغم هذه الترتيبات، تبين انه سيتعذّر على برلين الصمود في وجه الشتاء القاسي ما لم تقم مدارج اضافية لاستقبال الطائرات. واذ تعذّر بناء مدارج جديدة في مطار غاتو البريطاني الذي بدأ يستوعب حركة جوية تعادل ضعفي الحركة في تمبلهولف وأصبح اكثر نشاطا وانشغالا حتى من مطار لاغوارديا في نيويورك بمقدار ثلاثة امثال، فقد اقبل ١٩ ألف برليني بهمة ونشاط لفتح مطار ثالث في تيغل، القطاع الفرنسي من المدينة.

ولكم كان منظر هؤلاء القوم رائعا ومؤثرا وهم يعبرون الاراضي المنبسطة التي كانت في وقت من الاوقات ميدانا لتدريب فرق المدفعية المضادة للطائرات بقيادة هرمان غيرينغ، وقد اعتلت اكتافهم المعاول والمجارف وكأنها بنادق الجنود في ساحة الوغى! وكان نصفهم تقريبا من النسوة اللآتي ضاهين الرجال قوة وتصميما في نقل الطوب والحجار الى الكسارة، بينما أخذ اساتذة الجامعات سابقا، بستراتهم السوداء الرثة التي تكاد تلامس الركب، يعملون جنبا الى جنب مع الفلاحين الأشداء الذين انتعلوا القباقيب الخشبية، ومع رجال فقد الواحد منهم يده أو رجله أيام الحرب. ووصف احد المراقبين العملية بانها شبيهة بالمعجزات التي اجترحها الحمالون في الصين وهم في طريقهم الى بورما. واستمر العمل بالتناوب اثناء الليل تحت الاضواء الكاشفة وأطراف النهار في نوبات متصلة، طول الواحدة منها ثماني ساعات.

على ان احداً من الناس لم يعمل أكثر من تانر نفسه الذي كان يتنقل كالمكوك صباح مساء من مقره في فيسبادن الى تمبلهولف ثم الى فاسبرغ، ويقفل بعدها راجعا الى مقره، متناولا وجبات طعامه حيثما امكن ومرتديا معطف الطيارين الزيتي اللون، وقد نزع عنه جميع شارات رتبته العسكرية واعتمر طاقية كالتي يرتديها لاعبو البيسبول. وكان يتهالك فوق سرير وضع موقتا داخل مكتبه، عاجزا عن متابعة السير بضعة امتار الى حجرته الخاصة. ويذكر الرقيب لويس كوتنر، المسؤول عن العمليات خلال النوبة الليلية التي تبدأ عند منتصف الليل وتنتهي في الثامنة صباحا، انه كان يرى تانر في الساعة الثالثة صباحا وهو يجيل النظر بعينيه الزرقاوين في جداول الطائرات والنقل بانتباه وتأهب، مستفسرا عن عدد الطائرات المعطلة وكم تطول فترة صيانتها. ثم يراه مرة أخرى في السابعة صباحا يترأس اجتماعا مع فريق خبرائه للنظر في امكانات تحسين عمليات النقل الى حد أبعد.

وتبلورت مع الايام مسألة اكيدة واحدة هي مسألة زيادة التنسيق التي أصبحت امرا ملحا طالما بقيت الطائرات الامريكية والبريطانية تستخدم الممرات الجوية نفسها. ولا يتم ذلك التنسيق في رأي تانر الا اذا اصبحت جميع الطائرات المخصصة لاغراض النقل الجوي تحت قيادته

هو. وعلى رغم الضغوط المختلفة والمقاومة، فقد تم التوصل الى اتفاق نهائي في اواسط شهر اكتوبر (تشرين الاول)، تشكلت اثره قوة مشتركة أنيطت بها عمليات الجسر الجوي برئاسة تانر باعتباره القائد الاعلى، وعين قائد سلاح الجو الملكي، ج.و.ف. ميرر، نائبا له. وبذلك تهيأت لتانر اسباب تنسيق نظام نقل يسهل الحركة ويسمح بشحن حمولات جوية كل ثلاث دقائق على مدى ساعات الليل والنهار.

ومع ذلك ارتعدت فرائص الكولونيل نيكلاس شافاس، المسؤول عن "مجموعة ٢١٠٥" الخاصة بالاحوال الجوية، وهو ينتظر حلول فصل الشتاء. وبلغ به الفزع أشده اذ سمع الجنرال تانر يقول له في صباح أحد ايام الخريف المعتدلة: "لن تضيرنا الاحوال الجوية مطلقا". واعترض شافاس على الملاحظة:

- لن يدوم الطقس على هذا المنوال ايها الجنرال، بل قد يسوء كثيرا ابتداء من أول شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بحيث يصعب الارتقاء فوق الغيوم المتعالية او الانخفاض تحتها لشدة دنوّها من الارض.

وبروح تتحدى العراقيل، لم يعره تانر اهتماما كبيرا، وأجاب: "عليك فقط ان تقدم لنا افضل خدمة ممكنة عن الاحوال الجوية".

وكان هذا الرد بمثابة حسم للمناقشة. وعاد شافاس الى مقر المراصد الجوية مشوش الذهن ومثقلا بالهموم، ولديه بعض التحفظات.

"سيبيريا أبرد"

بدأت اوراق الشجر ترتعش على اغصانها وتتساقط واحدة بعد الاخرى على الارض في "غونافيلد" (منطقة الغابات)، وانساب الهواء الجليدي على شواطىء بحيرات هيغل مشبعا بالادخنة الحادة التي تصاعدت من النار المضرمة في الهواء الطلق للتخلص من الاغصان اليابسة وغيرها. وتوهجت في صفحة سماء رصاصية اللون مثقلة بالغيوم شمس شاحبة اشبه ما تكون بيقطينة برتقالية اللون. وفي سقيفات التموين الباردة في مطاري غاتو وتمبلهولف، حيث تجمع الحمالون، راح الرجال يضربون الارض بأقدامهم ويصفقون بأيد مكسوة بالقفافيز درءا للبرد.

وهكذا جاء فصل الشتاء القارس، "رفيق الشيوعيين المرتقب"، واتخذ من برلين مقاما له. ودلت احصائيات الحلفاء لدى اقبال "الرفيق" على أن نصيب معظم المنازل في برلين من الفحم لن يتجاوز ١١ كيلوغراما .ونصف كيلوغرام، أي ما معدله ملعقة شاي واحدة من الفحم يوميا. وأيقن الجميع ان زمن الشدائد بدأ حقا.

ولئن كان الانسان عرضة للنسيان، الا أنه لا يمكن للبرليني ان ينسى قسوة تلك الاشهر. وعلى سبيل المثال، حاولت هيلينا غوزه، التي كانت تعمل في قسم بحوث ارنست رويتر، ان تعدّ لنفسها في احدى الليالي شرابا دافئا من قنينة تحتوي على تمر العليق. وبما ان التمر كان قد تخمّر، فما ان فتحت هيلينا غطاء القنينة حتى تطاير العصير الاسود في ارجاء الغرفة وتجمدت فورا قطراته التي سقطت على الجدران. ويروي ايضا الممثل الهزلي فولتر غروز، الذي كان يلعب دورا تمثيليا على مسرح "كورفيرسن دام"، انه وجد خشبة

المسرح كحلبة التزلج على الجليد نتيجة لتصدع انبوب ماء واندلاق قليل منه على الخشبة. وبكل شجاعة واقدام، تولى افراد الفرقة التمثيلية تأدية أدوارهم بعدما عصبوا احذيتهم بالخرق والثياب. اما الجمهور الذي شاهد المسرحية فكان مدثرا بالمعاطف والبطانيات. ويقول فولتر غروز: "لقد صفق الجمهور لنا بحماسة منقطعة النظير، وأظن انهم فعلوا ذلك طلبا للدفء".

وراح الناس يحتطبون في الغابات المحيطة ببرلين. بل ان بعضهم اقتلع ارضيات الغرف المفروشة بقطع خشبية مزخرفة ذات قيمة فنية رفيعة وألقمها وقودا للنار، كما فعل الشيء نفسه بالأثاث غير الضروري قطعة بعد قطعة. بل ان الصحافية كورنيليا هيرستات في تيرغارتن احرقت رزما من رسائل الغرام، "الا ان تلك الرسائل، على رغم لهيب عواطفها، لم تسعف حتى في قلي شرحات قليلة من البطاطس" على حد قولها.

وعمد كلّ من استطاع الى انجاز اعماله من داخل فراش النوم مرتديا كامل ملابسه، بما في ذلك المعطف والقفازان والطاقية، كما فعل كاتب الاغاني كوبت فلاتو. ونظرا الى انعدام وسائل التدفئة، اصبح الدوام المدرسي امراً اختيارياً. وأمضى عدد كبير من الاطفال اشهرا داخل الاسرة، بكامل ملابسهم ايضا.

وفي السادسة من صباح ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني)، استيقظ الكولونيل شافاس (المسؤول عن رصد الاحوال الجوية) مذعورا من نومه اذ شعر غريزيا بان خللا ما قد طرأ. ولبد في فراشه لحظة يفكر في ما عسى أن يكون ذلك الخلل. وفجأة ادرك حقيقة ما حدث، لأنه الآن انما يصغي الى السكون فقط.

وهرع الكولونيل من سريره الى النافذة وأزاح الستائر عنها، لكنه لم ير شيئا على الاطلاق. لقد غابت معالم الشارع واختفت خلف جدار أبيض من الضباب. وانقطع أزيز الطائرات كليا تقريبا، ولم تتمكن من الاقلاع في ذلك اليوم بطوله سوى ٣٥ طائرة من كلا القاعدتين الامريكيتين.

وتذكر شافاس قول تانر له في احد الايام: "اذا هبطت الغيوم دون ١٥٠ مترا، فسآمر بتحديد تباعد زمني بين الطائرة والاخرى مدته خمس دقائق. اما اذا هبطت دون ٧٥ مترا، فيجب على الطائرات ان تجثم في مدارجها، على ان تبقى محركاتها مشتغلة".

لكن عددا كبيرا من ضباط عملية النقل الجوي لم يسمحوا ابدا بوجود اي تباعد زمني حفاظا على استمرار الشحن. وقد تلقى الطيار الملازم ادوارد ويبر وفريقه في قاعدة راين - ماين الجوية نشرة الانباء الجوية باسلوب عسكري محض: "ايها الرجال! انتم الان متطوعون للطيران في حال الصفر المطلق: مدى الرؤية صفر وعلو الضباب عن سطح الارض صفر ايضا". وتلمّس الملازم ويبر طريقه الى طائرته وركز مقودها باتجاه خط ابيض، وانطلق مسرعا كالاعمى لا يرى شيئا. حتى اذا سجل مقياس السرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة، ارتفع بها فوق سطح الارض مقتحما خضم الغيوم المتلبدة ومسترشدا بأجهزة القياسات، الى ان اصبح على بعد ثوان فقط من برلين.

استمر الضباب طوال شهر نوفمبر

(تشرين الثاني)، وهجعت اوروبا تحت غطاء بلون الزعفران، وهو بارد كالثلج وكثافته ٣٠٠ متر. وغالبا ما كانت الطائرات تقلع من قاعدة راين - ماين قرب فرانكفورت متجهة الى برلين، في حين ان حافلات النقل (الاوتوبيس) في شوارع فرانكفورت شُلّت عن الحركة بسبب انتشار ظلمة حالكة يتعذر سبرها. حتى ان الرجل الذي كان يسير في الشوارع حاملا مشعله الكهربائي، لم يكن يرى أبعد من نطاق مترين فقط. ولم تقتصر الصعوبات على حركة الطيران وحدها، بل اصبحت عملية نقل مواد الشحن الى الطائرات مشكلة عويصة في ذاتها. ولعل ما كان يحدث في بلدة بيبريخ على ضفة نهر الراين، التي تبعد ٢٩ كيلومترا عن القاعدة الجوية الامريكية، ما يوضح مدى هذه المشكلة. فثمة ألف عامل يعملون بالتناوب على حمل اكياس الفحم من المراكب النهرية الى موقف سيارات الشحن التي ستنقل الفحم الى القاعدة الجوية. لكن الرؤية انعدمت الى درجة استوجبت صف العمال واحدا بعد الآخر من ضفة الراين حتى سيارة الشحن بحيث تلامس القدم اليسرى لكل عامل كعب زميله للتعرف على مكان وجوده. وكان الواحد منهم يتلقف كيس الفحم ويمده الى رفيقه حتى يصل الكيس الى الرجل الاخير قرب سيارة الشحن، ثم تتحرك قافلة السيارات المحملة بالفحم فيما تسترشد كل منها طريقها بالاضواء الحمر الخلفية للسيارة التي تتقدمها. وكان سائق سيارة الاولى يهتدي بضوء مشعل كهربائي حمله مرشد القافلة الذي يسير على قدميه.

وكانت هناك، بطبيعة الحال، لحظات حرجة كثيرة. ويذكر الملازم البحري ريتشارد جيرزوفسكي أنه تلقى، فور هبوطه بالطائرة على المدرج "٢٤" في مطار راين - ماين، الارشادات الآتية: "اتجه يسارا... والآن اتجه يمينا الى ارض الوقوف الصلبة". لكنه اوقف الطائرة فجأة بدافع فطري، وطلب الى رفيقه انزاين برنالد سميث النزول من الطائرة والتحقق من طبيعة المكان. ووجد سميث ان الطائرة توقفت على بعد مترين لا اكثر عن مقدم طائرة عملاقة اخرى من طراز "سي - ٧٤" (التي لم تكن مدرجة في جداول الطيران).

وانحطت حركة النقل الجوي الى الحضيض يوم ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني)، اذ لم تصل الى برلين سوى عشر طائرات. وقبعت بصمت، تحت ستار زاحف من الضباب، مطارات برلين الثلاثة: غاتو وتمبلهولف وتيغل الذي فرغ الالمان باعتزاز من بنائه قبل شهرين من الموعد المحدد لاتمامه.

وأخذت كميات المخزون من الاغذية تتناقص، فيما تضامن مع الشيوعيين "رفيق" آخر هو "الجوع العام".

وكانت مخصصات الاغذية لسكان برلين الغربية قد زيدت في اواسط الشهر السابق، اي اكتوبر (تشرين الاول)، حتى بلغت الحد المطلوب للبقاء على قيد الحياة: ٢٨ غراما من السمن في اليوم الواحد، ٥٦ غراما من اللحم المعلّب او البيض المجفف المسحوق، ٨٤ غراما من البطاطس المجففة او الدقيق، ٥٦ غراما من الحبوب، ٢٨ غراما من السكر، ٥٠٠

غرام من الخبز. وتقلّص سيل الامدادات وهبط حجم المواد المتوافرة في الاسواق، ولم يتمكن أصحاب المتاجر من الوفاء بمتطلبات بطاقات التقنين، حتى بالنسبة الى الزبائن القدامى.

وبلغت الازمة في محافظات ستيغليتز وداهلم وليخترفيلد حدّ استدعاء مدير فرقة الاطفائية - رودولف هاردر - الى عشرات البيوت لنقل جثث اصحابها من المسنين والمقطوعين الذين ماتوا جوعا. أما الاحياء فقد لاحظ عدد كبير منهم ان ردود فعلهم اصبحت بليدة وبطيئة الى حد مؤلم. ومن الظواهر الغريبة ان بعض المسائل الحسابية البسيطة أعيت حتى رجال المحاسبة، ولم يعد اطفال المدارس قادرين على حفظ أبسط المعلومات. وغالبا ما كانوا يتكئون على المناضد امامهم نصف نائمين او شبه مغميّ عليهم.

وتكاثرت في تلك الآونة وصفات أطباق الطعام، ونزلت في اعمدة الصحف الخاصة بشؤون المطبخ نصائح لملء البطون، كنقع الخبز الاسود بالماء واضافة البهارات اليه ثم قليه على النار بلا سمن. وأقدمت هيرتا بيزولد، احدى ربّات البيوت، على طحن حبات من القمح كانت التقطتها من الحقول إثر موسم الحصاد، في مطحنة القهوة لتجعل منها طبق تريد مغذ للفطور. واستنبطت ربة بيت أخرى اسمها هيرتا يونغتو وهي زوجة مهندس يعمل في مصانع "سيمنز" اسلوبا جديدا في طهي فطيرة الحلوى اذ خلطت مسحوقا من قشرة البطاطس مع قليل من طحين القمح ومسحوق البيض المجفف، ثم قلت الخليط في زيت السيارات الذي جاء به زوجها من مكان عمله. ولما أكمل كارل يونغتو أكل الفطيرة، سألته زوجته ما اذا كانت لذيذة المذاق، فأجاب: "انها مقيتة، ولكنها تملأ المعدة".

وقاوم معظم سكان برلين، على رغم الحرمان الكبير، ملاطفات الشيوعيين واغراءهم. وكان السوفييت قد اعلنوا، منذ وقت مبكر في شهر اغسطس (آب)، عن عرض أعتبر بمثابة رشوة نكراء، وهو منح أي مقيم في القطاع الغربي من برلين حق صرف قسائم التقنين في برلين الشرقية التي قيل انها تتمتع بوفرة عظيمة من المواد الغذائية. لكن عدد الذين قبلوا العرض السوفييتي لم يزد على ١٩ ألف شخص، ولم يتجاوز، حتى في اوج أزمة الغذاء، ٨٥ ألفا من أصل مليونين ونصف مليون نسمة. وكان معظم هؤلاء يعمل اصلا في القطاع الشرقي ويشتري مقنناته من هناك.

وعندما استفحل البرد القارس، أقيمت نقاط اخرى للتفتيش الصارم، وأصبح البرلينيون الذين يتوجهون الى القطاع الشرقي للمقايضة بمدّخراتهم وكنوزهم مقابل الحصول على الفحم او البطاطس، عرضة للتفتيش الدقيق لدى عودتهم. وكثيرا ما صودرت سلعهم باعتبارها مواد محظورة مهربة. واتسع نطاق التفتيش حتى شمل قطارات النفق ما بين شرق برلين وغربها. ولم يتورع السوفييت حتى عن تفتيش دفاتر الجيب او محافظ النقود ومصادرة الاوراق المالية. وبذلك تعاظم الشعور بالحصار واشتد احساس الناس بالسخط والنقمة.

وربما كان من العجيب استمرار سبل الحياة على رغم هول المصاعب. غير ان معظم الناس تقبلوا واقع الجوع والبرد بخضوع لحكم الضرورة ومن غير تذمر، بعدما ادركوا حقيقة كلمة ارنست رويتر: "البرد هنا قارس، لكن سيبيريا أبرد".

لعبة الروليت الروسية

لقد شارف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) على الانتهاء، وبدأت عزائم طياري الجنرال تانر تنهار في وجه الانهاك الجسدي المضني. ولم يسبق الا لقلة بينهم ان عملت في ظروف مرهقة مماثلة. وبدأت تلوح على سيماتهم ملامح الارهاق والتوتر. وكان الد اعدائهم في معظم الاحيان ذلك الضباب العنيد وتلك الجحافل المخيفة من الجليد. وفي احدى الليالي الباردة المتجمدة، كان الطيار الملازم فيرنون هامان يحوم بطائرته فوق مطار تمبلهولف في برلين استعدادا للهبوط عندما امر بصورة قاطعة لا تقبل المناقشة بالعودة الى قاعدة راين - ماين. وفجأة خيم صمت مطبق! لقد انطفأت محركات الطائرة الاربعة دفعة واحدة بسبب الجليد. ومن علو ٦٠ مترا بدأ هيرمان ينحدر انحدارا اخيرا مرعبا نحو الهلاك. وباعجوبة ارتطمت عجلات طائرته بارض مقبرة سانت توماس على الطرف الشرقي من مطار تمبلهولف بقوة واندفاع هائلين جعلا الطائرة ترتد كالكرة في الهواء وتنقذف الى المدرج الرئيسي في مطار تمبلهولف حيث اندفعت العجلات فوق الارض حتى توقفت من دون ان تنفجر حتى عجلة واحدة.

ومن بين الاعداء اللداد ايضا ذلك المطر الذي يظل ينهمر يوما بعد يوم من سماء سوداء مكفهرة حتى اطلق على تلك البقعة الموحلة المعروفة بالراين - ماين اسم جديد هو الراين - طين.

وجابهت عمليات النقل البري ايضا صعوبات جمة. وكانت الجزم التي ينتعلها الرجال تتشرب بزيت الديزل الذي ينز من قارنات الصهاريج فتسبب التهابات في انسجة باطن القدم. وفي غمرة الامطار، كانت تلك الفسحة من الارض بطول خمسة امتار ما بين قمرة الطيار وبوابة التفريغ تتحول الى "كتلة دبقة من العجين" حيث يختلط الطحين بالماء. اما غبار الفحم فكان يتسرب الى كل مكان داخل اعمدة القيادة فيسدها، والى نقاط الوصل والمفاتيح الكهربائية فيفسدها بالتآكل. وكان الغبار يندس في فتحتي الانف والاذنين وبين الجفون.

وهكذا تضافرت جميع العقبات والاخطار والمتاعب معا وتجسدت في هيئة عدو لا يقهر هو الانهاك. وكان الطيارون، بعد قضاء ١٢ ساعة في الجو، يغطون في نوم عميق ثم يستيقظون ولا يدرون اين هم. وفيما كانت محركات الطائرات الجاثمة تهدر باستمرار ريثما يسمح لها بالاقلاع، كان الطيارون يغطون من جديد في النوم داخل قمرات القيادة، ولهذا احتفظ الرائد البحري توماس كريتس، وهو ضابط عمليات من سلاح البحر، بعصا طويلة في حجرة الانذار. وكان، كلما سمحت الظروف الجوية بالاقلاع، يتوجه الى الطائرات واحدة بعد الاخرى ويضرب بعصاه جسم الطائرة ضربات ايقاعية لتنبيه الطيارين.

وكان من المحتوم في هذه الظروف ان يرتفع عدد الاصطدامات. وذات ليلة من ليالي الصقيع الشديد ابصر الكابتن جاك اولين بينيت، من افراد مجموعة الطيارين المدنيين، ارض المطار بوضوح امامه، وكانت تتقدمه طائرة اخرى على وشك الهبوط. وعلى حين غرة هبت من ناحية جبال تاونوس عاصفة ثلجية من دون سابق انذار، ورشقت ندف الثلج الحاجب الزجاجي امامه وكأنها "طلقات مدفع رشاش". وللتو اطفأ بينيت، الطيار المحنك، انوار هبوط الطائرة احترازا من الاصابة بدوار العواصف الثلجية، وحدد نظره بكل تصميم الى لوحة المفاتيح واجهزة القياسات. غير ان الطيار الذي كان يقود الطائرة الاخرى امامه عشي بصره من شدة دوران ندف الثلج وكان اقل خبرة من بينيت، وراحت طائرته تتهابط في حركة دائرية حول نفسها حتى ارتطمت بالارض وتبعثرت اشلاء فوق المطار.

وما اكثر الليالي التي بات فيها رجال الارشاد الجوي في مراصد المراقبة على الارض مجرد مستمعين عاجزين عن اسداء المساعدة الى طيارين واجهوا محنا خطرة مهلكة. وفي احدى تلك الليالي التقط الطيار الملازم جورج غيلبرت في مطار غاتو الكلمات الاخيرة التي تبادلها طياران كانا يقودان طائرتيهما من طراز "سي - ٥٤" في مكان ما فوق الغابات بين فروهناو وداننبرغ، وسمع احدهما يتصل بالاخر قائلا: "انني احاول السيطرة عليها. اظن ان في امكاني ان اسيطر عليها". ثم سمع صوت الاخر يحثه بالحاح: "ابتعد، ابتعد عن هذا المكان". واذا بالطيار الذي اصطدم يصيح لاهثا: " لقد هبطت الان الى علو ١٥٠ مترا". وبعد هنيهة قصيرة تلفظ الطيار الاخر غير المنظور بكلمات كأنها النعي لرفيقه: "اللهم، لقد سقط".

في تلك الفترة من التاريخ شهد اناس عديدون سلسلة من الاحداث لا تخبو ذكراها ما حيوا. وذات يوم رأى الملازم يوجين فيدل شاحنة وقود من طراز لانكاستر مقبلة مع الريح المتعامدة، اي التي تهب على زاوية قائمة من خط طيران الطائرة. واذ بها تضرب مدرج الهبوط في مطار غاتو بعجلتها اليمنى وتنقلب من جناح الى آخر اربع مرات متتالية، وتنفث دخانا اسود كثيفا مشوبا بالسنة اللهب وكأنه ركام السحب التي تسبق العاصفة الرعدية. واتصل فيدل ببرج المراقبة فورا:

- برج غاتو! هل خرجوا احياء؟

وجاءه جواب يجمد الاطراف:

- لا نظن ذلك. وكيف ينجو من ركب القنبلة؟

لكن الاقدار شاءت ان ينجوا باعجوبة من موت محقق.

غير ان النجاة لم تكتب للجميع. فقد لقي ستون طيارا مصرعهم في اثناء عمليات النقل الجوي، بينهم ٣١ طيارا عسكريا امركيا و١٨ بريطانيا و١١ مدنيا، فضلا عن خمسة المان من رجال الادارة الارضية. وقد نقشت اسماء الخمسة والستين رجلا على قاعدة النصب التذكاري" برلين لوفت بريكية" (جسر برلين الجوي).

وادت كثرة حوادث الاصطدام الى اعتقاد عدد كبير من الناس بصحة الانباء التي راجت في ذلك الوقت حول قيام الروس بعمليات التشويش

والتخريب. على نحو كبير. الا ان الجنرال تانر لم يستطع معرفة مدى صحتها، ولكن ما من شك في ان المضايقات السوفييتية الرامية الى احباط الجسر الجوي تزايدت حدة، وانهم بذلوا ما في وسعهم للتشويش والعرقلة بشتى الاساليب والحيل.

وكم مرة سمع الملازم جيرالد هالاس بعد اقلاعه من قاعدة راين - ماين طنينا غريبا داخل سماعتي رأسه اسفر عن تشوش في جهاز البوصلة. وكان الروس يشوشون ايضا الاشارات الاشعاعية على مركزي الارشاد الارضي المستخدمين لهداية الطائرات. وكثيرا ما ابتلي الملازم فيرنون هامان بسماع اصوات تقلد صوت ضابط حركة الطيران في تمبلهولف وتصدر اليه التعليمات بغية انحرافه عن مسار رحلته الجوية. وواجه الطيار انزاين برنالد سميث في احدى رحلاته ٤٢ مقاتلة روسية من طراز "ياك" تعترض ممره الجوي كأنها حشد من الدبابير القارصة. وفزع الملازم وارين ساندمير خلال رحلته ليلا عندما انقضت عليه من بطن الظلام مقاتلات روسية اشعلت انوار هبوطها في وجهه. واحس طيار آخر هو ادوارد فيبر بان جسم طائرته من المقدم الى الذيل بدأ يهتز كالريشة عندما جابهته مقاتلة "ياك" روسية وجها لوجه، حتى اذا دنت منه انزلقت تحت طائرته، كأنما هذا العمل نمط جديد من انماط لعبة "الروليت" الروسية. لكن رحلات النقل الجوي مضت على رغم كل شيء.

استعراض عيد الفصح

أيقن القائد الامريكي فرانك هاولي، حين استعاد ذكريات الحصار، ان الاسبوعين الاولين من شهر يناير (كانون الثاني) كانا بمثابة فترة حاسمة، أذ اقدم في ذلك الوقت، بعد الاتفاق مع نظيريه البريطاني والفرنسي، على اخطر مغامرة في تاريخ الحصار. وكانت موجودات المواد الغذائية حينذاك متوافرة بكميات مناسبة تكفي ٣١ يوما. الا ان مخزون الفحم آخذ في التناقص بنسب مفزعة، ولن يلبث ان ينفد في بحر عشرة ايام.

وفي حين كان يتضرع الى الله لكي تنفرج كربة الطقس، امر بحسم استيراد المواد الغذائية جوا والتعويض عنها بمزيد من الفحم، واتخذ في الوقت ذاته اجراءات لخفض مستوى انتاج الغاز والكهرباء، اللذين يعتمدان على الفحم، الى ادنى حد ممكن، علما بان درجات الحرارة كانت تنخفض الى ما دون درجة التجمد. ونتيجة لخفض حركة سير الحافلات الكهربائية، غصت العربات التي كانت تتسع لنقل ١٢٤ راكبا بالناس الى حد الاختناق، واصبح معدل ركابها ١٧٥ شخصا في الرحلة الواحدة. ونجحت المغامرة: فبينما تقلصت المؤن الغذائية الى معدل ٢٧ يوما، ارتفع مستوى احتياطي الفحم الى معدل ٤٠ يوما.

بيد ان هذه الاجراءات اسفرت عن اغلاق خمسة آلاف مؤسسة ومصنع وارتفاع عدد العاطلين عن العمل الى ١٥٠ ألفاً. ولكن دخلت ميدان الصراع عوامل اخرى في مصلحة الحلفاء الذين اتخذوا من جانبهم اجراءات تقييدية مضادة لحظر شحن المواد الاساسية الى مناطق النفوذ السوفييتي، مما حرم المنطقة الروسية منتوجات

المانية غربية حيوية مثل فحم منطقة الروهر والفولاذ وقطع الغيار. واوقفت بموجب هذه الاجراءات المضادة جميع الشاحنات البرية المتوجهة من المانيا الغربية الى القطاع الروسي، وامرت بالعودة من حيث اتت. وهكذا بدأ الحصار الاقتصادي المرير اخيرا يؤلم القطاع الشرقي اكثر مما يضر بالقطاع الغربي.

وكأن الوحي هبط على ارنست رويتر يوم ٣١ يناير (كانون الثاني)، فالتفت الى صديقه القديم درو ميدلتون من صحيفة "النيويورك تايمس" خلال تناولهما طعام الغداء، وقال له: "لقد انتهى الامر. ان الروس يدركون الآن انه ليس في استطاعتهم الاستيلاء على برلين بالحصار، وسيبحثون قريبا عن مخرج للازمة".

والجدير بالذكر ان الصحافي كينغزبوري سميث، من "وكالة الانباء الدولية"، كان قد ارسل في ٢٧ يناير (كانون الثاني) اربعة اسئلة مكتوبة الى جوزيف ستالين للاجابة عنها، وبينها سؤال ذو اهمية خاصة: "هل يحتمل ان يفك اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الحصار اذا ارجأ الحلفاء الغربيون انشاء دولة المانيا الغربية التي يفكرون في انشائها حتى يتم انعقاد مجلس وزراء الخارجية؟". (وهو المجلس المؤلف من ممثلي الحلفاء في الحرب العالمية الثانية: فرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية). وبعد ثلاثة ايام اجاب ستالين انه لا يرى صعوبة في تحقيق ذلك، شرط ان يرفع الحصار المضاد في الوقت ذاته.

وبدا ان الروس، حتى في تلك الآونة، كانوا يستبقون أجرأ خطة فكر فيها وليم تانر في حياته.

وقد بدأت تلك الخطة، كما يذكر الكولونيل ادوارد غيلبرت، بمجرد وميض في عيني تانر خلال جلوسهما الى مائدة الفطور في فندق "شفارزر بوك" في فيسبادن صباح يوم من شهر ابريل (نيسان)، حين التفت تانر، ووجهه يشرق حيوية وانفعالا، في اتجاه غليبرت وسأله فجأة: "كيف يمكننا يا غيلبرت ان ننجز أقصى ما يمكن؟".

وبصفته ضابط الشحن، كان غيلبرت قد فكر مليا في هذه المسألة، بل صمم مع فريق الموظفين في مصلحة الشحن، منذ اوائل اغسطس (آب) ١٩٤٨، رسما يمثل وجه الساعة، وقد بلغت نقاط الدقائق فيه ١٤٤٠ نقطة بعدد دقائق اليوم الكامل. وراحوا يسترسلون في حلم طالما راود المسؤولين عن النقل الجوي، وهو نقل عشرة اطنان في كل دقيقة اذا توافرت الطائرات اللازمة والطيارون والاحوال الجوية المثالية. ولهذا رد غيلبرت على سؤال تانر بقوله: "لو توافرت الظروف الملائمة، لامكننا شحن ١٤ ألف طن يوميا".

ومع ان تانر لم يكن يدري بالمفاوضات الحاسمة التي كانت تدور بين فيليب جيساب، سفير الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة، ونظيره السوفييتي جاكوب مالك، الا انه توصل الى قرار حصيف معلنا: "قسما يا غيلبرت لنفعلن ذلك".

ومنذ اليوم الاول الذي مد فيه جسر النقل الجوي وبلغت الحمولة ٨٠ طنا، تزايدت مستويات الشحن الجوي

باستمرار. وارتفعت الحمولات المنقولة من ١٠٠٠ طن في ٧ يوليو (تموز) الى ٣٨٠٠ في ٧ اغسطس (آب) ثم الى ٧٥١٣ في ٢٢ فبراير (شباط). لكن الحمولات اليومية لم تبلغ ابدا الهدف الجديد الذي وضعه تانر الآن نصب عينيه.

وتوالت الاحداث على جناح السرعة. واتضح، بعد تحليل خمسين جدولا بيانيا معلقا على جدران قاعة المؤتمر حيث يعقد تانر اجتماعاته، ان افضل ظروف جوية قد تسود في يوم معين ستكون فترة الـ٤٢ ساعة بين ظهر يوم السبت ١٦ ابريل، (نيسان) وظهر الاحد ١٧ ابريل الذي يصادف عيد الفصح. واذ كان من المتوقع ان يكون الطقس معتدلا في تلك الفترة وان تكون معظم طائرات "سي - ٥٤" - وعددها ٢٢٥ - جاهزة للطيران بالاضافة الى وجود مخزون من الفحم جاهز للنقل يزيد على عشرة آلاف طن، فقد عقد تانر العزم على ان تكون العملية "استعراض عيد الفصح وهدية العيد الى شعب برلين".

وبقيت المسألةحتى اللحظة الاخيرة سرا مطويا، لانه لو اعلن عن نقل عشرةآلاف طن في يوم واحد واخفقت العملية، لأثار ذلك هرجا ومرجا بين رجال الدعاية السوفييتيين. وهكذا لم يتحول الاستغراب العابر بين ضباط الصف في الراين - ماين وفاسبرغ وست قواعد جوية اخرى الى انفعال قوي نام الا وقت الظهر من يوم السبت، ذلك اليوم البارد من ايام ابريل (نيسان) حين بدأ ضباط الصف هؤلاء يشدون الحمولات الى الواح الشحن. وعندها تعاظم الاحساس بأن ذلك اليوم لن يكون عاديا بين الايام.

واستمرت حمى النشاط وتزايدت دقيقة تلو دقيقة في جميع القواعد الجوية، وصارت السماء مثل اللوح المصوت ترجع الى الارض اصداء رعد المحركات. وفي خضم ضجيج محركات الطائرات، كانت ترتفع قليلا اصوات اخرى تنم عن الروح الباسلة في استعراض عيد الفصح: هدير كالقذائف حين يهوي الفحم في مساقطه وصيحات "شنيل، شنيل" (بسرعة، بسرعة) وحشرجة محركات سيارات الشحن بحمولة عشرة اطنان.

وأحس الجميع، حتى الطيارون المتمرسون المحنكون، برهبة المسؤولية حين انسابت في صفحة السماء طائرة بعد طائرة من دون ان تفصل الواحدة عن الاخرى سوى ٩٠ ثانية. ولم يسبق ان ظهر في التاريخ اسطول نجدة من هذا القبيل. وكانت معظم الطائرات محشوة بالفحم حتى السقف. الا ان حمولات بعضها تنوعت بحيث اشتملت على كل ما يخطر في البال من مواد تحتاج اليها مدينة محاصرة: الكاكاو والمقانق ودقيق الشوفان، وحمولة طائرة كاملة من اغطية القنوات والمجاري، وبراميل مملوءة تبغا، ورقاقات موز مجفف للاطفال المرضى، وقرب ماء ساخن لمستشفيات برلين، وكثير سواها.

واشتد الانفعال والهياج على الارض ايضا. وكان الخدم في مطاعم قاعدة راين - ماين يتراكضون الى خدمة الطيارين الجائعين وكأنهم في سباق التناوب بين الموائد. وبلغ نشاط الفريق المسؤول عن تفريغ الطائرات في تمبلهولف حدا جنونيا كاد ان يذهب ضحيته الكولونيل تيودور ملتون، رئيس اركان الفرقة

التابعة لتانر. فما ان هبط بطائرته المحملة على ارض المطار في الرابعة صباحا من يوم الاحد وبدأ ينزل السلم حتى تلقفه افراد ذلك الفريق بحماسة وهمّوا خطأ بقذفه مع بقية اكياس الفحم على ظهر سيارة الشحن.

وفي فيسبادن اختار موظفو حركة النقل الجوي العمل نهارا وليلا، والنوم بين الثالثة والسادسة صباحا.

وبقيت شاشة الرادار البعيد المدى تومض بصورة ذات معالم ثابتة طوال الليل والنهار: نقاط متقاربة من الضوء منسربة الى برلين ضمن عمودين غير مستقيمين كأنهما طابوران من النمل، وعمود ثالث من النقاط يومض بثبات مماثل في اتجاه معاكس.

وأحس الطيارون بان الفرصة سنحت لاثبات تفوقهم في الاجواء، فاغتنموها. وعف عدد كبير منهم عن تناول وجبات الطعام، مكتفين بأكل السندويشات داخل قمرات القيادة. وفي برلين تناول الكابتن كورتني دانيالز فنجانا من الشوكولاته الساخنة. وما كاد يلسع شفتيه بحرارة السائل حتى تعالت صيحات الاستحسان معلنة اتمام تفريغ طائرته في غضون سبع دقائق ونصف دقيقة. فارتقى دانيالز سلم الطائرة مستأنفا رحلة العودة.

وبقي تانر طوال ذلك اليوم يجول في ميدانه الطبيعي، متنقلا كالمكوك من فيسبادن الى تيغل وغاتو وقد تشجع برسالة وجهها اليه الجنرال كلاي تقول: "لست ادري ما الذي تحاول ان تفعله، ولكن ارجو ان تواصل فعله".

وبلغ تانر مقره في فيسبادن مرة اخرى عند الفجر، وكانت تفصله عن معرفة النتائج الباهرة سبع ساعات. لقد انجزت طائرات الحلفاء في ٢٤ ساعة ١٣٩٨ رحلة جوية، ونقلت الى برلين ١٢٩٤١ طنا من المؤن. غير ان ما أدركه تانر في تلك الساعة المبكرة من اقسى يوم في حياته هو الحقيقة الآتية التي تم برهانها: ان الروس، في حصارهم البري، قد أخفقوا أخفاقا ذريعا مخزيا.

نوعان من الابطال

لم يسعد رودولف غونتر فاغنر، المذيع في محطة الاذاعة في القطاع الامريكي، من قبل بمثل هذا الجمهور الغفير من المستمعين الذين بدأوا يتدافعون في اتجاه عربته، وهي بمثابة وحدة ارسال اذاعي متنقلة. وغصت منطقة "كورفيرسن دام" على مدى النظر بالناس الذين كانوا ينتظرون موعد اذاعة فاغنر لنشرة الاخبار، على غرار عادتهم طوال ايام الحصار. ومع ان نشرة الانباء المطبوعة كانت جاهزة بين يديه، الا انه لم يسهل عليه ان يقرأ اخطر اعلان اوكلت اليه مسؤولية اذاعته. واخيرا بدأ يخاطب الميكروفون بتردد على النحو الآتي:

"تم التوصل الى اتفاق بين الدول الغربية الثلاث والاتحاد السوفييتي في ما يتعلق برفع الحصار عن برلين وانعقاد مجلس وزراء الخارجية. وتقرر بموجب هذا الاتفاق رفع جميع التقييدات التي فرضت من كلا الجانبين على وسائط النقل والتجارة بين برلين والقطاعات الشرقية اعتبارا من يوم ١٢ مايو (أيار) و....".

وخامر فاغنر الشك في ما اذا كانت

الجماهير سمعت مزيدا من التفاصيل، لأن المدينة باسرها هاجت حينذاك وانطلقت هتافات صاخبة مدوية:

"هورا فيالييبن نوخ! هورا! فيا زنت نخت فير هونفات!" - مرحى! اننا ما زلنا احياء! مرحى! اننا لم نتضور جوعا!

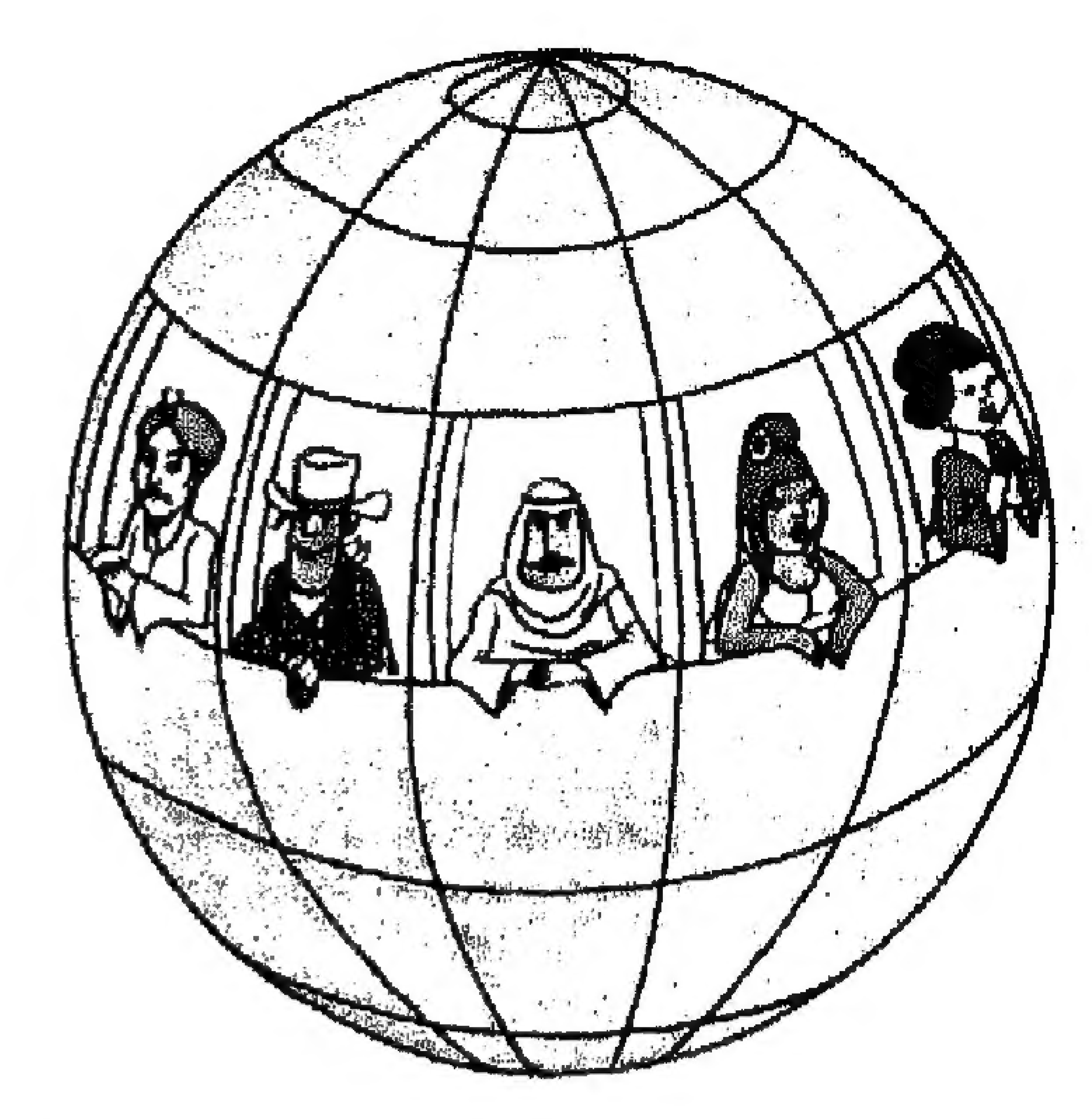
وفي تمام الثانية عشرة والدقيقة الاولى بعد منتصف الليل، وتحت شعاع يخطف الابصار من الانوار الكاشفة، رفعت حواجز الحصار الروسية عن الطريق الرئيسية الى برلين، وتدفقت على الفور اول قافلة من سيارات الشحن البريطانية محملة بالامدادات الى برلين.

لقد كانت ليلة عوض الناس فيها عما فاتهم زمنا طويلا. وفي محافظات داهلم وشتيغليتز وفيدينغ، كان جميع افراد الاسر يتنقلون من غرفة الى اخرى كالاطفال تماما، يشعلون الانوار الكهربائية ويطفئونها للمتعة المجردة. وخرج افراد بعض الاسر بثياب السهرة الى السيارات واتجهوا بها الى نقطة انطلاق الطريق الرئيسية، ثم ترجلوا ورقصوا على الارصفة تحت اضواء سياراتهم.

وعلى رغم القرار الذي اتخذ بمواصلة النقل الجوي حتى اغسطس (آب) ضمانا لتوفير احتياطي من المواد الاستهلاكية، فقد اعتبر معظم الطيارين يوم ١٢ مايو (أيار) نهاية الشوط. ففي ذلك اليوم ازيلت جميع تقييدات الحصار وبدأت الاستعدادات النهائية لتأليف حكومة المانية غربية برئاسة المستشار كونراد اديناور وزعامة تيودور هس، اول رئيس للدولة الجديدة.

وبحلول الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم ١٢ مايو (أيار)، ازدحمت الشوارع المحيطة بدار البلدية بالناس. وفي الساحة المفتوحة، حيث رفرفت مع النسائم اعلام الجمهورية الالمانية القديمة بالوانها السود والحمر والذهبية، توافد ٣٠٠ ألف برليني تحية وتقديرا للرجل الذي قادهم خلال ٣٢٨ يوما من الحرمان والشدائد. انه صباح يوم تاريخي، الا انه ايضا وقت حسرة واسف، لان لوسيوس كلاي جاء ليقف في الجموع مودعا. واذ اصطف حوله عدد كبير من الاعوان الذين آزروه خلال الاشهر العصيبة، بمن فيهم روبرتسون وهاولي ورويتر، دخل كلاي المبنى وصعد الى منصة الخطباء في قاعة الاجتماع، وقال للناس ان ثمة نوعين من ابطال الجسر الجوي: اولهما الطيارون الذين قادوا طائراتهم في جميع الاحوال الجوية الى برلين، وثانيهما شعب المدينة الذي لا يقل عنهم اهمية، لانه، باختياره الحرية، ظل على استعداد لتقديم جميع التضحيات اللازمة حفاظا على حريته، وقد قاده صبره والتضحيات الى الانتصار.

وارتفع الهتاف والتصفيق بينما وقف كلاي في مكانه وقد خانته الكلمات. ولاحظ المترجم روبرت لوخنر، الذي وقف الى جانبه، ان قناع كلاي سقط وبدأت الدموع تسح على وجهه. ولكن لم تكن هناك حاجة الى قول المزيد من جانب كلاي. فقد تضاعف الهتاف والتصفيق نيابة عن كلامه، وترددت الاصداء في ارجاء المدينة كلها كأنشودة من اناشيد الشكر والتقدير.



حكايات صغيرة من العالم

روزنامة الاوز

يتحدثون في حديقة حيوانات دبلن في ايرلندا، عن نوع من الاوز البري يبدو انه لا يميز بين الفصول فحسب، وانما كذلك بين ايام الاسبوع.
ففي الشتاء يقضي هذا الاوز وقته في الحدائق العامة، حيث يلقي اليه الناس بالطعام أكثر مما في اي مكان آخر.
أما في أيام الآحاد فان الأوز يظهر دائما في حديقة الحيوانات لأنه يعرف، على ما يبدو، ان عدد الناس في هذه الحديقة يفوق ذلك اليوم عددهم في الحدائق العامة.
ولكن كيف يميز الاوز يوم الأحد؟
قد يرجع ذلك الى صوت اجراس الكنائس في المدينة والى تضاؤل ضجيج حركة المرور حول الحدائق العامة.

("الايريش تايمس")

المهم النية

قرر مواطنو مدينة جواياكيل في الاكوادور اقامة نصب لشاعر البلاد في القرن التاسع عشر خوسيه يواكيم اولميدو، وتقرر ان يرتفع النصب في ميدان المدينة الرئيسي، غير ان تنفيذ قرارهم تعثر عندما تبينوا ضخامة المبلغ اللازم لتكليف احد النحاتين تنفيذ المهمة، وأخيرا أمكن حل المشكلة عندما عرض عليهم مسبك التماثيل تمثالا قديما للشاعر الانكليزي اللورد بايرون بثمن زهيد.
فقد اشترى مواطنو جواياكيل تمثال بيرون وأجروا تعديلات عدة في وجهه، ثم رفعوه في الميدان وكتبوا اسم شاعرهم اولميدو على قاعدته!

ب.س.هـ.

من التراث الياباني

يقول الاختصاصي الياباني في علم الاجتماع ياسوجي هوندا:
"في التراث الياباني ان روح الانسان تتعب رويدا رويدا يوما بعد يوم على مدى العام، حتى تغدو في نهايته وقد حل بها العياء والقذارة" لذلك يجري التنظيف الشتوي السنوي للبيوت اليابانية يوم وقفة رأس السنة، وتجري مزارات ديانة "الشينتو" والمعابد البوذية طقوس التطهير الشخصي

لستين مليون ياباني تقريبا، وفي منتصف ليلة رأس السنة تدق الاجراس ١٠٨ مرات في مقابل خطايا الانسان الـ١٠٨.

أ.م.

طائرة الثوم

اضطرت شركة طيران "سويس آر" الى ايقاف احدى طائراتها النفاثة الضخمة من طراز "دي سي - ١٠" في شهر أبريل (نيسان) ١٩٧٨ بعدما انتشرت فيها رائحة الثوم التي اثارت شكاوى ركاب رحلة الطائرةمن زوريخ الى بوسطــن وشيكاغــو. وعندما وصلت الطائرة الى وجهتها أسفر البحث الدقيق عن ان مصدر الرائحة هو زجاجة من زيت الثوم المركز تحطمت في مخزن الامتعة.

ي.ب.

... في انتظار دون كيشوت

في هولندا، يستدعى البناؤون والنجارون وغيرهم من الحرفيين المهرة الذين يعاني كثيرون بينهم البطالة، للمعاونة في ترميم طواحين الهواء. وينفذ هذا المشروع في مقاطعة درينتي في شمال البلاد بهدف اتاحة فرص العمل لامثال هؤلاء.
ولم يبق في هولندا الآن سوى ٩٤٥ طاحونة هواء، وفي القرن السابع عشر، وهو العصر الذهبي في تاريخ هولندا، كان هناك أكثر من ١٠،٠٠٠ من هذه الطواحين العملاقة التي كانت تطحن القمح وتقطع الاخشاب وتضخ المياه وتساهم في رخاء الأمة.

د.س.

موازنة للفئران؟

كان جون ويلتون، سفير بريطانيا في السعودية، تعرض مرتين لعضة احد الفئران المغيرة، فكتب الى صحيفة "التايمس" اللندنية: "ان الفئران لدينا قد اصابها اليأس من الغذاء التافه الذي لا تجد سواه في مطبخ سفارة حديثة ذات نظام صارم لا يسمح بالاسراف ويخضعللتفتيش الدقيق، فدفعها هذا اليأس الى ان تصبح من أكلة لحوم البشر".
وعندما قرأ المسؤولون في وزارة الخارجية البريطانية هــذا الكلام، ارتسمــت علــى وجوههم ابتسامات خالية من التعاطف، وقال احدهم بصرامة: "ليست في الموازنة اعتمادات لشراء الجبن لمصايد الفيران".

أ.ب.

ملجأ المضطهدات

ان الوجه الذي نراه على صفحة القمر عادة هو وجه رجل، لكن الناس في اماكن اخرى يرون صورا مغايرة. فالهنود الحمر يرون أرنبا بريا، وأهل جزيرة ساموا يرون امرأة تغزل، اما الصينيون فيرون - بين اشياء اخرى - السيدة تشانغ - او الزوجة التي لجأت الى القمر هربا من طغيان زوجها المستبد.

ي.ب.

رعاية فنلندية

حديقة "ليناغاكي" في مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا هي مدينة للملاهي تذهب عائداتها الى الجمعيات الخيرية لرعاية الاطفال.
ففي اثناء الحرب العالمية الثانية كان من اصعب المشكلات التي واجهتها فنلندا مشكلة الآلاف من ايتام الحرب. وفي عام ١٩٤٥ كانــت المــوارد الماليــة شحيحــة فتعاونت ست جمعيات خيريةلرعاية الاطفال على مواجهة المشكلة، وحققت حلمها عام ١٩٥٠ باقامة بناء مدينة الملاهي في حديقة ليناغاكــي. وتتجــاوز عائــدات الحديقــة ٣٥٠٠٠٠ دولار كل عام ويوزع هذا المبلغ على الجميعات الخيرية لتمويل نشاطها في رعاية الاطفال.

هـ.س.

... لكنها رجعت

عندما سرقت لوحة موناليزا (الجوكوندا) من متحف اللوفر عام ١٩١١ وظلت مختفية مدة عامين، كان عدد الزوار الذين ذهبوا خلال هذه الفترة كي يشاهدوا مكانها الخالي يفوق عدد من جاؤوا لرؤية التحفة الفنية في اثناء وجودها على مدى الـ١٢ عاما السابقة لسرقتها.

ب.ك.

